AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

AmEscNg
E-3

تيبستي

ليبيا

THE LIBYAN STUDY CENTER

الإهداء

الى الزميل في حلبة التعليم

صديقي الاستاذ الجليل

مسعد البرقاوى

كلمة شكر

عزيزي القارئ،

حين يشرع الطفل في الكلام، يتلعثم لسانه بنطق اكثر الاسماء التصاقاً بحياته وأشدها مساساً بكيانه . فيذكر (الأم) و (الأب) و (الأخ) ، ويتدرج من ذلك الى التعبير عن حاجاته ، رغما يجيش في صدره الصغير من عواطف وافكار . وما أعذبها من لغة! وما أعمق تأثيرها في نفوسنا ! لأنها خارجة من قلب ناصع البياض، لم تلوثه الحياة بعد .

انني بهذه الروح، وبلسان الاطفال العاجز الصادق أقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان لعطوفة الاستاذ الكبير **صباح بك الروسان** (وكيل وزارة المعارف الاردنية الهاشمية)، فلولاه ما كنت أدري متى و كيف يمكن لهذا الكتاب ان يشاهد النور .

(ج . ف .)

المقدّمة

كان ذلك عام ١٩٣١ ، حين كنت طالباً في مدرسة الفرندز في رام الله ، وسمعت مدرسنا الاستاذ الجليل الدكتور خليل طوطح ينشد مترنماً ، بيتاً من الشعر الانجليزي ، انشاداً اكاد لفرط حلاوته اسمعه الآن يرن في مسمعي ، ويتردد في قلبي ، فيغمر نفسي بالجذل الروحي والاشراق .

أما ذلك البيت الذي سمعت استاذنا الكبير يردده امام طلابه بنبرته الجذابة وعاطفته المخلصة الصادقة ، فيذكي في نفوسنا اللذة بأدب شكسبير ، فهو آخر النصائح (١) التي القاها بولونيوس (٢) على ابنه لآرتس (٣) وهو يتأهب للسفر الى فرنسا لانجاز تحصيله ، كما ورد في مسرحية « هاملت » (٤) ، اذ قال : —

« لكن فوق كل شيء ، كن صادقاً مع نفسك ،
فانك لن تستطيع بعد ذلك أن تخدع الناس ؛
وهذا يتبع ذاك ، كما يتبع الليل النهار . »

منذ تلك الساعة لفت شكسبير نظري ، وشعرت برغبة قوية في الاطلاع على أدبه . فوقع في يدي اثنتان من مسرحياته ، هما « يوليوس قيصر » و« ماكبث »

---

١ — راجع ترجمة هذه النصائح صفحة ١٣١ من هذا الكتاب

٢ — Polonius

٣ — Laertes

٤ — المشهد الثالث من الفصل الاول السطر (٧٨ — ٨٠) ، وهي في الاصل هكذا : —

« This obove all . To thine own self be true
And it must follow, as the night the day,
Thou canst not then be false to any man . »

اللتان عكفت على درسهما بنهم وشغف، ولا سيما أولاهما التي استطعت أن أتفهمها آنذاك، وأن اجد فيها متعة فنية وجمالاً خالصاً .

ثم أتاحت لي الأقدار ان التحق بجامعة بيروت الاميركية، وان أدرس الادب الانجليزي على العـــلامة البروفسور بيرون سمث (١) . فاستمعت الى محاضراته العديدة يلقيها عن شكسبير ؛ واغترفت من تلك المياه الغزيرة الرقراقة بقدر ما وسعته حفنتي ؛ واختزنت في فؤادي غذاء ، ونوراً ، ودفأ ، وربيعاً لما قد تخبئه الحياة من أيام يخيم فيها القحط والبرد والظلام . وما أكثرها ، وما أطولها من أيام !

ذلك باختصار تاريخ صداقتي مع شكسبير . ويقيني انها صداقة ثابتة، راسخة البنيان . وآمل ان لا تنتهي بهذا الكتاب . فقد انفقت الليالي الطوال في انشائها ؛ ونسجتها من ضياء العين ، ومن خيوط العقل والقلب والروح .

وقد خطر لي أن أعرف ابناء أمتي على شكسبير ، وان اجعل بينهم وبينه صداقة كالتي بيني وبينه . فعزمت على اقتحام خضمه الزاخر غـــير وجل او هياب . ومن لا يجم، ويتهيب ، ويحسب للعاقبة ألف حساب ، حين يخطر له ان يخوض عباب شكسبير ؟ بيد انني اقدمت على ذلك ، وجئت بهـــذا الكتاب الذي بين يديك ايها القارىء الكريم، يحوي بين دفتيه بعض ما تأثرت به وما انطبع في نفسي من ادب شكسبير . وانه لبعض يسير اذا قيس بما في الذهن ، وبما يجب ان يقال عنه من شيء كثير .

ولقد رأيت ان اقدم لك في الفصل الاول رسماً دقيقاً لحياته يجمع بين سلاسة القصة والاسلوب العلمي الرصين، وان اراجع في الفصل الثاني مصادر حياة شكسبير وما أثاره انتاجه منذ وفاته من نقـــد ودراسة . وأي شيء عنه لم يصبح موضوع بحث ونقد ونقاش ، وتؤلف فيه مئات المجلدات ؟ اما الفصل الثالث فيتناول شرح المعالم الرئيسية لعبقريته كما لمستها بنفسي . ويتكون الفصل الرابع والاخير من أبحاث متنوعة قد تسد بعض الثغرات في هذا الموضوع الخطير .

---

(١) = Prof . Byron Smith « أستاذ الادب الانجليزي في الجامعة الاميركية في بيروت »

ولست ادعي انني وفيت شكسبير بعض حقه، بما قدمته من ترجمة مقتضبة لحياته، وعرض موجز لأدبه، وتحليل وتعليل لعبقريته، وبما استشهدت به من غرر شعره ورائع نثره. بيد انني متيقن انني سأبعث في نفسك رغبة شديدة صادقة في الرجوع الى مسرحياته، ففيها الذخيرة الفنية الوافية، والزاد الروحي الوافر لكل نفس تتذوق الادب، وتكرع من ينبوع الفن الرفيع الخالد.

وأنني ارجو، وألحف في الرجاء، ان تتذكر وأنت تطالع هذه الصفحات يا قارئي، ان في مجرد التفكير بالكتابة عن شكسبير مغامرة شاقة خطرة؛ وانني لهذا أحوج ما أكون لنظرتك الصافية، وتقديرك العادل المتزن. فماهذا الذي شغلني، وأرجو أن يشغلك، الا شكسبير! وحسبي الله ونعم الوكيل.

المؤلف

كلية الحسين — عمان
المملكة الاردنية الهاشمية
٢١ آب ١٩٥٠

الفصل الاول

حياة شكسبير

نادي مكة الثقافي للجميع

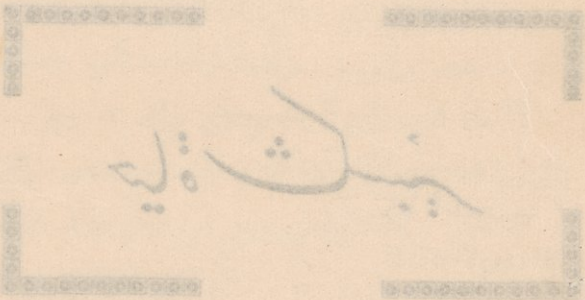

والد الشاعر

كلد أسم شكسبير شائعاً في انكلترا منـــذ العصور الوسطى ؛ وأول من عرف به كما جاء في السجلات الرسمية رجل اسمه وليم شكسبير اتهم بالسرقة وشنق سنة ١٢٤٨ ، وكان من قرية تبعد نحواً من سبعة أميال الى جنوب ستراتفورد بلد الشاعر . ثم عرف آخر من مقاطعة « كنت » « Kent » باسم جـون شكسبير عاش سنة ١٢٧٩ . ثم شاع هذا الأسم في القرون التالية ، حتى ان عائلات كبيرة عديدة كانت تتسمى به في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وهنالك ما يثبت ان أشخاصاً معاصرين للشاعر عرفوا باسمه .

× أما والد الشاعر فهو جـون ريتشارد شكسبير ، نزح عن قرية سنترفيـــلد « Snitterfield » التي تبعد نحو أربعـة أميال شمال ستراتفورد ، فقصد ستراتفورد التماساً للرزق فيها ، ولم يكن عدد سكانها في ذلك الحين يتجاوز الالفين . وكان معظم أهلها يشتغلون بحياكة الاقمشة الصوفية ، وقـــد أمل ان يلقى الحياة على أحسن ما تكون عليه في ذلك المحيط الجديد .

وقد جاء في سجل عثروا عليه في ستراتفورد ان الحكومة المحلية فرضت في أبريل سنة ١٥٥٢ غرامة مالية قدرها اثنا عشر بنساً على رجل اسمه جون شكسبير يقطن شارع هنلي « Henley » من بلدة ستراتفورد من مقاطعة (ورك) « Warwickshire » لانه توانى في ازالة كومة من الاقذار كانت أمام بيته .

وقد زعموا ان جون هذا كان في أول عهده يتاجر بالحبوب والصوف ويتعاطى بيع اللحوم والجلود ايضا ، وانه كان عدا ذلك يصنع القفازات ويبيعها للناس .

ثم يظل هذا شأنه ، رقيق الحال ، ليس لديه ما يزيد عن حاجته من المال حتى عام ١٥٦٥ . فقد أصاب في الثلاث عشرة سنة التالية سداداً من العيش و كسب بعض الشهرة ، فيخطر شأنه ويعظم امره ، ويعين في وظائف (بلدية) مختلفة ، فيصبح سنة ١٥٦٥ عمدة « Alderman » ثم في سنة ١٥٦٨ « رئيس بلدية » « Bailiff » . ويختارونه ليكون بالاضافة الى ذلك شرطياً مع اربعة من بلده ، و كذلك أحد الموظفين الذين لهم حق فرض الغرامة وتقديرها حين لا يسعفهم القانون بنص على ذلك .

وقد كان مشهوراً عنه أنه ظريف مرح « ذو وجنة باسمة مشرقة » حاضر البديهة ، حسن المعشر ؛ وانه رجل أعمال ، حاذق بارع ، كثير التردد على المحاكم في قضاياه العديدة . وانه الى هذا شغوف بالتمثيل يرحب بمقدم الفرق التمثيلية وخصوصاً فرقة أيرل أوف ورستر « Earl of Warcester » وفرقة الملكة « Her Majesty's Co. » حين كانتا تؤمان ستراتفورد من حين الى آخر ، فهي لهما أسباب الراحة ويساعدهما على عرض المسرحيات للناس .

وقد ابتاع قطعتين من الارض في ستراتفورد سنة ١٥٥٦ وتزوج في خريف سنة ١٥٥٧ ماري آردن « Mary Arden » وهي صغرى بنات روبرت آردن . ووالدها من عائلة نبيلة واسعة الثراء ، وقد أوصى لها بعد وفاته بستة جنيهات وثلاثة عشر شلناً واربعة بنسات ، وبيت وخمسين فداناً من الارض . وقد رزق جون ابنتين هما حنة ومرغريت ، الا انهما توفيتا صغيرتين . ثم رزق وليم شاعرنا العظيم ، اذ عثروا في ستراتفورد على سجل عماد مدون فيه اسم وليم وتاريخ عماده وهو (٢٦ ابريل ١٥٦٤) : ومنه نستدل على ان تاريخ الولادة ربما كان في ٢٢ او ٢٣ أبريل ، اذ اعتادوا في ذلك الزمن أن يحتفلوا بعماد الطفل بعد ولادته بثلاثة أيام . والانكليز يحتفلون بعيد ميلاده في ٢٣ ابريل من كل سنة ، لان تاريخ وفاته ثابت في ٢٣ أبريل سنة ١٦١٦ ، كما هو منقوش على نصب تذكاره في كنيسة ستراتفورد ، ولانهم ذكروا ايضا على النصب نفسه بأنه توفي عن ٥٢ عاما .

وقد أبتاع جون عام ١٥٧٥ بيتين في ستراتفورد ، غير ان حياته الاقتصادية بدأت منذ عام ١٥٧٧ تزداد ضيقاً وحرجاً بازدياد أفراد عائلته ، فقد رزق عدا وليم

ثلاثة صبيان هم جلبرت ورتشارد وادمند وكذلك ابنتين أخريين فلم يرمندوحة عن رهن عقاره الذي كسبه بجده ونشاطه ، وجميع ما ورثته زوجه عن والدها أيضاً . وقد أقيل في ٦ سبتمبر عام ١٥٨٦ من بلدية ستراتفورد بسبب تغيبه المتكرر عن اجتماعات مجلسها . بيدانه لم يفقد منزلته الاجتماعية في بلده بالرغم من ضيق ذات يده وتراكم الدين عليه . وقد وافاه الأجل عام ١٦٠١ ودفن في ٨ سبتمبر في كنيسة ستراتفورد .

اما زوجه فقد عاشت بعده نحو سبع سنين وتوفيت في ٩ سبتمبر ١٦٠٨ ودفنت الى جانبه في الكنيسة الآنفة الذكر .

الشاعر في المدرسة

كان اقبال الأنجليز على التعليم في العصور الوسطى رائعاً منقطع النظير ، فقد أسست المدارس في اغلب المقاطعات ونظمت التنظيم الحسن .

وكانت عناية الملك ادوارد السادس بها عظيمة جداً . ولم يكن حظ ستراتفورد دون غيرها في ذلك ، فقد تأسست فيها سنة ١٥٥٣ مدرسة ابتدائية كاملة ذات مكتبة عامرة ومنهاج يدرس فيه الأدب الكلاسيكي القديم ، والكتاب المقدس على الأخص . وقد عرفت بمدرسة الغراماطيق « Grammar School » نسبة لتعليم الصرف والنحو اللاتيني فيها ، وكان بين اساتذتها ثلاثة يشار اليهم بالبنان يحمل كل منهم شهادة (ب . ع .) من جامعة أوكسفورد ، وهم ولتر روتش « Walter Roche » وسيمون هنت « Simon Hunt » وجون كتن « John Cotton » . وقد كان لمجلس البلدة الاعلى حق اختيار الاساتذة لهذه المدرسة ، ثم لا بد لكل منهم من الحصول على توصية من أسقف ورستر تشهد له بالمقدرة وحسن الاخلاق حتى يتسنى له العمل في هذه المدرسة .

وأغلب الظن ان شكسبير دخل هذه المدرسة ودرس فيها اللاتينية وبعض

الاغريقية والفرنسية ، وألم بعض الشيء بالادب الكلاسيكي القديم في لغتيه الاصليتين، او مترجماً . والذي يطالع مسرحياته بامعان يجد أثر الكتاب المقدس فيها واضحاً جلياً ، مما يدل على دراسة عميقة متقنة لهذا الكتاب العظيم ، وهذا أما ان يكون قد حدث في أثناء وجوده في المدرسة او خارجها .

ولم يطل عهده بالمدرسة ، فقد جاء في احد النصوص التاريخية أن والده وقع في عسر مادي وألمت به فاقة ارغمته على اخراج وليم من المدرسة في سنة ١٥٧٧ ليساعده على الاضطلاع بأعباء العيش وتكاليف الحياة .

من هذا نرى كيف ان الزمان لم يأذن لوليم أن ينجز تحصيله كما فعل غيره من الشعراء المعاصرين . ولست ادري ما كانت تصنع الاقدار به لو تم له ذلك ! أعساها تسلك به سبيلا غير ذاك السبيل الذي أفضى به الى ساحة المجد والخلود ، أم كانت تزوده بثقافة عالية تسدما يبدو في ادبه من نقص علمي وفني ، فلا يجرؤ على انتقاده صديقه الشاعر بن جونسون « Ben Jonson » « ١٥٧٣-١٦٣٧ » او يلقبه فولتير « Voltaire » بعد زمن طويل (بالمتوحش السكران) ؟ .

وهكذا نجد ان وليم قد خرج من المدرسة تحت ضغط الظروف القاسية ليصبح مثل أبيه قصاباً يجيد ذبح العجول ، ويطيب له احياناان يلقي في اثناء ذبحها خطاباً بليغاً .

مدرسة ثانية

لم تطغ الحياة المادية الحرجة على تلكم الروح الغريدة الطلقة ، او تهيمن على نفس وليم الواسعة المتأملة الحالمة هيمنة تامة بالرغم من انصرافه للعمل ليعين والده على مواجهة متاعب الحياة وشدائدها . فأنه بعد أن غادر المدرسة كان يختلس من النهار ساعات يأخذ فيها بقسط وافر من وسائل التسلية الشائعة بين أترابه من شباب ستراتفورد . زد على ذلك انه لم تكن لتفوته مشاهدة المسرحيات التي كانت تعرضها فرقتا الملكة والايرل أوف ووسترحين تزوران ستراتفورد بين آونة واخرى .

فقد كان والده بوصفه رئيس البلدة يجيز لهما التمثيل ويجمل بهما الترحيب ، ويمنحهما كل مساعدة تزين لهما العودة اليها مرات في كل عام تقريباً . ومما لا ريب فيه ان وليم من التاسعة حتى الحادية والعشرين من عمره أدمن مشاهدة التمثيل ، وامتلأت نفسه بما تلقاه من خالد العبر وبما كان يشهده من رائع المناظر والصور .

ثم قدر له ان يصحب أباه في يوليو من سنة ١٥٧٥ للترحيب بمقدم الملكة اليزابث ، وقد جاءت في موكب حافل لتزور صديقها الأيرل اوف ليستر في قلعة كانلورث « Kenilworth » التي لا تبعد عن ستراتفورد كثيراً . ومما لا شك فيه ان تلك الزورة وما صحبها من احتفالات باهرة قد خلبت لبه ، وانطبعت في نفسه وامتلأ بها فؤاده ، ولهذا ترى كيف أشار اليها على لسان أوبرون « Oberon » في في مسرحية « حلم ليلة في منتصف الصيف » (١) .

اما المدرسة الحقيقية التي زودت وليم بالزاد الروحي الخالد فهو ما كان يحيط ببلده من جنات فاتنة . فالشجر النضر الجميل يغمره من كل ناحية ، والرياض الغناء والمروج الممرعة الخضراء تمتد مع انهار تلك المقاطعة (٢) ، وتكتنف ذلك البلد من جميع جوانبه .

فلا بد انه كان يقصد تلك الغابة الساحرة المسحورة وتلك الرياض والمروج الجميلة الخلابة ، فينفق فيها أمتع الوقت وأطوله ، يداعب معسول الآمال آناً ، ويهدهد الهموم والآلام أحياناً ، وهو في خلال ذلك كله دائم التفكير ، دائم التأمل ، ويظل هذا شأنه حتى تسلمه أمه (الطبيعة) ذلك القلم السحري العجيب وبه يدون أدبه ويلونه ويزهيه .

وانك لتلمح في مسرحياته التي ألفها في أول اطوار انتاجه الأدبي ما يدل على انه كان يلاحظ الطيور والازهار والاشجار ويدرسها ويلم بها ألماماً تاما ، وانه

---

(١) المشهد الاول من الفصل الثاني سطر (١٤٨ - ١٦٨) خصوصاً السطر ١٥٨ .

(٢) مقاطعة « وارك » وقد سبق ذكرها .

كان عدا ذلك خبيراً بأصناف الحيوانات الداجنة كالخيول والكلاب وغيرها ، ثم فيها ما يشير الى انه كان يصطحب معه الأهل والرفاق الى الحقول والبحار والانهار فينفقون الوقت في الترفيه عن انفسهم بشتى انواع اللهو والعبث . وفي بعض مسرحياته الرومانسية اوصاف طريفة مسهبة لانواع الصيد المختلفة وهي تعكس بعض الشيء من مظاهر حياته مما قد لا يعثر عليه في غير أدب الذكريات .

ولقد عرف عن شكسبير انه كان لبقاً عبقاً ، متواضعاً دمثاً ، يكثر من الاختلاط بأهل الريف ، فيستوقف الفلاح وقد هرع لاستقبال حقله قبل ان يستقبل الشمس ، ويجالس الزراع في اكواخهم وحول موائدهم ، فيصغي لاحاديثهم الساذجة الشائقة ، ويستعرض اصناف الطبقات البشرية التي تمثل مختلف الادوار على مسرح الحياة ، يفعل ذلك كله بقلب حي نابض وذهن صاف متقد وعين نافذة حادة ، كالعدسة تسجل كل ما تقع عليه بدقة متناهية . ناهيك عن روح عميقة شاعرة تسبغ على هذا كله ألواناً زاهية من واسع الخيال المطبوع ورقيق الحس وصادق الشعور . وقصارى القول ان الطبيعة ومدرسة الحياة التي لا مدرسة بعدها هما اللتان صاغتاه وصنعتاه وجعلتاه كما قال عنه كولردج (١) « Goleridge » (ذا نفس واسعة كالمحيط (Oceanic) بل ذا عقل لا يضاهيه ألف عقل) .

زواجه

لما بلغ شكسبير الثامنة عشرة من عمره أقدم على مشروع زاد في عسر أبيه وضيق ذات يده . فقد جاء في بعض اوراق أسقف ورستر « Worcester » أن وجيهين من مزارعي ستراتفورد هما جون ريتشاردسن « Richardson » وفلك ساندلز « Fulk Sandells » قطعا على نفسيهما عهداً في ٢٨ نوفمبر سنة ١٥٨٢ بأن يتحملا أية

---

(١) الشاعر والناقد الانجليزي المشهور وزميل وردزورث « Wordsworth » باعث الحركة « الابداعية » في بريطانيا ـ « ١٧٧٢ ـ ١٨٣٤ » .

مسؤولية قد تقع على عاتق ذلك المطران وموظفي أبرشيته ، وان يدافعوا عنهم لاجازتهم زواج وليم شكسبير بآن هاثاوي « Anne Hathaway » من مدينة شوتري « Shottery » التي تقع الى جوار ستراتفورد . والمصادر التي لدينا تؤرخ وفاة والدها في شهر تموز من تلك السنة ، وتذكر انه كان يمتلك البيت الذي أصبح فيما بعد محجة الزائرين ، والمعروف الآن بكوخ آن هاثاوي « Anne Hathaway's Cottage » . ويستدل من تاريخ النصب التذكاري على ضريح آن انها كانت تكبر زوجها بثماني سنوات .

والنصوص المتعلقة بزواج شكسبير تغفل اي ذكر لرضى والدي العروس عن هذا الزواج او موافقة والدي وليم عليه ، بل معرفتهم له في حينه . وثمة ما يبين ان شاهدي عقد الزواج الذين وعدا بصون المطران اسرعا في انجاز العقد للشاعر على صديقتها (آن) لانها كانت تكبره سنا ، ويخشى عليها من البوار الاكيد ان هي فشلت في هذه المرة . ويلقي ضوءاً ساطعاً على سبب آخر خطير لهذا الاسراع ما حدث مؤخراً من أن الشاعر رزق بعد ستة أشهر من حفلة زواجه ابنة سماها سوسانا « Susanna » ، فقد كان عمادها حسب النص الكنسي في ٢٦ مايس سنة ١٥٨٣ ، بيناجرت حفلة زواج والدها في نوفمبر من السنة المنصرمة !

وآخر ذكر لاقامته في ستراتفورد انما هو تاريخ عماد توأميه هامنت « Hamnet » وجودث « Judith » ، وكان هذا في فبراير سنة ١٥٨٥ . وقد سماهما بهذين الاسمين نسبة لجاريه الصديقين هامنت وزوجه جودث سادلر (Sadler) . وقيل ان سادلر هذا كان عراب هامنت وقت عماده ، وان الشاعر اوصى له بعد وفاته ببعض المال ليبتاع به خاتماً للذكرى .

الى لندن

تضاربت الآراء في البواعث التي حفزت وليم لمغادرة ستراتفورد ، فمن قائل انه لم يكن موفقاً بهذا الزواج ، بل شقياً به ، متبرماً منه . واكبر الظن ان

التفاوت في العمر بينه وبين زوجه هو أهم علة لما كان يقع بينهما من مشاحنة او ملاحاة كانت تتطور في اغلب الاحيان الى خصام حاد عنيف . فلا بد انه ضاق ذرعاً بالحياة الزوجية التي لم يمض عليها غير اربع سنوات ، فأحب ان يريح نفسه من عبء ثقيل لا قبل له به ولا طاقة على حمـــله . زد على ذلك سوء حال والده الاقتصادية ، ذلك مما حدا شكسبير الى التطلع الى عالم غير هذا العالم الذي ألفه وعرفه ، يأمل ان يشق فيه طريقا جديداً ويبدأ حياة جديدة ايضا .

ومنهم من يزيد على ذلك سبباً آخر لا نستطيع الجزم بصحته . وهو ان الشاعر وصحبه اتفقوا على اصطياد غزال كان يرعى في متنزه يقع في ارض شارلكوت (Charlecote) القريبة من ستراتفود ، وهو يخص نبيلا واسع السلطة قوي النفوذ ، اسمه توماس لوسي (Thomas Lucy) ، ففعلوا ذلك ، فقبض عليه واحتبسه ليلة في قصره ، وقيل انه امر بجلده ، بل زعموا انه رفع الامر للقضاء وتابع ذلك بعنف وقسوة ، فلم ير شكسبير بداً من الفرار اذ كانت عقوبة مثل تلك الجريمة السجن ثلاثة اشهر ، ودفع غرامة تقدر قيمتها بثلاثة أمثال ما أتلف . على انه لم يقف ذاهلا امام هذا العنف والارهاب او حائرا مكتوف اليدين ، بل نظم مقطوعة من الشعر فيها قدح وسخرية وهزؤ بهذا الخصم النبيل ، والصقها على باب قصره قبل ان يغادر ذلك المكان . ومن المتفق عليه انها باكورة انتاجه الادبي ، بيد انه لم تقع المؤرخين عليها يد .

وقد خشي ولبم عاقبة ما صنع ، فازداد عزماً وشوقا الى تبديل تلك البيئة بأخرى غيرها . ولم ينس الحادثة هذه كما يزعمون حتى في الطور الثاني لانتاجه الادبي ، اذ صور توماس لوسي خصمه في شخصية القاضي شالو (Shallow) في مسرحية (ازواج ونسر المرحات) وفي القسم الثاني من (هنري الرابع) .

ولم يكن امامه ما يقصده من المدن غير لندن العظيمة ، فقد كانت كبيرة واسعة تعج باصناف الخلق وبكثير من الصناعات العديدة ، وقد بلغ عدد سكانها في ذلك الحين زهاء المئتي الف نسمة ، . فلا غرو ان تكون مطمح انظار الشباب ،

يقبلون عليها من كل أوب، ويهرعون اليها من كل فج ، فينجز بعضهم تحصيلة ؛ ويلتمس البعض الاخر عيشه بأيسر السبل وأقرب الطرق .

كانت اسباب الاتصال بين ستراتفورد ولندن غاية في السهولة واليسر ، واهمها الخيل . مع هذا كنت تلقى من الناس من يعرض عن ركوبها ويقبل على السفر مشيا ، وعلى الاخص الادباء ، فقد كانوا يفضلونه على ركوب الخيل ، أما تجنباً للتبذير اوتواضعاً وجرياً على عادة السواد الاعظم من الناس ، او لكلا السببين مجتمعين .

وهكذا يعتزم الشاعر الرحيل عن ستراتفورد مخلفاً فيها عائلة تتضور جوعا وتتمزق ألماً ، واضعاً نصب عينيه العاصمة العظيمة ، وكل امله ان يعود الى اهله وعشيرته بعد ان يحقق آماله واطماعه التي قد لا تتعدى في ظاهرها حد الرغيف ليستقر في بلده ولينفق بقية العمر على أهنأ وضع واسعد حال .

ولا بد للمسافر من ستراتفورد الى لندن من ان يسلك احدى طريقين طول الواحدة منها عشرون ميلا تقريباً ، الاولى تمر ببلدة بانبري (Banbury) وتشق الثانية او كسفورد .

ولا ندري أيها سلك في رحلته الاولى ، لكن الثابت انه كان يختار في معظم الاوقات طريق اكسفورد حيث كان يعرج على فندق التـــاج (Crown's Inn) لصاحبه جون ديفانت (John Davenant) ويتخذ منه ومن ابنائه اصدقاء الحياة .

على ان بعض الروايات تزعم انه غادر ستراتفورد قاصدا احدى القرى المجاورة ليشتغل معلماً في احدى مدارسها ، ومن ثم قصد لندن بعد فترة وجيزة .

في لندن

هبط وليم لندن عام ١٥٨٦ مع ثلاثة من ابناء بلده هم : روجر لوك (Roger Locke) وألن اورپان (Allan Orrian) وريتشارد فيلد (Richard Field)

وكان هدفهم جميعا الاشتغال بفن الطباعة والنشر . وقد بسم الحظ لهم جميعهم وخصوصاً لريتشارد فيلد ، فلم ينس هذا الشاب رفيقه وليم او يدعه وشأنه ، بل اقبل عليه اقبال الأخ على أخيه ، فيأخذ بيده ويعينه على حياة شاقة غريبة لم يألف لها من قبل مثيلا .

والروايات متفقة في ان شكسبير ، لما له من كلف وشغف بالتمثيل ، اتصل تواً بأحد المسارح في لندن ، لكنها متضاربة في الكيفية التي بها بدأ حياته فيه . فمنهم من يرى انه استهل عمله كمناد للمسرح ، ومنهم من يقول انه كان يعين الملقن اثناء التمثيل ، وآخرون انه عهد اليه بمراقبة خيول الذين يجيئون ليشهدوا التمثيل ، وانه ألف لهذا الغرض فرقة من الصبيان اطلق عليهـــا اسم (صبيان شكسبير)

« Shakespeare's Boys »

ولا نعلم بالتأكيد اسم المسرح الذي التحق به في بدء الأمر ، ومن المرجح ان يكون التياترو « The Theatre » الواقع في شوردتش « Shoreditch » من أحياء لندن بيد انه لم يقتصر عليه بل ظل يتنقل من مسرح الى آخر طوال اشتغاله بالتمثيل .

وهكذا يقطع الشاعر مرحلة كبيرة من النجاح ، فيصبح في أول عهده ممثلاً بسيطاً لا شأن له ولا خطر . ثم يلتحق بفرقة الايرل اوف ليستر التي عرفت فيما بعد بفرقة اللورد تشمبرلن « Lord Chamberlain's Co. » ، فيدخل طور التمثيل العالي ويراجع المسرحيات قبل ان تعرض ، فينمق هذه ، ويدبج تلـــك ، ويراجعها جميعاً ويكسبها لونا من الادب ومن الفن يلائم ذوق الناس ، ويبلغ بعد مران طويل وجهد عنيف شأواً بعيداً ، حتى يصبح ذلك الشاعر العالمي الخطير والكاتب المسرحي النابه الذكر .

ولا أحب ان استأنف البحث بغير مناقشة الرواية التي تقول باشتغاله كاتباً عند أحد المحامين في أول حياته في لندن . والذين يزعمون ذلك يبنونه على ما يجدون في مسرحياته من تعابير ومفردات ذات صبغة وطابع قانونيين . وهذا الامر لم يصدر في رأيهم عن رجل لم يمارس القضاء او يحترف المحاماة ولو بعض الحين . والسر

سدني لي « Sir Sidney Lee » لا يقر الزاعمين على زعمهم هذا. ذلك لان معلومات الشاعر في القانون كما هو جلي من مسرحياته ، مفعمة بالاخطاء العديدة التي لا تقبل التساهل ، مما يدل على جهل مطبق للقانون وعدم ممارسة طويلة منظمة لحرفة المحاماة . ثم ان ما تقع عليه في مسرحياته من اشارات ومفردات وتعابير تتعلق بالقانون لم تكن ملك الشاعر او حبساً عليه ، وانما كانت شائعة في بعض آداب المعاصرين ممن لم يكن لهم اي اتصال بالقضاء أو الملم بالقانون . وهذا واضح من كتاب (الملكة الجنية) « Faerie Queene » لسبنسر ، ومن مؤلفات بن جونسون وفليب ماسنجر « Massinger » (١٥٨٣ - ١٦٤٠) وجون وبستر « Webster » (١٥٨٠ - ١٦٢٥) ، فهي لا تخلو من تعابير قانونية وأوصاف لمحاكمات قضائية ، وانما بأخطاء أقل مما اقترفه شكسبير في هذا الباب .

ويعلل السر سدني لي ألمام شكسبير ومعرفته لبعض القانون بسبب زياراته المتكررة للمحاكم وتردده عليها مع والده في قضاياه الخاصة ايضاً . ناهيك عما امتاز به من ذكاء نادر ونضوج باكر وادراك واسع ، فلا عجب ان تراه يلم بناصية كل فن ويتقن دراسة كل باب ، وكل مظهر من مظاهر الحياة الكثيرة .

اعوانه الشاعر

لقد ابتسم القدر لوليم حين تعرف بريتشارد فيلد ، وهو - كما مر - من أبناء ستراتفورد الذين صحبوه في رحلته الى لندن . كان السعد حليف هذا الفتى منذ ان وطيء ارض العاصمة .

فكأن الزمان ساقه الى تلك المدينة ليكون معواناً لوليم على الحياة هناك . فكان حقاً صديقاً وفياً مخلصاً ، له اليد الطولى في بلوغ شكسبير تلك المرتبة الادبية السامية . اذ اتصل فيلد حال وصوله الى لندن بزجل فرنسي الاصل بروتستني المذهب ، اسمه فوترولير « Vautrollier » كانت العاصمة الفرنسية قد لفظته عبر القنال في الحين الذي اشتدت فيه وطأة الكنيسة على طائفة البروتستانت المعروفين

آنـذاك بالهيوجنت « Huguenots »

شرع هذا الفرنسي حين استقر به الأمر في لندن يمارس اعمال الطباعة والنشر ، فيوفق في ذلك ويصيب نجاحاً لم يكن ليحلم به من قبل .

ولقد أحب فوتروليير الشاب فيلد اذ توسم فيه الأمانة والاخلاص . فاتخذه اجيراً عنده في بدء الأمر ، ثم اناط به الاشراف على العمل كله . ويشاء القدر ان يتوفى سيده الفرنسي فيتزوج فيلد ارملته ويرث معها جميع ماله بما في ذلك أدوات الطبع والنشر ، فيقبل على عمله بهمة لا تعرف الكلل وحماس فائق عظيم .

والى فيلد هذا يعزى نشر كتاب (تراجم بلوطارخ) « Plutarch's Lives » الذي ترجمه نورث « North » من الفرنسية ، واتم طبعه سنة ١٥٩٥ . وكـذلك قصيدة أورلاندو فيوريوزو « ORLANDO FURIOSO » للكاتب والشاعر الايطالي العظيم اریاستو « ARIOSTO » (١٤٧٤-١٥٣٣) الذي ترجمه السر جون هارتفتون « HARINGTON » سنة ١٥٩١ . ويهمنا من هذا ان فيلد نشر لشكسبير ايضاً في تباشير شاعريتـــه قصيدتين ، الاولى هي (فينس وأدونيس) لاول مرة في ١٨ ابريل سنة ١٥٩٣ ، وبعد ذلك بعام أي في ٩ مايس ١٥٩٤ ، نشر قصيدة (لوكريس) .

وكلتا القصيدتين مهداتان للنبيل الايرل اوف ساوثمبتن « Earl of Southampton » ومذيلتان باسم شكسبير .

ولم يقف الامر بفيلد عند هذا الحد من الرقي والنجاح ، فقد عين بعد برهة رئيساً للجمعية الورقية (Master of Stationer's Co.) فزاد ذلك في نـفوذه وسيطرته الادبية .

من هذا تستطيع ان تقدر مدى المعونة التي أسداها لصديقه الشاعر في أول اطوار انتاجه . وقد ظل فيلد عائشاً حتى سنة ١٦٢٤ أي بعد وفاة شكسبير بنحو ثمانية اعوام .

اما الصديق الآخر وما هو في الواقع بصديق اذا افترضنا الصداقة الحقة الخالصة

لا تكون بين غير الانداد ، فهو السيد هنري ريوثسلي (WRIOTHESLEY) ذلك النبيل الذي عرف فيما بعد بالايرل اوف ساوثمبتن (THIRD EARL OF SOUTHAMPTON) وكان الشاعر قد أهدى اليه قصيدتيه السالفتي الذكر .

كان هذا النبيل ظهير شكسبير ونصيره ، ولم يكن ذلك مستغرباً في عصر كانت فيه مناصرة الشعراء ومؤازرتهم تقليداً شائعاً مستحباً عند السواد الاعظم من النبلاء . فالنبيل هو سند الشاعر وعضده الاشد ، يمده بكل مساعدة ويسدي اليه كل ما يمهد له سبل الاطمئنان والراحة والهناء ، ويحقق له جميع ما يصبو اليه من آمال في الحياة . والشاعر هو لسان حال النبيل وبوق شهرته ، فالقصائد اليه تهدى وبفضله تنظم وبذكره تشيد وتترنم . وقد كان شكسبير حقاً موفقاً حظيظاً باتصاله بهذه الشخصية القوية وهو في أول اطوار شاعريته .

فقد كان هذا النبيل طلق اليدين ، سخي النفس ، وقد روى الاديب (رو) « NICHOLAS ROWE » بالاستناد الى وليم ديفانت أن هذا النبيل وصل شكسبير في حين من الزمن بنحو الف جنيه ، وهو مبلغ ضخم تمكن به شاعرنا من الاستقرار والانقطاع لتأليف المسرحيات . ولا يبعد ان تكون هذه الصداقة من اهم العوامل التي اشهرت شكسبير في الاوساط العالية وسهلت له ولفرقته سبل الاتصال بالبلاط ، وعرض بعض المسرحيات فيه ، في مختلف المواسم والمناسبات .

فمن المحقق تاريخياً ان الايرل أوف ساوثمبتن ، بعد الافراج عنه من السجن بسنة واحدة ، دعا الى قصره الملكة (آن) « ANNE » وأحب ان يحتفي بها ، فلم ير خيراً من استدعاء ريتشارد بربج « BURBAGE » ورفاقه الممثلين ومنهم شكسبير لعرض ملهاة (جهد الحب الضائع) ، فسرت الملكة بها وابتهجت كثيراً .

ولم يفد الشاعر كثيراً من صديقه النبيل في آخر حكم اليزابث ، اذ ائتمر النبيل وصديقه الايرل أوف اسكس « ESSEX » في اواخر سنة ١٦٠٠ بالملكة نفسها ، فاخفقت المؤامرة ، وقبض عليهما ، وحكم عليهما بالموت فنفذ ذلك في الايرل اوف أسكس . اما ساوثمبتن فاستبدل حكمة بالسجن المؤبد لاسباب تخفيفية ، فمكث فيه حتى اعتلى جيمس الاول العرش سنة ١٦٠٣ ، فافرج عنه نظراً للصداقة بينه وبين

الايرل اوف أسكس شريك ساوثمبتن في المؤامرة .

بيد ان هذه الحادثة لم تضعف من مركز الشاعر او تزعزع شهرته في الاوساط الاجتماعية والادبية . وانما ظل كشأنه ينفح المسارح بمسرحياتـــه ويقارع الادباء وينافرهم أني تسنى له ذلك ، ولا سيما في حانة مرميد (١) « MERMAID TAVERN » في شارع الخبز « BREAD STREET » من لندن .

ولقد اغتبط الشاعر بالافراج عن صديقه النبيل ونوه بذلك في مقطوعة شعرية (صونيتة ٥٧) . ومما لا ريب فيه أن هذه الصداقة المتينة وذاك الوداد المتبادل بين النبيل والشاعر ، وما كان للنبيل من حظوة ومكان رفيع في نفس الملك ، كانت من اكبر الاسباب لما لاقاه الشاعر من عطف القصر وحدبه وتشجيعه .

ومع أننا لا ننكر ما للنبيل من أياد عند الشاعر وما بذله له من عطايا جزيلة الا اننا حين نوازن بين ما قدمه للشاعر وما أفاد منه نجد الكفة بلا شك راجحة في جانب النبيل . فقد اشتهر أمره باتساع شهرة شكسبير في عالم الأدب ، وخلد ذكره في تلك المقطوعات الشعرية (الصونيتات) « SONNETS » التي تعد من غرر الشعر العالمي .

وخلاصة القول أن أسمه أضحى مقروناً باسم شكسبير ، يذكر هذا حينما يذكر ذاك على مدى الدهور .

الشاعر وديفانت

ذكرنا في السابق ان الشاعر كان يعرج على فندق التاج في اكسفورد حين يذهب الى لندن او يأتي منها فيلقى من صاحبه جون ديفانت « DAVENANT » حفاوة

---

(١) من أقدم النوادي الادبية في انكلترا ، أسسه على ما يقال السر ولتر رالي « SIR WALTER RALEIGH » وكان يؤمه شكسبير مع الشعراء الاخرين كبن جونسن ودون « DONNE » وبيمونت (BEAUMONT) وفلتشر (FLETCHER) وغيرهم . وقد ورد ذكر هذا النادي في أشعار الكثيرين ، وعلى الاخص في قصيدة للشاعر الشاب كيتس عنوانها « أسطر عن حانة مرميد » [LINES ON THE MERMAID TAVERN]

بالغة وأكراماً زائداً . وديفاننت هذا كلف بالدراما شغوف بها ، وهذا مما زاد في حبه لشكسبير واكباره له . وكان الشاعر يسر بالاجتماع الى جين « JANE » زوج ديفاننت الثانية ، فيعجب بذكائها الحاد وتخلبه احاديثها العذبة ويستبي عقله جمالهـــا البارع الفتان .

ويروي روبرت كبير انجال جون ديفاننت بكل جذل وافتخار أن الشاعر طبع على وجنتيه وهو طفل مائة قبلة !!

وقد روى اوبري « AUBREY » اشاعة غريبة لا نستطيع قبولها والتسليم بهـــا بغير تحفظ وفحص دقيق ، وهي زعمه ان وليم ثاني ابناء هذه العائلة هو في الواقع ابن شكسبير وليس ابن جون ديفاننت . ويستند في ذلك الى ما كان بين شكسبير و (جين) زوج ديفاننت من حب وصلة وثيقة ، والى العطف والمودة الخفية القوية المتبادلة بين شكسبير وبين وليم الطفل على شكل لا يكون بين غير الآباء والابناء .

ومع ان هذه الاشاعة ظهرت في كتب تاريخية متعددة منذ القرن السابع عشر ، الا أن أنطوني وود (١٦٣٢ — ١٦٩٥) « ANTHONY WOOD » مؤرخ بلدة اوكسفورد يدحض هذه التهمة وينفيها نفياً باتاً .

ليس هذا فحسب بل زعموا أن وفاة جون ديفاننت بسبب حزنه الشديد على فقدان زوجه (جين) التي لم يمض على وفاتها غير أسبوعين فقط لدليل قاطع على ما كان بينهما من رابطة قوية ومحبة فائقة . وانه لبرهان ساطع ايضاً على بطلان هذه الوصمة الشنيعة التي يطيب لبعض الادباء الصاقها بالشاعر العظيم .

وفي ٣ مارس ١٦٠٦ احتفل بعماد وليم ديفاننت وربما كان الشاعر عرابه عند تعميده . ولقد اصبح وليم هذا شاعراً وكاتباً مسرحياً وسياسياً خطيراً في عهـــد شارل الاول وكان يلقب بالسر وليم ديفاننت ، وقد سجنه كرومويل « CROMWELL » لكن الشاعر ملتن « MILTON » توسط بالافراج عنه .

وكان فضلاً عن ذلك شاعر الدولة منذ سنة ١٦٣٨ ومن المعجبين بشكسبير والمغرمين بأدبه . فزعموا انه في الثانية عشرة من عمره نظم مقطوعة من الشعر رثى

بها شكسبير ولما يمض على وفاته سوى عامين تقريباً ، وانه ادخل تعديلاً على هجاء اسم عائلته فصار يكتبه على هذه الشاكلة : « D'AVENANT » ، ليربط هذا الاسم بآفون « AVON » النهر الذي يمر بستراتفورد بلد شكسبير .

ولسوف تقدر قيمة هذه الصداقة وتدرك اثرها في تاريخ الادب الانجليزي وفضلها عليه حين البحث في تراجم الشاعر . فقد كان وليم ديفانت من اهم المصادر واوثق المراجع التي اعتمدها الاديب رو (ROWE) حين الف تلك الترجمة الدقيقة الوافية للشاعر ونشرها مع مسرحياته ، ولولاه لما عثرنا على الكثير من الحلقات المفقودة في حياة شكسبير .

الشاعر والتمثيل

لقد فتن التمثيل شكسبير واستهواه منذ نعومة أظفاره . ويزعم بعضهم أن زيارة اربع فرق تمثيلية لستراتفورد في اواخر عهده بها هي التي حببت اليه القدوم الى لندن ليتسنى له ارتياد المسرح أنى شاء وكيفما شاء . وقد كان في لندن حين هبطها مالا يقل عن سبع فرق تمثيلية ، تتألف كل منها من اثني عشر عضواً تقريباً أغلبهم رجال والآخرون من الصبيان الذين يحلون محل النساء في الادوار التمثيلية ، اذ لم تكن تقضي التقاليد والعادات آنئذ بظهور النساء على المسارح والاشتراك مع الرجال بالتمثيل .

وكانت اربع فرق منها تتمتع برعاية اربع نبلاء ، منهم الايرل اوف ليستر (LEICESTER) وهما الخامسة فقد كانت تتمتع بعطف الملكة نفسها ، وقد تشكلت الاخريان من الصبيان الذين كانوا في الوقت ذاته يؤلفون جوقتين للترتيل احداهما في كاتدرائية القديس بولس ، والاخرى في الكنيسة الملكية (ROYAL CHAPEL) . وقد لاقت هاتان الفرقتان تشجيعاً ، وما تعرضه من المسرحيات رواجاً عظيماً ، وكانت المنافسة بينهما وبين فرق الرجال حادة عنيفة كل العنف .

قد التحق الشاعر سنة ١٥٨٨ بفرقة الايرل اوف ليستر وظل يعمل فيها طوال اشتغاله بالتمثيل . وقد تعاقبت عليها اسماء عديدة مختلفة بعد وفاة الايرل اوف ليستر لا بأس من بسطها وايضاحها في الجدول التالي : —

فرقة اللورد سترينج من ١٥٨٨ – ١٥٩٣ —	LORD STRANGE'S CO.
» » دربي من ١٥٩٣ — ١٥٩٤ —	LORD DERBY'S CO
» » تشمبرلن من ١٥٩٤ — يوليو ٩٦ —	LORD CHAMBERLAIN'S CO.
» » هنسدن من ١٥٩٦ — آذار ٩٧ —	LORD HUNSDON'S CO.
» » تشمبرلن من ١٥٩٧ — ١٦٠٣ —	LORD CHAMBERLAIN'S CO.
» جلالته من ١٦٠٣ — —	HIS MAJESTY'S CO.

ويظن ان شكسبير التحق في بدء الامر بمسرح (التياترو) « THE THEATRE » كما بينا ، بيد انه لم يقتصر عليه بل مثل بعض الادوار من مسرحياته في مسرح الوردة « THE ROSE » ومسرح بتس « NEWINGTON BUTTS » وكذلك مسرح (الستار) « THE CURTAIN » وبعد سنة ١٥٩٩ التحق بمسرح (الكرة) « THE GLOBE » الذي اشار اليه في افتتاحية (هنري الخامس) (بالحلقة الخشبية) « WOODEN O » .

ويشك في انه اعتلى المسرح كثيراً بعد ان اصبح شريكا في مسرح البلاكفرايرز « BLACKFRIARS » من سنة ١٦٠٨ ، او انه ساهم في التمثيل في البلاد التي كانت فرقته تجوبها بين دوفر وبرستل ، وبين ريتشمند وكفنتري . بل ليس ثمة ما يثبت انه رافقها الى اسكوتلندا او اوروبا ، او انه عبر البحر خارج انكلترا على الاطلاق .

اما عن مقدرته وبراعته في التمثيل فجميع المصادر وفي طليعتها الاديب والمؤرخ اوبري « AUBREY » تشيد بذلك . وانك لتلمس من تلقين هاملت للممثلين ما يشهد لشكسبير بطول الباع في هذا الفن الرفيع وفهم حاذق تام له (١) . وفي رواية ان اسمه كان في رأس قائمة تسعة ممثلين ساروا في موكب حافل لاستقبال جيمس الاول حين دخوله لندن في ١٥ مارس سنة ١٦٠٤ . وقد ورد

---

١ – مسرحية (هاملت) الفصل الثاني المشهد الثاني .

في مجموعة المسرحيات التي ألفها بن جونسون ونشرها سنة ١٦١٦ ، ما يفيد ان شكسبير مثل بعض الادوار في مسرحيتين لبن جونسون ، هما « كل رجل حسب مزاجه » « EVERY MAN IN HIS HUMOUR » « وسيجانس » « SEJANUS » .

وقد زعموا انـــه مثل دور شخصين من مسرحياته هما الشبح « The Ghost » من مأساة (هاملت) ، وآدم « ADAM » من ملهـــاة (كما تشاء) . بيد انـه انقطع عن التمثيل بعد موت الملكة بوقت قصير ، وأخذ يعد لفرقته حاجتها من المسرحيات ، فمنها ما يضعه وضعاً وهو قليل جداً ، واما الباقي فيقتبس قصته من الادب الكلاسيكي القديم ومن الادب الحديث والتاريخ ايضاً .

ولم يكن يؤذن لغير فرقته بتمثيل اي من مسرحياته ، خلا اثنتين هما « تيطس اندرونيكس » « TITUS ANDRONICUS » والنسخة الاصلية من الجزء الثالث من « هنري السادس » وقد كانت تعرف قبـــلاً (بالمأساة الحقيقية لريتشارد اوف يورك)(١) . فقد مثل الاولى فرقتا الايرل اوف بمبروك « EARL OF PEMBROKE » والايرل اوف سسكس « EARL OF SUSSEX » اما المسرحية الثانية فقد مثلتها فرقة الايرل اوف بمبروك ايضا ، وربما ان الشاعر سمح لهاتين الفرقتين بتمثيل المسرحيتين المذكورتين لانهما لم تكونا من وضعه وحده بل ساهم في تأليفهما شعراء آخرون .

وقد كانت فرقة الشاعر - فرقة اللورد تشمبرلن - أقرب الفرق الى القصر ، وتدعى وحدها لعرض مسرحياتها ، في المواسم والاعياد الرسمية . ففي عيد الميلاد من سنة ١٥٩٤ مثلاً دعي شكسبير وكمب « KEMP » وبربج ، وكلهم ممثلون في فرقـة تشمبرلن ، الى قصر الملكة في قرينج « GREENWICH » لعرض مسرحيتين كانتا تروقان جماعة القصر المثقفين كثيراً ، هما (جهد الحب الضائع) و (كوميديا الاخطاء) . ويزعمون أن أثنين من زملاء الشاعر الممثلين نالا مكافـأة من اللورد تشمبرلن قدرها ثلاثة عشر جنيهاً وستة شلنات وثمانية بنسات لكل منهما ، وان الملكة منحت كلاً منهما ايضاً ستة جنيهات وثلاثة عشر شلنا واربعة بنسات ، وهو

---

١ - (THE TRUE TRAGEDY OF RICHARD OF YORK)

مبلغ لا بأس به اذا علمت ان مجموعه يساوي في الوقت الحاضر نحو مائـــة وستين جنيهـاً تقريباً .

وهكذا ظلت الفرقة التي ينتمي اليهـا الشاعر تعرض المسرحيات في التسع السنين الاخيرة من حكم اليزابث ، ولم تتضعضع تلك الفرقة بمجيء جيمس او يأفل نجم شكسبير كما قد تتوقع ، بل على العكس من ذلك، فقد زاد تألقاً واشعاعاً فأصبحت فرقته تعرف بفرقـــة الملك حسبما جاء في سجل مؤرخ في ١٧ مايس سنة ١٦٠٣ كما ذكرنا في مكان آخر . ويزعمون ان شكسبير لم يمارس التمثيل منذ اعتلاء جيمس العرش ، وان آخر دور مثله هو في مسرحيـة سيجانس « SEJANUS » لبن جونسون سنة ١٦٠٣ .

وقد بلغ عدد زملاء الشاعر في التمثيل نحو خمسة وعشرين ، وردت اسماؤهم جميعا في قائمة يعلوها اسم شكسبير في المجموعة الاولى من مسرحياته « THE FIRST FOLIO » ، ومن اشهرهم جون همنقز « HEMINGES » وقـــد توفي سنة ١٦٣٠ ، وهنري كوندل « CONDELL » الذي توفي سنة ١٦٢٧ ، وكذلك جيمس وابنه ريتشارد بربج .

أما الممثلان الأولان فقـــد قاما ـ كما سترى ـ بجمع مسرحيات شكسبير ونشرها سنة ١٦٢٣ ، وقد كانت قبل هذا موزعة في طبعات صغيرة تعرف الواحدة منها بالربع « QUARTO » .

ويعتقد ان همنقز هو أول من مثل دور فولستاف « FALSTAFF » . امـــا جيمس بربج فقد كان عضواً في فرقة الايرل اوف ليستر سنة ١٥٧٤ ، وهو اول من انشأ مسرحاً من الخشب في لندن سنة ١٥٧٦ ، وفي سنة ١٥٩٦ ابتاع مسرح البلاكفراير « BLACKFRIARS » وهدم التياترو « THE THEATRE » في ديسمبر سنة ١٥٩٨ ونقل جميع ادوات بنائه الخشبية الى الضفة المقابلة من نهر التيمس لينشيء منها مسرح الكرة « THE GLOBE » الذي حرق سنة ١٦١٣ .

اما ريتشارد بربج وهو ابن جيمس المشهور فقد ورث عن ابيه حصته في مسرح

البلا كفراير ، وما كان يملكه من أسهم في مسرح الكرة . وقد عشق التمثيل منذ صغره حتى اصبح بين سنتي ١٥٩٥ و ١٦١٨ ممثلاً حاذقاً كبيراً ، يمثل ادواراً رئيسية من مسرحيات شكسبير وبن جونسون وبيمونت (١) وفلتشر (٢) . وقد برع في تمثيل ابطال المآسي كهملت والملك لير « KING LEAR » وعطيل « OTHELLO » وغيرهم ، وكان جد موفق في ابرازها على المسرح ، حية كما كان الشاعر يحبها ان تكون ، بل اكثر .

شكسبير والشعراء المعاصرون

كان ظهور شكسبير في عالم الشعر ، وائتلاق نجمه في الأوساط الادبية في لندن ، وهو الرجل العامي غير المثقف من معجزات ذلك العصر بل كل العصور بالحقيقة . فقد كان يتنازع الشهرة الادبية وزعامة الشعر فريقان ، الاول مكون من رجل واحدفرد هو كريستوفر مارلو(٣)« Christopher Marlowe » الشاعر النابغة الفحل . والثاني يتزعمه توماس ناش (٤) « Thamas Nash » ، واغلب أعضائه من الشخصيات العلمية الجامعية ، فناش وصحبه تخرجوا في جامعة كمبردج وغيرها من كبريات الجامعات في انجلترا . وبالرغم من اشتداد التنافس والتناحر بين هذين الفريقين ، فقد كان من المسلم به أن مارلو هو الزعيم الادبي والشاعر العبقري ، غير مدافع .

ولكن الخطر كل الخطر ، قد داهم هذه الشخصيات العلمية الجامعية ببروز

---

١ شاعر كبير معاصر لشكسبير (١٥٨٤-١٦١٦) .

٢ شاعر آخر معاصر لشكسبير (١٥٧٩-١٦٢٥) .

٣ يحمل شهادة «م . ع .»(١٥٦٤-١٥٩٣). واول من ابتدع الشعر المرسل « Blank Verse » بالشكل الذي استعمله شكسبير

٤ (١٥٦٧-١٦٠١) .

يمثل من عامة الناس ، لم يكن له شأن من قبل او خطر ، أخذ في تأليف المسرحيات على اختلاف الوانها ، والتجديد فيها ، واعدادهـــا في أول الأمر لفرقة سترينج (Lord Strange's Co.) التي كان (قرين) الشاعر يعمل لها ، والباسها ثوباً أدبياً قشيباً يلائم ذوق الناس في ذلك العصر .

وقد سبق أن نشر شكسبير من قبل قصيدتين مذيلتين باسمه الصريح ، فلفت بذلك اليه الانظار ، وصار الادباء يرمقونه بروح الدهشة والقلق والاشفاق .

كان ذلك في ٣ سبتمبر سنة ١٥٩٢ حين وافى الأجل الاديب المعروف روبرت قرين (١) « Robert Greene » تاركاً بعده مقالاً مخطوطاً (٢) ، تولى هنري تشتل « Chettle » نشره في الثامن من ديسمبر من تلك السنة ، وفيه تعريض بهذا الشاعر الطاريء الحديث الشأن كما سترى . بيد ان تشتل عاد فنشر اعتذاراً من شكسبير وثناء عليه لدماثة خلقه وأمانته الأدبية وسمو فنه . وفي ختـام مقاله يخاطب قرين ثلاثة من المؤلفين المسرحيين من المعتقدانهم مارلو وناش « Thomas Nash » وكذلك جورج بيل (٤) « Peele » ناصحاً أياهم أن ينصرفوا الى غير مسائل التأليف . وفيه ترد العبارة المشهورة التي تشير الى ظهور شكسبير « ذلك الغراب الناشيء ، المتزين بريشنا ، الذي بمجرد قوله (قلب النمر المكتسي جلد الممثل) يعتقد انـه يجيد نظم الشعر المرسل « Blank Verse » كأحسن الشعراء . هذا الشخص الذي يحذق حرفاً عديدة (٥) والذي لغروره بنفسه يظن انه « الشيكسين » « Shakescene » الأوحد في بلده ! »

---

١ - (١٥٦٠ ؟ - ١٥٩٢)

٢ - « A GROATSWORTH OF WIT BOUGHT WITH A MILLION OF REPENTANCE »

٣ - هذا رأي السر سدني لي بيد ان قاموس اوكسفورد الادبي يذكر توماس لودج (١٥٥٨ ؟ - ١٦٢٥) بدلاً من ناش

٤ - (١٥٥٨ ؟ - ١٥٩٧ ؟)

٥ - هي في الاصل هكـــذا « JOHANNES FACTOTUM »

ومن الجلي الواضح أن قرين بذكره (لقب النمر المكتسي جلد الممثل) انما يشير الى وصف شكسبير « لقلب النمر الملتف بجلد المرأة » الوارد في الجزء الثالث من مسرحية « هنري السادس » (١) وقد كانت تعرف قبلا (بالمأساة الحقيقية لريتشارد اوف يورك) . ثم في لفظة (شيك سين) « Shakescene » اشارة واضحة الى اسم شكسبير ، ذلك لما بين اللفظين من تشابه ظاهر . أو قد يكون المقصود بذلك ، ومعنى « شيك سين » «يحرك المنظر او يغير المشهد »غمز الشاعر من طرف خفي ، ونقده باسلوب ناعم هادىء لرجوعه الى النسخة الاولى من هنري السادس التي راجعها وهيأها قرين وصحبه من قبل ، واخراجه نسخة جديدة من تلك الاصلية القديمة .

وربما قصد تشتل « Chettle » باشادته بأمانة شكسبير الادبية واستقامته في ذلك الاعتذار الذي قدمه لشكسبير ان يرد على اتهام قرين للشاعر بانه كان يسطو على آثار غيره الادبية ،ولا سيما المسرحيات التي كان يراجعها قرين وصحبه من الادباء، فيعيد شكسبير النظر فيها مرة ثانية ويعدها للمسرح من جديد.

ومن قول قرين هذا نخرج بثلاث حقائق راهنة :-

أولاً : ان شكسبير كان ممثلا وكاتباً مسرحياً بعيد الصيت ، يملك أسهماً في بعض المسارح الشهيرة ، ويراجع المسرحيات والقصص القديمة ويبيعها للفرق التمثيلية ويتقاضى عنها أجوراً عالية ، ويزاحم في ذلك كل من سبقه أو عاصره من الادباء، ويقطع عنهم سبل عيشهم ، فيموت قرين من جراء ذلك فقيراً معدماً ، فلا عجب ان ملأ بالحسد والحقد والمقت الشديد نفوسهم جميعاً . ولعل المقصود بلفظة «Johannes Factotum» التلميح الى هذه الالوان المختلفة من العمل وأوجه كسب العيش والارتزاق التي كان شكسبير يحذقها ويمارسها في لندن ببراعة وأتقان .

ثانياً : ظهور مسرحية « هنري السادس » بأجزائها الثلاثة التي يقال انها من تأليف قرين ورفاقه ، والتي ربما مسها شكسبير بريشته وأكسبها مظهراً فنياً

---

١ الفصل الاول والمشهد الرابع - السطر ١٣٧

جديداً كما يتبين من نشرها في المجموعة الاولى لمسرحياته سنة ١٦٢٣ .

ثالثاً وأخيراً : ان شكسبير كان في بعض الاحيان بل أغلبها يسطو على بعض القصص القديمة وينهبها في وضح النهار نهباً ليخرج منها مسرحيات جديدة ، وانه لم يكن يحجم في كثير من الاحيان عن مراجعة المسرحيات التي راجعها قرين وغيره من الادباء قبله ويعدها للتمثيل . وهذا واضح من قول قرين : (النمر المكتسي جلد الممثل) ، (والريش الذي استعاره منا الغراب الاسحم ليتزين به) .

أما المسرحيات التي أثارت دهشة قرين وحسده وجزعه معاً فلا يبعد أن تكون (هنري السادس) التي راجعها الشاعر وترك فيها أثراً ظاهراً . فقد لفتت اليها نظر قرين وأقرانه بما فيها من ازدحام الحوادث المتنوعة بشكل لم يعهد من قبل ، وكذلك « تيطس اندرونيكس » التي يعتقدون أن شكسبير لم ينفرد بتأليفها وانما قام بمراجعتها وتصحيحها . وهي مأساة رائعة اذا قيست بمآسي مارلو وتوماس كد (١) « Kyd » التي كانت تعد من أعظم وأنفس ما شاهده ذلك العصر .

وبتأثير ليلي (٢) «John Lyly» طرق شكسبير باباً جديداً في فن الدراما هو الملهاة « Comedy » المفعمة بالمحسنات اللفظية والكناية والاستعارة . وقد كان يحبذ هذا اللون من اساليب الكتابة الناشئون في الادب وهو أبرز ما يتمثل في « جهد الحب الضائع » .

هذه هي المسرحيات التي ألفها شكسبير قبل وفاة قرين فاسترعت انتباهه واجتذبت الى مؤلفها أنظار الادباء والناس جميعاً .

وبعد وفاة قرين بسنة يأفل نجم (مارلو) في سماء الادب ، ثم يقضي « كد » « KYD » نحبه سنة ١٥٩٥ ، ويعرض « لودج » عن الادب وينصرف الى ممارسة الطب ، ويغادر (ليلي) القصر ، وينغمس « بيل » في الملذات وينقطع عن الانتاج الادبي ، ويتحول « ناش » الى أدب الهجو والقصة ، وهذا لا خطر منه ، حتى اذا ما حل عام ١٥٩٨

---

١ - (١٥٥٧ ؟ ١٥٩٥ ؟)

٢ - (١٥٥٤ ؟ - ١٦٠٦)

لم يكن في حلبة الادب المسرحي على الاخص من ينافس شكسبير او يجاريه ، وهكذا ترى كيف يتعاون القدر والعبقرية ويعملان يداً واحـــدة على ايصال شكسبير الى تلك المرتبة الادبية والمادية والاجتماعية الممتازة !

ومن المحال أن تذكر لأديب ما في ذلك العصر مأساة او ملهاة كان لها مـــا لادب شكسبير الدرامي من قيمة او وزن . فـلا عجب ان ترى استاذاً جامعياً كبيراً كفرنسيس ميرز (١) « FRANCIS MERES » يضع شكسبير في مصاف المسرحيين العالميين الذين نبغوا في فني المأساة والملهاة .

فقد وضع سنة ١٥٩٨ كتاباً سماه «بالادس تيميا» « Palladis Tamia » استعرض فيه المجهود الادبي منذ تشوسر « Chaucer » حتى عصر اليزابث ، وتناول بالدرس والبحث ترجمة نحو مائة وخمسة وعشرين أديباً من أدباء الانجليز ، مقارناً بين كل واحد منهم وبين من يشبهه من أدباء العصر الكلاسيكي القديم ، وأدباء الطليان في عصر الرينسانس . وفي هذا الكتاب يشير الى شكسبير مطرياً شاعريته الفذة كما تجلت له في فينس وأدونيس ، وفي لوكريس . ويرى ان شكسبير (العذب والمعسول اللسان) ليس في هذا دون أوفيد (٢) « Ovid » الشاعر الروماني العظيم مؤلف المتامورفوسيس (٣) اوبلاوتس (٤) « Plautus » شاعر الملهاة عند الرومان ، وسنيكا (٥) «Seneca» الفيلسوف الروماني الذي برع في تأليف المأساة .

فيقول ميرز ان شكسبير لا يقل عنهم جميعاً في مسرحياته : - كوميديا الاخطاء ، وجهد الحب الضائع ، وجهد الحب الرابح (٦) ، وسيدا فيرونا ، وحلم

---

١ - (١٥٦٥ - ١٦٤٧)

٢ - [٤٣ ق.م - ١٨ ؟ م]

٣ - (Metamorphoses) مكونة من كلمتين يونانيتين معناها : تبدل الاشياء

٤ - (٢٥٤ - ١٨٤ ق . م .)

٥ - (؟ - ٦٥ م.)

٦ - «L. L. won» - قد تكون نفس المسرحية المعروفة باسم - خير ما ينتهي بالخير - « All's Well That Ends Well »

ليلة في منتصف الصيف، وتاجر البندقية ، وريتشارد الثاني والثالث أيضاً ، وهنري الرابع ، والملك جون ، وروميو وجوليت ، وتيطس اندرونيكس ، وكذلك في قصيدتيه فينس وأدونيس ولوكريس ، وبعض الصونيتات الشائعة بين الخواص من أصدقائه. ويذهب الى أبعد من هذا فيقول (لو ارادت عرائس الشعر The muses ان تختار لها اداة تنطق بها ، لما اختارت غير عبارة شكسبير الجميلة الرشيقة .)

ولهذا القول ولتعداد هذه المسرحيات قيمة مزدوجة : -

الاولى : مجرد ذكرها وعزوها الى شكسبير دون غيره ، وفي هذا رد على الذين يعزون تأليفها الى غيره ، وفيه كذلك دلالة على انه ألفها قبل ان يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره .

والثانية : تألق نجم شكسبير في سماء الادب وازدهار شهرته الادبية في برهة وجيزة ازدهاراً لفت اليه الابصار .

ولم يقف الامر عند اشفاق بعض الادباء ، وقلقهم وجزعهم ، أو ثناء البعض الآخر عليه ، واعجابهم به . فقد وردت اشارات عدة في الادب المعاصر تشيد بذكر هذا الاديب ذي « اللسان المعسول » كما جاء على لسان ميرز ايضاً ، «والعرق الذي يفيض شهداً » ، «والخلق السمح والبال الرضي . »

ولقد كان له في نفس بن جونسون صديقه الاديب ، وثاني الشعراء والمؤلفين المسرحيين بعده منزلة وطيدة راسخة الاثر ، رغم أنه كان يغمزه احياناً ، ويأخذ عليه ما يبدو في أدبه من نقص في الثقافة والعلم .

فانك لا ريب ذاكر تلك القصيدة العصماء التي قدلا يعلو عليها شيء في الرثاء ، وقد نظمها بعد وفاة شكسبير وصدر بها المجموعة الاولى من مسرحياته « First Folio » . وفيها يؤبن الشاعر ويطنب في مدحه ، فيصفه «بأوزة آفون الحلوة» ، «وبأنه روح العصر وفخر المسرح ومسرته» . ثم يضعه فوق تشوسر وسبنسر «Edmund Spenser» وبيمونت ، بل يجعله وحده «تمثالاً فريداً لا ضريح له » . ثم يذكر كيف أن نجم

شكسبير بذلك النور المتألق الساطع قد أخفى ضياء تلك الكواكب الزاهرة في سماء الادب ،أمثال مارلو ، وكد ، وليلي ،وغيرهم من فطاحل الادباء .

وفي هذه القصيدة نفثة من هاتيك النفثات الفريدة الصادقة التي يلفظها احياناً القلب والعقل معاً فتقارب بقوتها وسحرها وروعتها أخلد النبوآت . « فهو يرى لبريطانيا أن تسر وتغتبط أذ انجبت هذا الابن العظيم الذي سوف تبايعه وتطيعه وتخلص له جميع المسارح في أوروبا، وان شكسبير لم يكن لعصر واحد بل للزمان باكمله .»

ولا أظنك بحاجة لشرح ما حققت الايام من هذه النبوءة الرائعة ، فقد أصبح شكسبير منهلاً للادب عذباً ، ونبعاً لا يغيض ماؤه ،وأضحى نجمه يشع في سماء الادب اشعاعاً ،ويتلألأ بالنور الزاهر الدائم ، فيهتدي به الشعراء في انجلترا وفي معظم أقطار العالم أيضاً .

رجل الدنيا الطموح

مهن كان شكسبير يشق طريقه نحو الشهرة والمجد ، بعزم ونشاط ، ويكسب مع الايام ثراء واسعاً ،وجاهاً عريضاً ، كان والده يعاني آلام الفقر والحرمان الشديد حتى سنة ١٥٩٦ . اذ تمكن الشاعر في زيارة قام بها الى ستراتفورد خلال تلك السنة من الاخذ بيد والده ، فيدفع عنه ديونه المتراكمة ، ويعيد الى عائلته بعض منزلتها الاجتماعية الرفيعة . ولا ريب ان الف الجنيه التي وصله بها صديقه النبيل الايرل أوف ساوثمبتون كانت من اكبر العوامل التي مكنته من الاستقرار وجعلت له ذلك المكان الاجتماعي السامي في اعين الناس .

ثم اقدم في سنة ١٥٩٦ ايضاً على تحقيق احدى امانيه العزيزة ،اذ قدم ووالده لكلية هيرالد (Heralds' College) طلباً للحصول على رتبة شرف مع الخلعة الخاصة بها (Coat of Arms) ، باسطاً في طلبه هذا ما اسداه أجداده لهنري السابع من جليل الخدمات ، مستنداً الى سمعة عائلته وصيتها الحسن ، ومتذرعاً بانتمائه بواسطة امه الى اصل نبيل رفيع . ومع انه قدم هذا الطلب سنة ١٥٩٦ ،الا انه لم يحصل على

تلك الخلعة حتى سنة ١٥٩٩ مع رسالة لا تزال النسختان الاصليتان منها في مكتبة هيرالد الى هذا اليوم ، واحداهما مؤرخة في ٢٠ اوكتوبر ١٥٩٦ ، والكلية مارالت تحتفظ أيضاً بالنسخة الثالثة المؤرخة في سنة ١٥٩٩ ، التي تثبت نص الانعام بتلك الرتبة الرفيعة على شكسبير وتخويله حق ارتداء الخلعة الخاصة بها .

ومن المرجح أن الشاعر كان يتقاضى مرتباً عالياً من الفرقة التي كان يعد لها المسرحيات ، ومهما بلغ مقدار هذا المرتب فمن البديهي أنه كان يفوق نصيب غيره من الكتاب المسرحيين . وفضلاً على ذلك ، فأنه كان يجني نحو عشر الارباح من حصته في مسرح الكرة ، والسبع من مسرح البلاكفراير ، ذلك بالاضافة الى هبات القصر وعطاياه الجزيلة حين يعرض فيه المسرحيات من حين الى آخر . وقد سلف الذكر بأنه نال حظوة ومكانة رفيعة في عين الملك جيمس ، وان فرقته التي اصبحت تعرف بفرقة الملك مثلت عام ١٦١١ في القصر نحو خمس عشرة مسرحية جنى منها الشاعر نحو ١٥٠ جنيهاً .

ولقد كان حظ فرقة الشاعر من عطايا القصر وهباته يفوق حظ غيرها كثيراً ويقدرون دخل شكسبير السنوي من التمثيل وحده ولا سيما بين عامي ١٥٩٩ و ١٦١١ بنحو مائة وثمانين جنيهاً ، هذا عدا مادره عليه بيع مسرحياته التي الفها في الخمسة عشر عاما الاخيرة من حياته من الاموال البالغ مقدارها نحو اربعمائة جنيه .

ويعتقد السر سدني لي « Sir Sidney Lee » أن دخل شكسبير السنوي في الحقبة الاخيرة من حياته كان يربو على السبعمائة جنيه ، بينما يرى غيره أنه لم يكن ليقل عن الف جنيه في أغلب السنين .

فلاغرو ان يقوم شكسبير بعد أن أصاب هذا التقدم والنجاح بكل عمل جليل يسعه القيام به لكي يعيد الى عائلته غابر منزلتها الاجتماعية الراقية . ففي ٤ مايس سنة ١٥٩٧ ابتاع بستين جنيهاً بيته المعروف بالمكان الجديد « The New Place » وهو ثاني البنايات الضخمة في ستراتفورد . وقد كان له حديقة غناء اعتنى بها الشاعر ، وقيل انه بيده غرس فيها شجرة توت سنة ١٦٠٩ وتعهدها برعايته وأولاها عناية خاصة حتى نمت وازهرت ، وظلت نامية حتى سنة ١٧٥٨ ، ولما قطعت احتفظ الناس

بآثار منها كانوا يقدسونها ويجلونها لأنها من بقايا الشاعر العظيم .

ثم اشترى في ١ مايس سنة ١٦٠٢ من جون ووليم كومب « Combe » أرضاً تبلغ مساحتها مائة وسبعة فدادين بثلاثمائة وعشرين جنيهاً . وقام بسلسلة من أعمال الشراء لعقار كثير ، لكنه وقع في سنة ١٦٠٥ في مشاكل عويصة معقدة بسبب مبلغ أربعمائة وأربعين جنيهاً دفعه لرالف هيوباند (Ralph Huband) مقابل حصته من ضرائب الاعشار « Tithe » المفروضة على اراض له في ستراتفورد . وقد عثروا على سجل فيه عقد بيع لبيت في لندن يخص هنري ووكر « Henry walker » يبعد نحو ستمائة قدم عن مسرح البلاكفراير ، اشتراه شكسبير في ١٠ آذار سنة ١٦١٣ بمائة وأربعين جنيهاً .

ويقدر السرسدني لي ان شكسبير انفق بين عامي ١٥٩٩ و ١٦١٣ زهاء التسعمائة والسبعين جنيهاً في شراء بيوت وعقار كثير في ستراتفورد على الاخص . الا ان هذا الثراء العظيم ، وما سبب جمعه لشكسبير من مشاكل ومتاعب عديدة لا ريب ساقه للمحاكم مرات عديدة ، وخصوصاً خلال السنوات ١٦٠٠ و ١٦٠٤ و١٦٠٨ و١٦٠٩ . وما يزال في ستراتفورد الى اليوم رسائل لرجالات كبيرة في ذلك العصر ، فيها اشارات تدل على شهرة شكسبير ونفوذه الواسع ، واستعداده الدائم لاعانة أصحابه وأهل بلده حين تعرض لهم حالات من الشدة والضنك والضيق الشديد .

وتستطيع ان تقدر عظم تلك الثروة التي بسببها كسب هذا النفوذ الباهر وأصاب ذلك النجاح البعيد حين تعلم أنها كانت تبلغ من خمسة الى ثمانية أمثال قيمتها الآن . ولا يغرب عن البال انه بالرغم من انصرافه للادب وانطلاقه بمثل تلك الروعة في عالم الخيال والوحي والألهام ، الا ان الباعث الاولي لذلك كما أرى هو اجتناء الرغيف ... لا اكثر ! لعله بعد ان يحصل عليه حصولا كافياً يعود الى ستراتفورد للترفيه عن والده وزوجه واولاده الذين كانوا يعانون ضيقاً وبؤساً وحرماناً شديداً .

بيد ان هـذا السعي الحثيث لالتماس الرزق اولاً ، والخروج منه بثروة مادية وأدبية معاً لدلالة على نجاح شكسبير في الجمع بين الناحيتين المادية والمعنوية . وهو سبيل لا متعدى عنه لكل من نشد السعادة والهنـاء . فالجمع والتوفيق بـين النظري والعملي لمن مظاهر الشخصية النافذة الكاملة . وشكسبير لا شك من هذا الطراز . فأنه رغم ما كان يرتع فيه من بلهنية وينعم به من رخاء وعيش رغيـد خلف وراءه ثروة تربو على الثلاثمائة والخمسين جنيها كما هو واضح من وصيتـه ، وكذلك أثاثاً وعقاراً ، وترك ايضاً على غير نية منه او قصد اسماً مدوياً قدانتشر في الآفاق ، وتراثاً ادبياً خالداً يسير فوق حقب الزمان .

أحداث مؤثرة

الزواج وقد نمت عائلة شكسبير وكبرت ، فمن المحقق أن تكون عرضـة لاحداث مفرحة او محزنة تحل بها من حين الى آخر فتؤثر في نفس الشـاعر تأثيراً بليغاً وتهيج أطرابه . والذي يجلب النظر ، ويستوقف الباحث في هـذه الحقبة من حياته انما هو تلاحق الفواجع وتوالي النكبات التي نزلت بهذه العائلة ، متمثلة بفقدان بعض أبنائها في فترة واحدة قصيرة ، وهي التي في خلالها أسلم للخلود بعض مآسيه الرائعة .

ففي سنة ٨سبتمبر ١٦٠١ دفن والده ، ثم في ٣١ديسمبرسنة١٦٠٧ يموت اخوه الاصغر أدمند« Edmund »الذي كان ممثلاً . وفي ٩ سبتمبر ١٦٠٨ يفقد والدتـه بعد أن عمرت سبعين عاماً ونيفاً ، وتختطف يد المنون أخاه ريتشارد « Richard » في ٤ فبراير ١٦١٣ ، ويتوفى جلبرت « Gilbert » ابن أخيـه جلبرت في ٣ فبراير سنة ١٦١٢ .

وفي ٥ يونيوعام ١٦٠٧ تزوجت ابنته سوسانا « Susanna » طبيباً في ستراتفورد مشهوراً هو جون هول « John Hall » الذي كان يكبرها بنحو ثماني سنين ، وقد

رزقا ابنة سمياها اليزابث . الا ان فتى من ستراتفورد اسمه جون لين « Lane » أشاع عن سوسانا انها تنهج سبلاً منافية للأخلاق الشريفة ، مما دفعها الى رفع أمره للكنيسة ، فكان جزاء الفتى الحرمان الديني .

اما ابنته جودث « Judith » فقد تزوجت في ١٠ فبراير سنة ١٦١٦ أي قبيل وفاة والدها بنحو شهرين ونيف - توماس كويني « Quiney » ابن صديقه ريتشارد كويني ، وكان يصغرها بنحو اربع سنين . وقد جرى الاحتفال الديني بزواجهما خلال الصوم الاكبر ، وفي ذلك مخالفة صريحة لقانون الكنيسة ، مما حدا اسقف ورستر « Bishop of Worcester » الى حرمانها من الكنيسة .

اما أشد النكبات وقعاً على نفس الشاعر فقد حدثت في ١١ اوغسطس سنة ١٥٩٦ في الحين الذي كان فيه شكسبير يؤلف (تاجر الندقية) . فقد رزأه الدهر آنئذ بابنه هامنت في الحادية عشرة والنصف من عمره . فهذه الفادحة العظيمة وما سبقها من فواجع أليمة ومن أوصاب وأتعاب مقلقة مضنية ، لا شك قد ألهبت خيال شكسبير وأرهفت حسه وصقلت نفسه وزادته شجناً على أشجانه . فاكتسب تفكيره ولا سيما أدبه المتأخر لوناً فلسفياً عميقاً .

وهل ثمت من ريب في أن هذه البلية التي أفقدته فلذة كبده كانت من اكبر الحوافز وأقوى البواعث التي هزت نفسه وأثرت في مزاجه وفي أدبه ، وسلكت به سبيل المأساة ، فألف تلك الروائع من المآسي الخالدة التي تعد المثل الاعلى للأدب الدرامي في العالم ؟

وأخيراً الى ستراتفورد

لا نعلم على وجه التحقيق متى عاد شكسبير الى ستراتفورد . وأغلب الظن أن نزوحه عنها لم يكن الى غير رجعة . اذ ثمت دلالة قاطعة على وجوده في لندن

بعد عام ١٦١١ ، حين رحل الى ستراتفورد نهائياً . من هذه الدلائل تعاونه مع فلتشر في تأليف (القريبان النبيلان) (١) ، وكذلك (هنري الثامن) ، والاخيرة لم تمثل قبل عام ١٦١٣ . ومنها ايضاً استمرار تعامله مع مسرح البلاكفراير ، وابتياعه داراً له بالقرب من هذا المسرح في مارس عام ١٦١٣ ، كما ذكرنا في مكان آخر . ويؤيد هذا تلك المخطوطات الثلاث التي عثر عليها العلامة والاس (prof. c. w. wallace) في خريف عام ١٩٠٥ . في مكتب السجلات العامة ، وهي مؤرخة في ٢٦ ابريل ، و١٥ مايس ، و٢٢ مايس سنة ١٦١٥ ، وتتعلق بقضية اقامها الشاعر على ماثياس بيكن (MATHIAS BACON) ، تختص بأملاكه بالقرب من مسرح البلاكفراير . بيد ان المؤرخين لا يتفقون في مسألة حصصه في مسرحي الكرة والبلاكفراير . فمنهم من يرجح انه قطع علاقته بهذين المسرحين حال عودته الى ستراتفورد عام ١٦١١ ، ومنهم من يؤكد انه ظل محتفظاً بها حتى وفاته .

من هذا يتبين بكل جلاء ، ان شكسبير لم ينقطع عن العاصمة البريطانية انقطاعاً باتاً ، وانه كان يعود اليها من حين الى آخر حين تقتضيه الحاجة ، فيمكث فيها كل مرة مدة تقارب الشهر احياناً .

وبالرغم من بعده عن الاوساط الاجتماعية والادبية الراقية في لندن ، فان مسرحياته ظلت تلقى من النظارة في لندن حماساً واقبالاً . فقد جاء ان سبعاً منها عرضت في وايت هول (WHITEHALL) ، بمناسبة زواج الاميرة اليزابث ابنة الملك جيمس من احد الامراء في ٤ فبراير ١٦١٣ .

وقد فرغ الشاعر في الحقبة الاخيرة من حياته في ستراتفورد لمتابعة قضاياه المتعددة ، وجمع ديونه من الناس . وقد اقتضاه ذلك ان يزور المحاكم كمدع او مدعى عليه ، كما ظهر فيها شاهداً كذلك . فقد اكتشف العلامة والاس (٢) ، الذي وردذكره سابقاً ، في مكتب السجلات العامة في لندن ، نص قضية مؤرخة

---

١ - THE TWO NOBLE KINSMEN

٢ - نشرها في مجلة « HARPER'S MAGAZINE » مارس ١٩١٠

في ١١ مايس سنة ١٦١٢ ، كان فيها شكسبير شاهداً . وهي تتعلق بمطالبة ستيفن بيلوت « STEPHEN BELLOT » السيد كريستوفر ماونتجوي « MOUNTJOY » ، والد زوجة بما وعد به ابنته من حصة في التركة ومن صداق . ومن المعارم ان شكسبير كان يقطن بيت ماونتجوي هذا من ١٦٠٢ الى ١٦٠٤ ، وان الشاعر ساعد في تحقيق هـذه المصاهرة ، كما نعلم ايضاً ان ماونتجوي كان يمارس صناعة الشعر المستعار ، وان بيلوت كان مستخدماً عنده من سنة ١٥٩٨ حتى سنة ١٦٠٤ ، وان الشاعر حين دعي لاداء الشهادة بناء على طلب بيلوت ، اجاب بعد حلف اليمين انه لا يذكر ان ماونتجوي وعد شيئاً من ذلك .

وقد ذكر المؤرخ جون اوبري ان شكسبير قضى الخمسة الاعوام الاخيرة من عمره في عزلة وانقطاع ، كما ذكر الكاتب المشهور نيكولاس رو « ان الشاعر انفق الشطر الاخير من حياته كما يتمنى العقلاء ان ينفقوها في هدوء وهناء واجتماع بالاصدقاء ! »

وهكذا يشاء الشاعر ان يعتزل هذه الحياة الصاخبة الحافلة بالاعمال الجليلة ، فيختار البلد الذي كان له فخر انباته ليقضي فيه مساء حياته ، بين أبناء عشيرته واصدقائه .

وصيته

كان يبدو على الشاعر بعض الوهن والعجز في جسمه وعقله معاً ، رغم تصريحه في مستهل وصيته انه يتمتع بصحة جيدة وبذاكرة حادة قوية . مع هذا ، فقد سال شكسبير كاتب دعاوي اسمه فرنسيس كولنز « Francis Collins » ان يسجل له وصيته ، فلبى كولنز رغبته ، وخط النسخة الاولى ، وأعدها للتوقيع في ٢٥ يناير ١٦١٦ . بيد ان هذه النسخة لبثت معلقة بدون توقيع شكسبير حتى ٢٥ مارس ، ذلك لان الشاعر حزن كثيراً لحرمان الكنيسة ابنته جودث « Judith » وزوجها كويني « THOMAS QUINEY » كما ذكرنا سابقاً ، ثم عاد كولنز

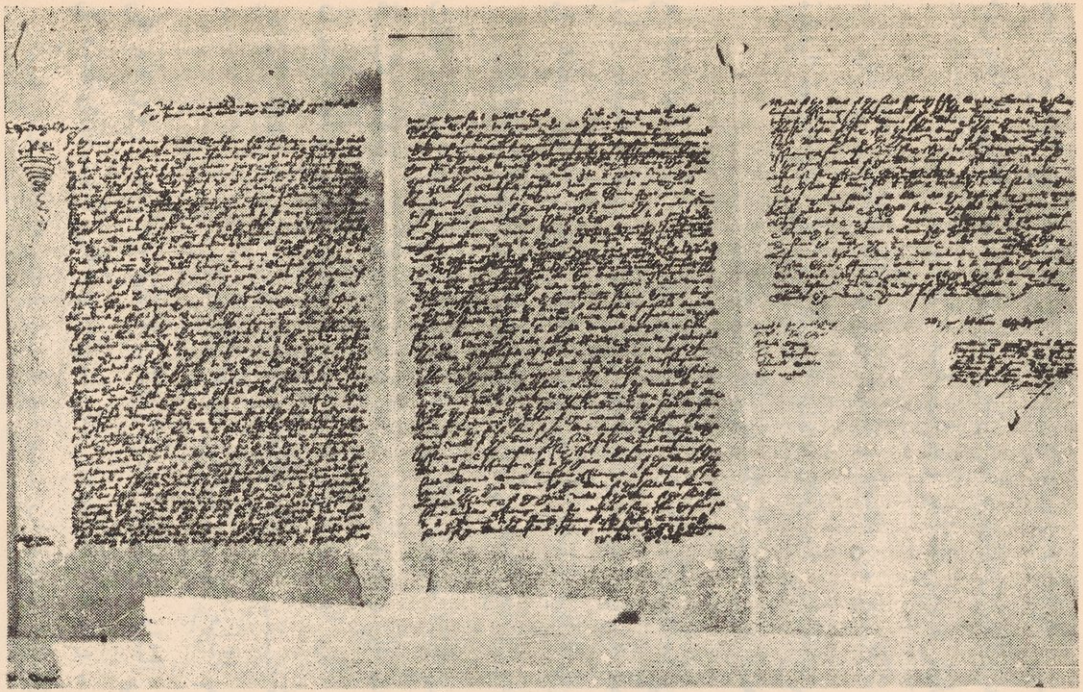

وصية شكسبير

(SHAKESPEARE'S WILL)

(انظر صفحة ٣٧)

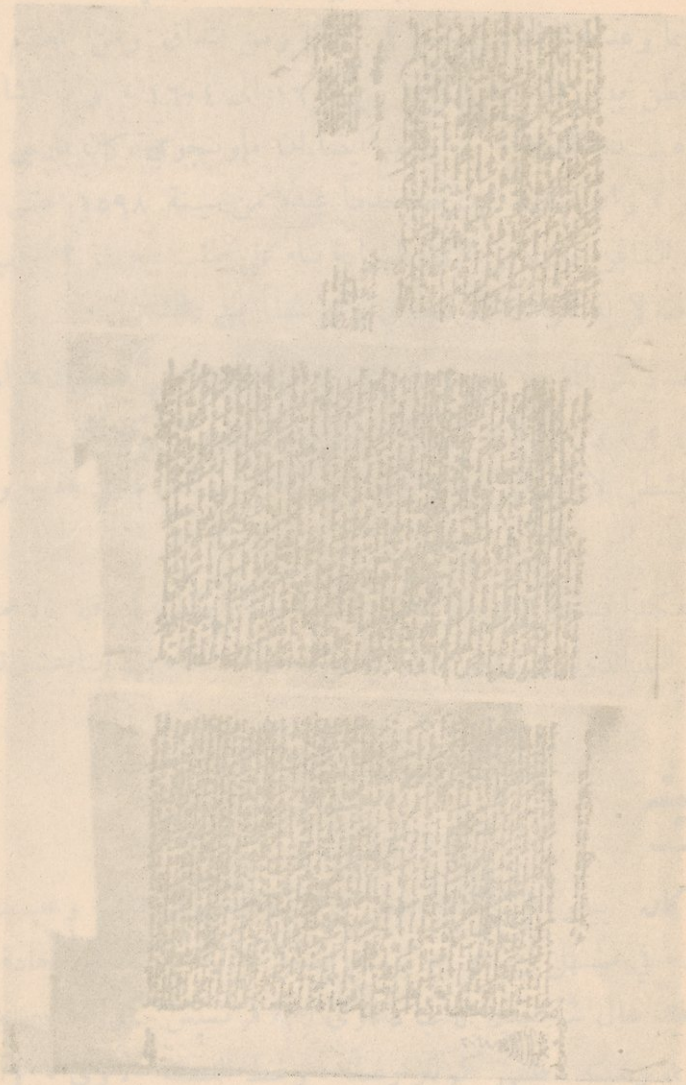

(SHAKESPEARE'S AUTOGRAPH)

بعد هدوء نفس الشاعر الى اعداد الوصية في ٢٥ مارس على ثلاث نسخ ، فوقعها الشاعر جميعها .

وكان فرنسيس كولنز ، بوصفه كاتب البلدة ، شاهداً في الوصية ، اسمه يعلو اسماء اربعة شهود آخرين ، منهم يوليوس شو « JULIUS SHAW » قاضي ستراتفورد ، وكذلك هامنت سادلر صديق الشاعر وعراب ابنه ، كما تذكر .

وتتألف وصية شكسبير من مقدمة وعشرة بنود وخاتمة تتلخص كما يأتي : -

المقدمة : يصرح الشاعر انه يكتب هذه الوصية وهو في تمام الصحة البدنية والذهنية ، ويطلب الرحمة من الله لروحه .

البند الاول : يوصي الشاعر بمئة وخمسين جنيهاً لابنته جودث ، مئة منها تدفع لها حصة عن زواجها ، وذلك بعد وفاة الشاعر بسنة واحدة . اما الخمسون الباقية فتدفع لها بعد ان تسلم البيت الذي تقطنه في ستراتفورد مع جميع توابعه لابنته سوسانا وورثتها من بعدها .

البند الثاني : تتسلم ابنته جودث مئة وخمسين جنيهاً اخرى بعد مرور ثلاث سنوات على وفاة والدها . واذا توفيت بدون عقب تدفع مئة منها الى اليزابث هول ، ابنة سوسانا بنت الشاعر . اما الخمسون الباقية فتستثمر ، وتمنح فائدتها لحنة « JOAN HART » شقيقة الشاعر ويقسم المبلغ على ورثتها من بعدها بالتساوي .

البند الثالث : يوصي الشاعر بعشرين جنيهاً وبلباسه لاخته حنة بعد مرور عام على وفاته . ويخولها كذلك حق الاستمرار بسكنى البيت الذى تقطنه في ستراتفورد شريطة ان تدفع أجرة سنوية قدرها اثنا عشر بنساً .

البند الرابع . يوصي الشاعر بخمسة جنيهات لكل من أبناء شقيقته حنه ، تدفع لهم بعد مرور عام على وفاته .

البند الخامس : يوصي لحفيدته اليزابث هول بجميع آنية بيته ، « ماعدا الطاس الفضي

المذهب العريض »

البندالسادس : يترك الشاعر ١٠ جنيهات لفقراء بلده ، ويوصي لتوماس كومب « COMBE » بسيفه ، ولتوماس رسل « RUSSEL » بخمسة جنيهات ، ولفرنسيس كولنز الذي خط هذه الوصية بثلاثة عشر جنيهاً وستة شلنات وثمانية بنسات ، وذلك بعد عام من وفاته .

البند السابع : يوصي الشاعر بستة وعشرين شلناً وثمانية بنسات لكل واحد من ثمانية من اصدقائه ليبتاع بهذا المبلغ خاتماً . من هؤلاء هامنت سادلر جار الشاعر القديم وعراب ابنه هامنت ، وكذلك زملاؤه في التمثيل : ريتشارد بربج وجون همنقز وهنري كوندل . والاخيران هما اللذان قاما بنشر المجموعة الاولى من مسرحيات شكسبير سنة ١٦١٣ ، كما علمت .

البند الثامن : ولكي تقوم ابنته سوسانا بتنفيذ جميع ما جاء في هذه الوصية ، فانه يوصي لها ببيته في ستراتفورد المعروف بالمكان الجديد « The New Place » مع جميع توابعه من ارض وحدائق واصطبلات وخزائن في ستراتفورد او في القرى والدساكر خارجها . وكذلك ببيت السكن خاصته مع توابعه ، بالقرب من مسرح البلاكفراير في لندن . يوصي بهذا لها ولابنها البكر من بعدها حتى السابع من ابنائها الذكور الشرعيين ، واحداً عن آخر . وفي حالة انعدام هؤلاء ان يعود ذلك الى ورثة الشاعر .

البند التاسع : يوصي الشاعر لزوجه « بسريره الثاني في الحسن ، مع الاثاث » .

« My second best bed with the furniture »

البند العاشر : يوصي شكسبير لابنته جودث بطاسه الفضي المذهب العريض . كما يوصي بجميع مقتنيات بيته من مرهونات وسلع وآنية ومجوهرات الى جون هول وزوجه سوسانا ابنة الشاعر ، وذلك بعد ان تسدد جميع الديون وتدفع نفقات الدفن .

الخاتمة : يعين الشاعر السيدين توماس رسل وفرنسيس كوانز للاشراف على هذه الوصية . كما يعلن الغاءها لجميع ما سبقها من وصايا او وثائق .

ثم يختمها بقوله : واعترافاً بذلك ، فانني اوقع بيدي حسب التاريخ باليوم والسنة ، المذكور أعلاه.

« BY ME » مني

« وليم شكسبير »

ولا حاجة للقول ان من ينعم النظر في هذه الوصية يستنتج ان الشاعر غادر الحياة ثرياً ، وانه كان دقيقاً حاذقاً في تصريف شؤونه العملية وأمور دنياه .

كما نلاحظ انه كان مجحفاً كل الاجحاف بحق زوجه ، اذ لم يورثها عدا سريره شيئاً . وربما كان سبب ذلك بلوغها أرذل العمر حين املائه الوصية ، واعتقاده الجازم بعجزها عن الاشراف على امواله وعقاره . فلا غرو ان يوصي بمعظم تركته — ولا سيما بيته المعروف بالمكان الجديد — لابنته سوسانا ، اذ كان لها بعض ما لابيها من حدة الفهم والذكاء ودقة الحس وحصافة العقل .

بيد ان بعضهم يرى ان العادة كانت تقضي في ذلك العهد بان يذكر الرجل في وصيته ما يخص به زوجه من أثاث ، وان ذلك لم يكن يتعدى في غالب الاحوال الفراش او سرير النوم ، وهذا ما فعله شكسبير في وصيته .

وفاته

في يوم الثلاثاء الواقع في ٢٣ ابريل سنة ١٦١٦ أسدل الستار على هذا الدور الرائع الذى مثله شكسبير على مسرح الحياة . وكانت وفاته في بيته « المكان الجديد » في ستراتفورد ، ودفن يوم الخميس في ٢٥ منه ، حيال المذبح داخل الكنيسة ، وذلك بسبب شهرته الواسعة ومنزلته الرفيعة في نفوس ابناء بلده ، ولانه كان يملك

حصة في ضرائب الاعشار المفروضة على املاك الابرشية المؤجرة .

وقد كان خارج تلك الكنيسة « حجرة موتى » اعتاد الناس ان ينقلوا اليها عظام الموتى وبقاياهم المنبوشة من القبور المجاورة . ولا ريب ان شكسبير لم يفته ان يلاحظ بعينه الدقيقة النافـــذة حفاري القبور وهم يبعثرون عظام الاموات ويعبثون بجثثهم فيخشى ان يحل به مثل ذلك . او انه توقع ان لا يحجم كهنة الكنيسة في المستقبل عن نقل رفاته من الكنيسة الى مكان آخر ، فرأى ان ينظم أبياتاً بهذا المعنى ، واوصى ان تنقش على نصب ضريحه ، قال : —

يا صديقي الطيب ، من أجل يسوع
لا تنبش التربة المدفونة هنا !
وليبارك الله من يترك هذه الاحجار ،
ولتحل اللعنة بمن يحرك عظامي !

ويزعم الكاتب الاميركي العظيم واشنطن أرفنج (١٨٧٣ - ١٨٥٩) « WASHINGTON IRVING » ان هذه الكلمات القليلة حالت دون نقل رفات شكسبير الى مقبرة العظماء في وستمنستر ابي « WESTMINISTER ABBEY » ، اذ طالما دار في خلد الحكومة والجمعيات المختصة بكل شيء عن شكسبير ان تفعل ذلك ، فتؤدي للشاعر واجب الاحترام والتقدير الخالص .

اما سبب وفاته الحقيقي فهو ، كما ذكر جون وورد « WARD » قسيس ستراتفورد في عهد شارل الثاني في مذكرته المشهورة ، ان الشاعرين بن جونسون ومخائيل درايتون « DRAYTON » زاراه في بيته « المكان الجديد » ، فأقام على شرفهما حفلة أنس زاهرة ، شرب في خلالها وافرط ، فأصابته على اثر ذلك حمى شديدة لم تفارقه حتى قضت عليه .

بل منهم من يدعي ان قطيعاً من الخنازير المتجولة كان يلجأ الى مكان بالقرب من بيته فيترك اوساخاً متراكمة ، تنشر في الجو روائح كريهة واقذارا ، ذلك مما حط من قوته وأضعف بنيته ، وعجل في وفاته في تلك السن الباكرة نوعا ما .

والآراء متضاربة في المذهب الديني الذي كان يعتنقه حين وفاته ، فالقسيس ريتشارد ديفز « Richard Davies » يزعم انه المذهب الكاثوليكي ، والسر سدني لي يؤكد انه المذهب الانقليكاني ، وغيرهما يرى انه كان طهرياً « Puritan » وآخرون انه من ذوي المبدأ الحر .

والحقيقة ان المذاهب الدينية كانت في تبدل دائم ، في ذلك العصر . وعقيدة شكسبير الدينية — ككل شيء عنه — غامضة غير معروفة بالتمام ، لهذا ترانا نقف منها موقف الحيرة والاستغراب والاستفهام ، ونظل ، كلما جاء ذكره ، نردد مع ماثيو ارنولد (١) قوله : —

« آخرون يجيبوننا حين نسأل ، اما انت فحر طليق ،
نسأل ونسأل ، فتبتسم وتظل صامتاً ، ايها المعرفة الشامخة ! »

ولم يبق من عائلة الشاعر بعد وفاته سوى زوجه وابنتاه وشقيقه جلبرت « Gilbert » الذي عاش طويلا ، وكان مصدر الزعم بان شكسبير مثل دور آدم « Adam » من مسرحيته « كما تشاء » يوم كان يعنى بالتمثيل .

اما زوجه آن « Anne » فقد توفيت في « المكان الجديد » في ٦ اوغسطس سنة ١٦٢٣ عن سبعة وستين عاما ، وذلك قبل نشر المجموعة الاولى من مسرحيات شكسبير بثلاثة اشهر تقريبا ، ودفنت الى جانبه في ٩ اوغسطس .

أما ابنته سوسانا فقد قضت نحبها في ١١ يوليو سنة ١٦٤٩ عن ستة وستين عاماً مخلفة اليزابث التي تزوجت توماس ناش ، ثم تزوجت بعد وفاته بسنتين جون برنارد الذي كان ارمل ، فصارت تعرف باللادي برنارد « Lady Bernard » وتوفيت في ١٧ فبراير ١٦٧٠ بلا عقب . اما ابنته الصغرى جودث « Judith » قرينة توماس كويني « Thomas Quiney » فقد لاقت حتفها في ٩ فبراير ١٦٦٢ بعد ان فقدت في حياتها ثلاثة ابناء . وبهذا تكون اليزابث او اللادي برنارد آخر فرد من نسل الشاعر .

---

١ — من قصيدته « شكسبير » « Shakespeare »

المجموعة الاولى من مسرحياته (THE FIRST FOLIO)

بعد وفاة شكسبير بنحو سبعة اعوام جرت اول محاولة لجمع مسرحياته ونشرها في كتاب واحد . ولم يكن مطبوعاً منها قبل وفاة الشاعر سوى ست عشرة مسرحية ، ظهرت في طبعات منفردة ، كل واحدة تحوي مسرحيتين او ثلاث ، وتعرف بالربع « QUARTO ». وقد حوت هذه المجموعة عشرين مسرحية جديدة ، فحال ذلك دون تعرضها لخطر التلف او الفقدان . وهكذا تتناول الايدي لاول مرة منذ تأليف هذه المسرحيات مجموعة جديدة لست وثلاثين مسرحية ، اذ لم تكن بينها مسرحية « بركليس »، رغم انها نشرت من قبل .

والعالم مدين بجمع هـــذه المسرحيات للسيدين جون همنقز « HEMING OR HEMINGES »وهنري كوندل « CONDELL »، فقدقاما بذلك في ٨ نوفمبر سنة ١٦٢٣ واطلقاعلى هذه المجموعة اسم « THE FIRST FOLIO » وهمنقزو كوندل هما صديقا الشاعر وزميلاه في التمثيل ، كما تذكر . وكان قد اوصى لهما ببعض المال لابتياع خواتم للذكرى ، كماجاء في وصيته .

وهذه المجموعة مصدرة بمقدمة لهذين الشاعرين تتألف من قسمين ، يخاطبان في الاول منها اثنين من النبلاء هما الايرل اول بمبروك « EARL OF PEMPROKE » والايرل اوف مونتجومري « EARL OF MONTGOMERY » ، وفي القسم الثاني يخاطبان عامة القراء . ويلي هذه المقدمة قصيدة بن جونسون الشهيرة التي بها رثى صديقه شكسبير ، وقد اشرنا اليها في ختام حديثنا عن الشاعر والمعاصرين . وبعدها تجيء ثلاث قصائد ، الاولى مذيلة باسم هيو هولانـد « HUGH HOLLAND » ، والثانيـة للشاعر ل . دقز « L. Digges » ، اما ناظم الثالثة فلم يشأ ان يذكر الا الحرفين الاولين من اسمه ، وهما « I. M. » . ثم تجيء قائمة فريدة باسماء الممثلين الرئيسيين الذين قاموا بتمثيل هذه المسرحيات ، وفي طليعتها اسم شكسبير . وأخيراً تظهر قائمة

باسماء جميع المسرحيات التي تحويها هذه المجموعة ، وفيها اربع عشرة ملهاة، واثنتا عشرة مأساة ، وعشر مسرحيات تاريخية .

وتنفرد هذه المجموعة ، عدا ذلك ، بصورة للشاعر يعتمد المؤرخون عليها نوعاً ما في تخيل مظهر الشاعر وتعيين شكله ، وسيجيء ذكر ذلك حين البحث في رسومه .

والمجموعة الاولى مجلد ضخم يقع أصلًا في ٩٠٨ صفحات يبلغ مقياس اكبرها [١٣ ٣/٨ في ٨ ١/٢] قراريط . وتتكون الكتابة على كل صفحة من عامودين ، يتألف الواحد منهما من ستة وستين سطراً . وقد قام بطبعها وليم جاقرد « William Jaggard » وزميل آخر له ، ويتراوح عدد النسخ التي اخرجاها من الطبعة الاولى بين الخمسمائة والستمائة .

ولا حاجة للقول ان الطبعة الاولى من هـــذه المجموعة كانت مليئة بالاخطاء الاملائية والخطية الكثيرة . وقد يعود سبب ذلك الى غموض او سوء خط الشاعر في المخطوطات الاصلية ، والى الاغلاط المطبعية التي وقعت سهواً ، او الناجمة عن عدم وجود قاعدة هجاء او تنقيط في الكتابة . كما ان بعض الغموض والتشويش اللذين يعتوران بعض الاسطر ناشيء عن تعدد الايدي التي اشتركت في تأليف بعض هذه المسرحيات ، او خطها واعدادها للمسرح ، وكذلك عن تنوع المطابع ودور النشر التي كانت تقوم بنشر هذه المسرحيات وتصحيح مسوداتها دون علم الشاعر او اشرافه .

ولا يغربن عن البال كذلك ان اكثر هذه المسرحيات لم يكن مقسما الى مشاهد وفصول ، كما ان ثماني منها فقط حوت قوائم باشخاص المسرحية ، وكانت عدا ذلك خلوا من الارشادات المختصة بالتمثيل من دخول الى المسرح او خروج منه ، او حركات الممثلين وسكناتهم .

كل ذلك خلق مشكلة لطلاب شكسبير ، وموضوع دراسة خطير ، ما يزال يشغل المؤرخين وسيظل يشغلهم على الدوام .

اما اول محاولة لنشر هذه المسرحية بعد عناية دقيقة وتمحيص تام ، وعلى نهج

علمي حديث فقد قام بها الاديب المشهور « نيكولاس رو » « Nicholas Rowe » شاعر الملك على عهد « جورج الاول » . فقد نشر سنة ١٧٠٩ طبعة مؤلفة من ستة اجزاء ضمنها اول ترجمة حياة محترمة لشكسبير ، وزودها بالملاحظات التي تسهل على القاريء فهم هذه المسرحيات . ومن الواضح ان « رو » أصلح الكثير من الاسطر المشوشة ، كما قام بكل دقة وعناية بتقسيم هذه المسرحيات الى مشاهد وفصول ، واسبغ على هجاء الكلمات والتنقيط طابعاً حديثاً ، وضمنها كذلك ارشادات مسرحية تساعد الممثلين على المسرح .

لهذا كله يعتبر مؤرخو الادب نيكولاس رو من أعظم الكتاب الذين أدوا خدمة خالدة لموضوع شكسبير .

وقد تلت هذه الطبعة طبعات اخرى أهمها التي قام بها سنة ١٧٢٥ الكسندر بوب « Pope » ، زعيم الادب الكلاسيكي في انجلترا ومترجم الالياذة .

وجاء بعده ادباء آخرون ، تناولوا هذه المسرحيات واخرجوها كما شاء لهم فنهم ان يفعلوا ، فزادوا وأنقصوا وعدلوا وشرحوا ، فاتفقوا في بعض الاشياء واختلفوا في اكثرها ، وزادوا بذلك موضوع دراسة مسرحيات شكسبير صعوبة وتعقيداً . من اشهر هؤلاء ثيوبولاد « L. Theobald » سنة ١٧٤٤ ، ووربارتن « W. warburton » سنة ١٧٤٧ ، والدكتور جونسون ، دكتاتور الادب الانجليزي ومؤلف اول قاموس في اللغة الانجليزية ، سنة ١٧٦٥ . وتلا ذلك عشرات الطبعات في انكلترا واوروبا والعالم الانجلوسكسوني ما وراء البحار .

خطه

لم يترك الشاعر اوراقاً تحمل نماذج من خطه خلا ستة تواقيع الأول منها في القضية المتعلقة بزواج ماري أبنة ماونتجوي « Mountjoy » ببيلوت « Bellot » ، وكان الشاعر فيها شاهداً ، كما ذكرنا في حينه . والتوقيع الثاني في قضية شراء بيته الواقع بالقرب من مسرح البلاكفراير في لندن سنة ١٦١٣ . اما الثالث ففي

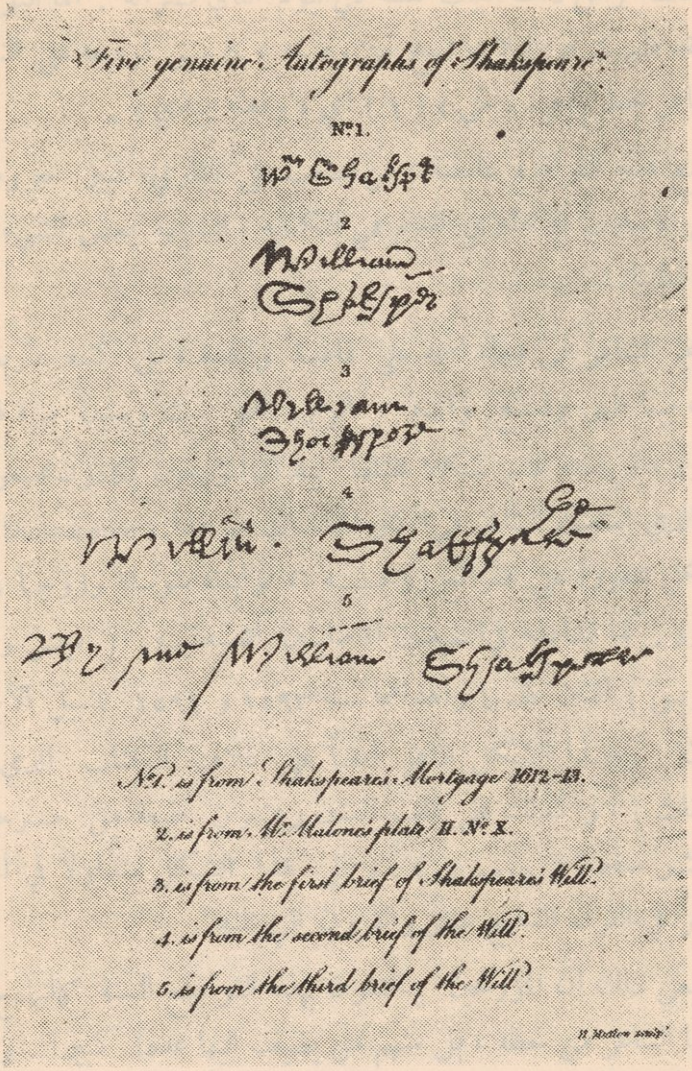

نماذج من خط شكسبير

اشكال مختلفة جرى عليها في هجاء توقيعه (انظر صفحة ٤٥)

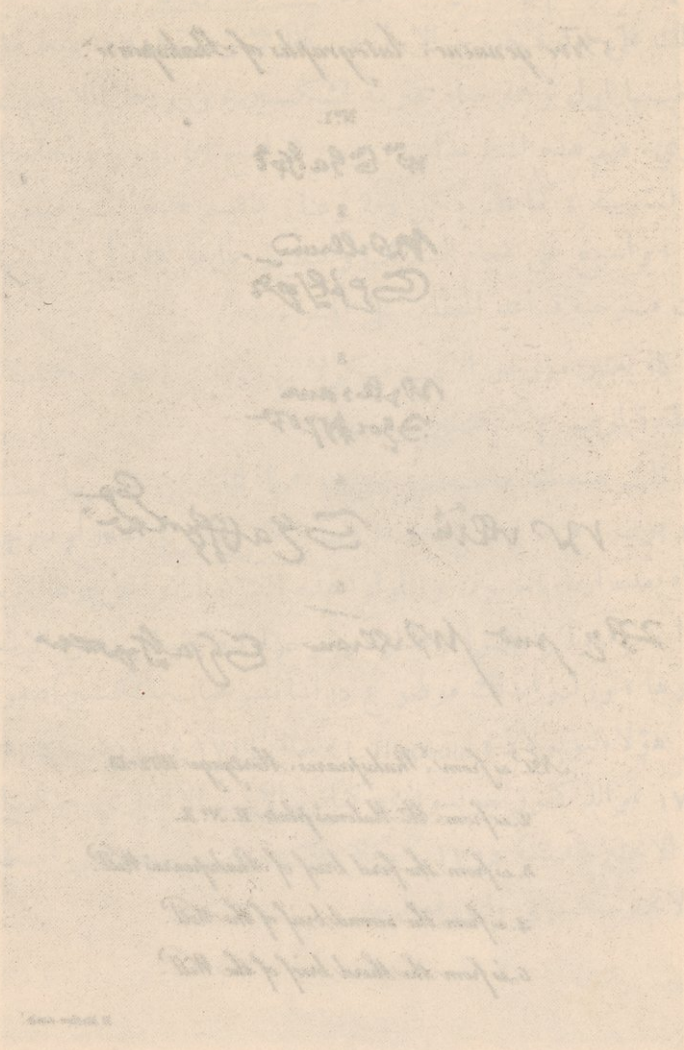

القضية المختصة برهن ذلك البيت نفسه في اليوم التالي لشرائه . اما التواقيع الثلاثة الباقية فقد ظهرت في الثلاث نسخ من وصيته ، كما سبق توقيعه على النسخة الثالثة قول الشاعر بخط يده : « مني » (١) أي « وقعته بيدي » .

وجميع هذه التواقيع غامضة ، من الصعب على القاريء تمييز حروفها التي هي نماذج من الاسلوب الانجليزي القديم في الكتابة ، الشبيهة بعض الشيء بما يستعمل الان في المانيا .

ولم يجر الشاعر في هجاء اسمه على قاعدة واحدة ، بل كتبه بأربعة اشكال مختلفة ، بينما ظهر توقيع والده ، الوارد نحو ست وستين مرة في سجلات ستراتفورد ، في ستة عشر شكلاً مختلفاً . بيد ان المؤرخين يكادون يجمعون على ان التوقيع الذي استعمله الشاعر في اكثر المناسبات هو هذا: « Shakespeare » . ونشاهد هذا الشكل محفوراً على ضرائح زوجه ، وابنته سوسانا وزوجها في كنيسة ستراتفورد . كما نشاهده في الطبعتين الاصليتين لقصيدتيه (فينس وأدونيس) (ولوكريس) اللتين نظمها وأهداهما سنة ١٥٩٣ و ١٥٩٤ للنبيل الايرل أوف ساوثمبتون . وهذا الشكل ظاهر ايضاً على غلاف الكتاب الذي حوى (الصونيتات) ، وكذلك على غلف اثنتين وعشرين طبعة من مسرحياته حين كانت تنشر منفصلة (QUARTO) . وظل هذا الشكل متداولاً في اغلب مانشر عن الشاعر في القرن السابع عشر والقرون التي تلته .

ولا يعني ذلك ان المؤرخين يكتفون بهذه التواقيع الستة كالنماذج الوحيدة التي تركها الشاعر من خطه ، بل منهم من يضيف اليها عدداً كبيراً . واخشى ان تتطور مسألة دراسة خطه فتكون موضوع بحث وتحقيق قد يظل يشغل الناس ، كما يشغلهم اي شيء آخر خلفه الشاعر وراءه حين رحل عن هذه الدنيا ، فأراح نفسه ولم يرح الناس

---

١ - (BY ME)

رسم الشاعر

ومن الصعب التحقق من مظهر شكسبير او تعيين هيئته وملامحه ، رغم ادعاء أوبري (AUBREY) انه كان وسيم الخلقة ، وجميل الصورة والمظهر .

وليس لدينا في الواقع سوى مصدرين اثنين يمكننا الاعتماد عليهما في التأكد من مظهره الصحيح ، ألا وهما الرسم الذي ظهر له في المجموعة الاولى لمسرحياته سنة ١٦٢٣ ، وتمثاله النصفي ، المنصوب فوق ضريحه في كنيسة ستراتفورد . وكلاهما محاولة لابراز مظهر الشاعر وهيئته ، من يد ليست على الفن من شيء .

أما التمثال النصفي فهو أقدم المرجعين ، وقد صنعه النحات جاريت جونسون (GARRET JOHNSON) الاصغر ، وشقيقه نيكولاس صانع الانصاب ، وهما من اصل هولاندي ؛ ومن المحتمل انهما عرفا شكسبير شخصياً ، وانطبع شيء من صورته في مخيلتهما ، بيد انهما اعتمدا في الغالب على اوصاف اصدقائهما له .

والتمثال ليس بالنتاج الفني الدقيق ، كما ذكرنا . فالجبهة الصلعة المستديرة ، والوجه العريض الطويل ، والذقن المنتفخة ، والشفة العليا الطويلة ، والخدان المتلئان ، والشعر الكثيف الغامر أذنيه ، كل ذلك مجتمعاً لا يكسب الخلقة مظهراً حياً ، او يوحي بشيء عن مقدرته العقلية الخارقة . وقد كان هذا التمثال ملوناً في الاصل ، بعينين ربما كانتا جوزيتي اللون ، وشعر نحاسي ؛ بيد ان هذه الصباغة بهتت وزالت مع مرور السنين ، ولم يبق منها مايشفي غليل الباحث في تعيين اللون الاصلي والملامح الصحيحة لشكسبير .

مع هذا فقد زار الكاتب الاميركي واشنطن ارفنج (WASHINGTON IRVING) ستراتفورد ، وشاهد هذا التمثال ، ويصرح انه تأثر بما بدا على الشاعر من علائم المرح والهدوء ، وكذلك بالجبين الصلت العريض . وقال انه يستطيع ان يقرأ في التمثال دلائل نفس أنيسة ، وادعة ، منطلقة ، تميل الى الاختلاط بالناس

وانه يلمح فيه أمارات النبوغ الذى تجلى في هـــذا التراث الادبي الذي شغل العالم المتمدين ،وما يزال يشغله طول الحيـاة .

أما الرسم الذي ظهر للشاعر في المجموعة الاولى من مسرحياته فليس بالكامل. وهـــو مقتبس عن صورة محفورة لنحات من أصل بلجيكي اسمه دروشاوت (DROESHOUT) ، وكان عمره حين وفاة شكسبير نحو خمسة عشر عاماً ، ومن غير المرجح أنه عرفه شخصياً .

ومما لا ريب فيه انه أتم رسم الشاعر قبل ظهوره في المجموعة الاولى سنة ١٦٢٣، ولهذا فانه لا ينتمي الى طور البراعة والمقدرة والنضوج الفني في حياة هذا الشاب. فالوجه في هذا الرسم يبـــدو مستطيلا ، والجبهة عالية ، أما الأذن الظاهرة فبلا شكل . وواضح كذلك أنه صليع في مقدمة الرأس ، لكن الشعر ينسدل بغزارة فوق صدغيه ، فيخفي احدى الاذنين وبعضاً من الثانية . ولا يبدو في هـــذه الصورة سوى شارب بسيط ، وشيء من شعر اللحية تحت الشفة السفلى .

أما لباسه كما يمثله هذا الرسم فأشبه ما يكون بلباس الطبقة الارستقراطية في ذلك العصر . وهذا واضح من الياقة الصلبة العريضة التي تخفي العنق ، والجبة ذات الازرار المتقاربة ، والموشاة الكتفين .

وقد أوحى هـذان الانتاجان الفنيان بقيام بعض الافراد بين حين وآخر ، وادعائهم انهم يملكون صوراً وتماثيل تبين مظهر الشاعر وهيئته الحقيقية أكثر من غيرها . واشهر هذه الرسوم التي لفتت اليها الابصار (صورة قصر ألي) (١) (وصورة الزهرة) (٢) ، (وصورة شاندوس) (٣) (والتمثال النصفي لنادي قاريك) (٤) وغيرها .

---

١ – Ely Palace Portrait

٢ – Flower portroit

٣ – Chandos

٤ – Garrick Club Bust

وحسبنا هذا الاضطراب والتباين والاختلاف في تعيين مظهر شكسبير دليلا على جهل الناس لهيئته الحقيقية . وبهذا يضاف لغز جديد الى الالغاز الكثيرة عن موضوع « شكسبير »، التي يسعى الكتاب والباحثون جاهدين - ربما عبثاً - الى التمكن من حلها .

الفصل الثاني

شكسبير منذ وفاته

وحسبنا هذا الاضطراب والتباين والاختلاف في تعيين مظهر شكسبير دليلا على جهل الناس هيئته الحقيقية . وبهذا يضاف لغز جديد الى الالغاز الكثيرة عن موضوع « شكسبير » التي ينعم الكتاب والباحثون جاهدين . وبا عبثاً — الى التمكن من حلها .

ذيل الصفا

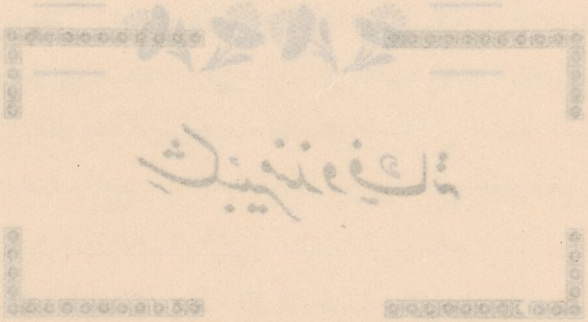

لم تبلغ كتابة التراجم في عهد اليزابث ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر من الجمال وروعة الفن والاتقان ، ولم تكن تتسم بالطابع العلمي الدقيق الذي نلمسه في التراجم الحديثة . اذ يستطيع الباحث في هذا العصر الرجوع الى مصادر أولية موثوق بصحتها ودقتها التاريخية حين يقوم بوضع ترجمة أي عظيم من عظماء العالم .

ولهذا فليس غريباً ان تحوي التراجم الموضوعة لشكسبير ، الصحيح والزائف مما ذكره التاريخ ، وتناقلته الرواة من المعلومات اليسيرة والاخبار المتقطعة ، والحقائق المضطربة المشوشة . ومع وفرة ما كتب عنه وجمع ، فان ترجمته ما تزال ناقصة ، هزيلة ، مفككة الاجزاء ، مبعثرة الحلقات . بل ان

حلقات مفقودة

الكثير من هذه الحلقات مايزال مفقوداً ، يسعى الباحثون جاهدين آناء الليل واطراف النهار ، الى كشف القناع عنها ووصلها معاً ، بالدرس المجهد والتحقيق المتواصل .

ولم يلفت شكسبير اليه أنظار أهل زمانه ، بقدر ما لفت أنظار المتأخرين . فشهرته الادبية ، والولع بدراسة حياته وادبه هما في نمو مطرد متواصل مع الايام . ومنذ القرن السابع عشر ، ولا سيما النصف الاخير منه ، حين استفاق الناس على هذه الشخصية الهائلة وبدأوا يحسون انهم ازاء الثمرة الحقيقية اليانعة لعبقرية الامة الانجليزية ، اقول منذ بدأ شكسبير يجتذب اليه شعور الناس بالتقدير والاكبار ، والأدباء والمؤرخون دائبون في اعداد ترجمة له ، وافية الاجزاء ، محبوكة الاطراف ، حتى اصبح ما كتب عنه يفوق ما كتب عن اي عظيم آخر ، واضحى لدى الباحث في حياته ونتاجه من التراث الادبي والتاريخي والفني ما يملأ مكتبة كبيرة بكاملها (١) .

ولقد حاولت في الصفحات السابقة ان اسرد لك سيرة شكسبير بأسلوب أقرب

---

١ = يقول السر سدني لي ان عدد الكتب المتعلقة بشكسبير في مكتبة (كوخ آن هاثاوي) في ستراتفورد بلغ عام ١٩٢٥ نحو عشرة آلاف

شخصية تاريخية

الى القصة منه الى التحقيق العلمي المجرد ، مجملاً في ذلك معظم الحقائق المثبوتة والمعروفة ، كما تداولها مؤرخو الادب في مختلف الازمان ، وكما أفادت السجلات الرسمية والروايات المنحدرة عن ذلك العصر وما تلاه من عصور . وهذه الحقائق على كثرتها، موزعة مبعثرة ، غير متسقة ، كما يبدو لك ، لا تشفي غليل الباحث او تعينه في مهمته الشاقة . لكنها مع ذلك لا تدع مجالا للشك بأن شكسبير شخصية حقيقية تاريخية ، عاشت بالفعل و مثلت ذاك الدور المهم ، بل المشرف للجنس البشري بأجمعه .

* * *

اما الروايات المذكورة في المصادر الاولية فتسجل النواحي البارزة من حياة شكسبير ، وما تخللها من أحداث ظاهرة، بيد انها لا تساعد على فهم نفسيته وميوله واخلاقه ، كما لا تتعرض للحقبة الطويلة التي قضاها بين خروجه من المدرسة وذهابه الى لندن .

غير ان هذا الفراغ الذي يستشعره الباحث في حياة شكسبير ليملأ الشطر الاكبر منه أدب جم واسع ، نشره الكتاب والباحثون الذين عنوا بهذا الموضوع منذ القرن السابع عشر .

وفي طليعة هؤلاء ، ومن يعتبر في رأي طلاب شكسبير ثقة ومرجعاً كبيراً، الاديب توماس فلر (١) « Thomas Fuller » صاحب كتاب « فضلاء انكلترا » (٢) الذي ظهر بعد وفاة مؤلفه بعام واحد. وايضاً الاديب جون أوبري (٣) « John Aubrey » وقد ورد ذكره في هذا الفصل اكثر من مرة ، وهو مؤلف كتاب « تراجم مشاهير من الرجال » (٤) ، جمعه بين عامي ١٦٦٩ و ١٦٩٦ ، وصدرت منه

---

١ — ١٦٠٨ — ١٦٦١

٢ — « Worthies of England » ظهر عام ١٦٦٢

٣ — ١٦٢٦ = ١٦٩٧

٤ — « Lives of Eminent Men »

طبعات كثيرة ، احدثها عام ١٩٣١ ، كما اعتقد .

أما قيمة كتاب (فلر) ففي البدء بتأليفه منذ سنة ١٦٤٣ ، حين كان ذكر الشاعر ما يزال يتردد على ألسنة المعارف والاقرباء والاصدقاء .. وفي هذا الكتاب يتناول (فلر) مزاج شكسبير وطبعه مما لا يتعرض له كاتب آخر . فيصفه بقوله « انه رغم ميله للظرف والمرح والدعابة، فانه بمقدوره ان يكون رزيناً ، وقوراً ، اذا شاء ! » ويصف منافراته الادبية الكثيرة مع بن جونسون وصفاً طريفاً شائقاً ، فيشبه بن جونسون بمركب اسباني ضخم ، بطيء الحركة ، غير قابل للكر والفر ، والمناورة والمداورة. اما شكسبير فيشبهه بمركب حربي انجليزي ، خفيف الوزن ، سريع الحركة ، رشيقها . فيقول « انه بسبب سرعة خاطره ، وحدة فطنته وذكاء فؤاده ، قادر على الجري مع كل مد وجزر ، واستغلال كل ريح تهب من أية ناحية لفائدته ! » ومع انه يشهد لشكسبير بالذكاء الفطري النادر ، الا انه يضع بن جونسون فوقه علماً ومعرفة .

توماس فلر

اما كتاب (اوبري) فيمتاز بانفراده بأحاديث ومزاعم لا نعلم مبلغها من الصحة والواقع . فقد اتصل هذا الاديب بوليم بيستن « BEESTON » ابن احد ملاء الشاعر في تمثيل مسرحية « كل رجل حسب مزاجه » لبن جونسون ، والذي عاش حتى عام ١٦٨٢ . وعن هذا الممثل العجوز ، الذي سماه درايدن « تاريخ المسرح » (١) ، وعن ممثل آخر هو صديق لوليم بيستن ، اسمه جون ليسي « Lacy » ومن مصادر متفرقة جمع (أوبري) مادته عن شكسبير ، وعن غيره من الشعراء الذين عالجهم في مؤلفه القيم .

جون أوبري

فهو يذكر ان شكسبير كان يحذق التمثيل ، ويجيد اللاتينية لانه كان في شبابه معلماً . ثم يصفه بوسامة الشكل ، وحسن الشارة ، وعذوبة الروح ، وسرعة الخاطر ، وكذلك بميله الغريزي للحياة الاجتماعية .

---

١ - (The Chronicle of the Stage)

ويقول ان شكسبير مارس القصابة ، وانه كان له في ستراتفورد رفيق ، هو ابن قصاب أيضاً ، لم يكن ليقل عنه فطنة وذكاء ، لكنه توفي في ريعان الشباب. واوبري أول من قال ان شكسبير كلما قام بذبح عجل ، القى في اثناء ذلك خطاباً بليغ الاسلوب ، كما أكد الزعم القائل بان وليم بن جون ديفاننت صاحب « فندق التاج » في اوكسفورد ، حيث كان الشاعر ينزل في أثناء ذهابه الى لندن او ايابه منها ، هو بالحقيقة ابن شكسبير ! وقد اشرنا الى ذلك في مقال سابق (١) .

أما ونحن في مجال الحديث عن ديفاننت فلا بأس من سرد القصة التي أوردها المحامي جون مانجهام (٢) « Manningham » عن سيدة هي في رأي بعض المؤرخين « جين » زوج جون ديفاننت ذات السحر والدلال ، التي كان يجد شكسبير في لقائها والتحدث اليها لذة واستمتاعاً .

فقد جاء في مذكرته بتاريخ ٣ مارس ١٦٠٢ ، وفي الحين الذي كان فيه ريتشارد بربج الممثل الشهير وزميل شكسبير يقوم بتمثيل دور « ريتشارد الثالث » ، انه كان بين النظارة سيدة فتنها تمثيله ، بل في الواقع أحبته نفسه ، وقبل أن تبارح المكان أشارت عليه بزيارتها في بيتها تلك الليلة ، على ان يتخذ اسم « ريتشارد الثالث » أثناء الزيارة ! بيد ان شكسبير الذي لا تفوته شاردة سمعها وهي تفضي اليه بذلك ، فسبقه اليها وقضى وقتاً ممتعاً ! ثم حضر بربج في الوقت المعين ، وبعث اليها بمن ينبؤها بمقدم « ريتشارد الثالث !.. » فرد شكسبير من الداخل « قل له ان وليم الفاتح ، قد جاء قبل ريتشارد الثالث ! »

* * *

---

١ - راجع صفحة ٢٠ من هذا الكتاب

٢ - انظر صفحة ٢١٢ : ج ٢ من كتاب « وليم شكسبير : دراسة حقائق ومشاكل » للسر أدمند تشمبرز »

ريتشارد بربج

(Richard Burbage)

أشهر من قام بتمثيل الادوار الرئيسية من مآسي شكسبير في عصره

(انظر صفحة ٢٤)

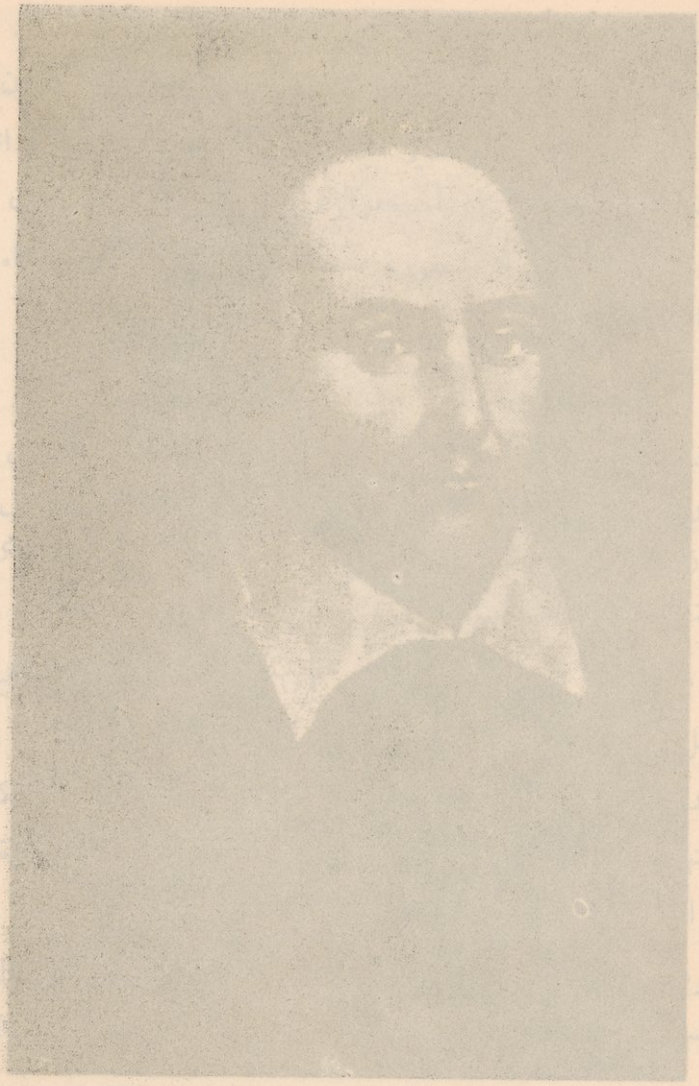

(Richard Burbage)

وهناك مرجع آخر لا يثق فريق من النقاد ومؤرخي الادب كثيراً بالاخبار التي أتى بها ، بسبب الاسلوب غير العلمي الذى انتهجه في جمعها، اعني به جون وورد (١) « John ward » كاهن ستراتفورد من سنة ١٦٦٢ الى ١٦٦٨ .

جون وورد

فقد سجل هذا الكاهن بين عامي ١٦٦١ و١٦٦٣ كل ما استطاع التقاطه من الاحاديث والروايات الشائعة على ألسنة أقارب شكسبير واصدقائه . ومنه نعلم انه كان للشاعر ابنتان ، وانه كان نادر الذكاء الطبيعي (وانما بغير فن !) وانه كان يهوى التمثيل شاباً ، لكنه انقطع عن ذلك حين آب الى ستراتفورد في آخر حياته . وانه كان يقدم للمسرح كل عام مسرحيتين من تأليفه ، وان دخله كان من جراء ذلك عظيما ، حتى بلغ ما كان ينفقه نحو الالف جنيه كل عام . ثم يذهب الى الاعتقاد بان موته نتج عن حمى لازمته منذ تلك الليلة التي شرب فيها مع صديقيه الشاعرين بن جونسون وميخائيل درايتن في بيته «المكان الجديد» في ستراتفورد.

وقد تردد ذكر شكسبير في اقوال الكثيرين من كتاب القرن السابع عشر كأنطوني وود (٢) « Anthony Wood » ، مؤرخ بلدة اوكسفورد ، ومفند الاشاعة عن علاقة شكسبير بجين ديفانت (٣). وكذلك ريتشارد ديفز (٤) « Richard Davies » الذي زعم ان شكسبير توفي بابوياً (٥) كما شرح وليم هول « Hall » في رسالة بعث بها في أواخر القرن السابع عشر (٦) الى احداساتذة او كسفورد السبب الذي حفز شكسبير الى نظم الابيات المنقوشة على ضريحه، والتي من أجلها رأوا ان ينزلوا رفاته في حفرة يبلغ عمقها سبعة عشر قدماً ،

انطوني وود ، ريتشارد ديفز ، وليم هول

---

١ - ١٦٢٩ - ١٦٨١
٢ - ١٦٣٢ - ١٦٩٥
٣ - راجع صفحة ٢٠ من هذا الكتاب
٤ - ١٦٨٨ - ١٧٠٨
٥ - راجع صفحة ٤٢ من هذا الكتاب
٦ - حوالي عام ١٦٩٤

فيحولوا بذلك دون اخراجها ونقلها الى «حجرة الموتى» ، كما خشي شكسبير جهلاء الكهان والرهبان ان يفعلوا به بعد موته .

وهنالك عشرات الكتاب والمؤرخين وحتى الشعراء الذين تصدوا لذكر شكسبير في كتاباتهم واشعارهم ، ووصفوا لمحات من اخلاقه وبعض مظاهر حياته . وقد احاط بها كلها تقريباً ، وجمعها العلامة الكبير السر ادمند تشمبرز (١) في سفره العظيم « وليم شكسبير : دراسة حقائق ومشاكل » (٢) ، ويستطيع من اراد التفصيل أن يرجع اليه .

* * *

على هذه اللمحات العابرة و،الاشارات المبعثرة،والاحاديث القصيرة الموزعة ،بنى كتاب القرن السابع عشر وما بعده من القرون دراساتهم لشكسبير ، واليها استندوا في وضع التراجم الطويلة له .

نيكولاس رو

وفي طليعة هذه التراجم ،ومن اكثرها اتساقاً ودقة وتمحيصاً للحقائق،تلك الترجمة التي كتبها الاديب المعروف نيكولاس رو(٣)« Rowe ». وقد ذكرنا انه كان شاعر الملك على عهد جورج الاول ، وانه قام بنشر مجموعة مسرحيات شكسبير عام ١٧٠٩ (٤) .

فقد نشر مع هذه المجموعة ترجمة ممتازة لشكسبير ،تعتبر فتحاً أدبياً جديداً لما اتسمت به من روح البحث العلمي الدقيق ، وكذلك نبراساً اهتدى به مؤرخو الادب في دراستهم حياة شكسبير،منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا.

---

١ - ولد عام ١٨٦٦

٢ - « william shakespeare : A Study of Facts and Problems »

٣ - ١٦٧٤ - ١٧١٨

٤ - راجع صفحة ٤٥ من هذا الكتاب

فرو يسرد حقائق راهنة ، مسندة الى مصادر شخصية أولية ، كالممثل الكبير توماس بترتن (١) « Betterton » ، وهو قريب العهد من شكسبير ، ومن المتحمسين لدراسة أدبه ، وممن مثلوا ادواراً رئيسية من مسرحياته . كما تكاد زوجه تكون أول ممثلة معتبرة اعتلت خشبة المسرح في انكلترا منذ عام ١٦٦٠ حين اذنوا للنساء بالمساهمة في التمثيل . بل انها في الواقع اول امرأة قامت بتمثيل سلسلة من الادوار النسائية الكبرى من مسرحيات شكسبير ، كالسيدة ماكبث وجولييت (٢) « Juliet » وأوفيليا (٣) « Ophelia » . وقد استند بترتن في معلوماته عن الشاعر الى جوزيف تيلر « Taylor » ، وجون لوون « Loiwn » .

وقد كان لرو مصدر آخر له قيمته ، هو السر وليم ديفاننت (٤) بن جون ديفاننت صديق شكسبير ، كما تذكر . فالسر وليم هوسندرو في الرواية القائلة بان أيرل اوف ساوثمبتن منح شكسبير في حين من الزمن الف جنيه « ليتمكن من شراء حاجة كان يطمع فيها ! »

ورو يستعرض أكثر الاحداث البارزة في حياة شكسبير ، كادخاله المدرسة ، واخراجه منها لاعانة والده على الحياة القاسية . وكحادثة سرقة الغزال من متنزه السر توماس ليسي « Thomas Lacy » مما اضطره للارتحال عن ستراتفورد بعد ان هجا خصمه النبيل بقصيدة لاذعة ، من المظنون انها أول نتاجه الادبي (٥) .

وذكر رو ان شكسبير بلغ من التمثيل درجة عالية من البراعة ، ولا سيما في دور الشبح « The Ghost » من مسرحية « هاملت » . وأطرى كذلك طلاقته الانشائية ، وامتدح اخلاقه العذبة وحسن معشره . ووصف عطف الملكة اليزابث وحدبها

---

١ — ١٦٣٥ ؟ — ١٧١٠

٢ — في مسرحية « روميو وجوليت »

٣ — في مسرحية « هاملت »

٤ — ١٦٠٦ — ١٦٦٨

٥ — يقول رو ان هذه القصيدة مفقودة

النواحي الغامضة في حياة شكسبير .

ولا بد من الاشارة الى كتابين استعنت بهما في تحضير مواد هذا الفصل . اولهما « حياة وليم شكسبير » (١) للسر سدني لي (٢) ، وفيه ينحو الكاتب منحى علمياً حديثاً ، مجرداً من شطط العاطفة والخيال . وقد صدرت منه الطبعة الرابعة عشرة والاخيرة سنة ١٩٣١ ، وتعد من اهم المراجع الحديثة عن الشاعر ، رغم ان طابع مؤلفها التحفظ والتشكك ـ شأن اهل العلم ـ في بعض ما يورده من الحقائق والآراء .

السر سدني لي

اما الثاني ، وقد اشرنا اليه قبل قليل ، فهو كتاب « وليم شكسبير : دراسة حقائق ومشاكل » بقلم العلامة الكبير السر أدمند نشمبرز « Sir Edmund Chambers » . وهو من اثمن ما عثرت عليه من الكتب الحديثة عن سيرة الشاعر . ذلك لانه سجل واف لكثير من الوثائق المتعلقة بحياة شكسبير ، والاشارات الواردة عنه عمداً او عرضاً في كتابات المؤرخين والادباء منذ عصره حتى زمن متأخر . لهذا يكاد يجمع طلاب الادب الانجليزي على انه من اكفأ المراجع الحديثة عن حياة الشاعر . وأنه لحليق بكل أديب يعنيه أمر شكسبير ان يقتني هذا السفر القيم .

السر ادمند نشمبرز

* * *

هذه نظرة عابرة ، بل محاولة يائسة لاستكشاف الينابيع الاصلية التي منها استقى مؤرخو الادب معلوماتهم عن شكسبير جيلاً بعد جيل ، واستعراض المصادر الاولية التي اليها رجعوا ، وبها استعانوا في اعدادهم ترجمة لشكسبير ، شبه وافية ، ومتصلة الحلقات .

النقد الادبي

---

١ - « A Life of William Shakespeare »

٢ - ١٨٥٩ - ١٩٢٦

ومن الواضح الجلي انني الى الان لم اتعرض لناحية النقد الادبي من هـذا الموضوع الخطير بشيء قليل او كثير . لانه موضوع خاص ، مستقل بذاته ، وخارج عن نطاق بحثنا ، وهو وحده يحتاج كتاباً بل اكثر من كتاب .

بيد ان ذلك لا يمنعني ، وقد شارفت نهاية هـذا البحث ، من رسم الخطوط العريضة لهذه الناحية من الدراسة ، وذكر اسماء بعض النقاد البارزين مما اشغلهم ادب شكسبير منذ عصره حتى اليوم .

واتماماً للبحث وتبسيطاً له ، احب ان اعود بك القهقرى الى عصر شكسبير ذاتـه ، مذكراً اياك باقرب الادباء منه عهداً ، واكثرهم به معرفة واتصالاً ، واشدهم بظهوره شعوراً . واول هؤلاء ، كما تذكر ، الشـاعر روبرت قرين « ROBERT GREENE » وقد شرحت لك باسهاب موقفه من شكسبير (١) . ومنهم كذلك فرنسيس ميرز « MERES » الذي افاض بمدح الشاعر ، واطنب في الثناء على فنه ، في كتابه « بالادس تيميا » (٢). وكذلك صديقه الماكر بن جونسون الذي كان يمتدحه تارة ، ثم مايلبث ان يغمزه تارة اخرى . فانه عدا القصيدة التي انشأها في رثاء شكسبير ، كتب مقالات متفاوتة الحجم ،تحت عناوين لاتينية ، كان يفيض بها خاطره في اثناء مطالعاته ، وقد نشرت كاملة بعد وفاته في مجموعة مسرحياته عام ١٦٤٠،تحت العنوان الغريب « الغاب ، او اكتشافات في الناس والمادة » (٣) . ومنها مقال اطرى فيه بن جونسون ذكاء شكسبير الفطري الخارق ، ولكنه آخذه على رداءة فنه واهماله ، وتمنى لو استطاع شكسبير ان يمحو الفاً من الاسطر قبل ان يأذن لها بالظهور ، لانه كان يتدفق بالقبيح والجميل ، والغث والسمين ، فكان من الواجب صده وكبح جماحه « SUFFLAMINANDUS ERAT » . وسنفصل ذلك حين البحث في مثالب شكسبير الادبية ، في الفصل المتعلق بتحليل عبقريته .

---

١ ـ راجع صفحة ٢٦ من هذا الكتاب

٢ ـ راجع صفحة ٢٩ من هذا الكتاب

٣ ـ « TIMBER OR DISCOVERIES MADE UPON MEN AND MATTER »

وقد شق بن جونسون الطريق لمن جاء بعده بحملته هذه ، وانقسم النقاد في العصور المتأخرة الى طائفتين ، واحدة ترى في شكسبير المثل الاعلى لجميع كتاب الدراما في العالم بأسره ، واخرى لم تنكر عبقريته ، وانما رأت فيه ابن الطبيعة الطلقة المتمردة ، الذي يحتاج ادبه تشذيباً وتنقية واصلاحاً .

وكان جون درايدن (١) من أشهر الكتاب الذين نحوا هذا المنحى في القرن السابع عشر ، مع بعض الميل الى تقدير عبقرية شكسبير والتساهل في قبول شواذه . فقد نشر درايدن سنة ١٦٦٨ رسالة ادبية اسمها « مقال عن الشعر التمثيلي » (٢) تعرض فيه لذكر شكسبير وقارن بينه وبين بن جونسون ، مبيناً ، ما يمتاز به احدهما عن الآخر ، ومضيئاً بذلك السبيل لمن جاء بعده من النقاد .

في القرن السابع عشر

وقد ذكر درايدن انه مدين بمعرفته شكسبير للسر وليم ديفاننت ، وهو كما ذكرت من الذين احبوا شكسبير ، وأكبوا على دراسة أدبه وتقصي اخباره ؛ وممن قاموا بتعديل بعض مسرحياته وجعلها في قالب يلائم اذواق الناس في ذلك العصر . وهو ودرايدن راجعا معاً مسرحية « العاصفة » ، لتظهر سنة ١٦٧٠ ، اي بعد وفاة السر وليم ، على نسق جديد ، وبمقدمة لدرايدن نفسه .

ومن نقاد القرن السابع عشر ، وممن تأثروا بمقال درايدن ، ونهجوا نهجه في امتداح شكسبير ، الاديبة مارغريت دوقة نيوكاسل (٣) (١٦٢٤؟-١٦٧٤) في كتابها « رسائل اجتماعية » (٤) الذي ظهر عام ١٦٦٤ . وفيه شرحت كيف ان شكسبير

* * *

---

١ - ١٦٣١ - ١٧٠٠

٢ - « ESSAY ON DRAMATIC POESY »

٣ - « MARGARET CAVENDISH, DUCHESS OF NEWCASTLE »

٤ - « SOCIABLE LETTERS »

يشعر القاريء « كأنه قد استحال الى مختلف الاشخاص الذين أتى بهم في مسرحياته، وتقمصهم ،وتأثر بجميع مشاعرهم ! »

ولم يعن ادباء القرن الثامن عشر بناحية النقد الادبي او الفني من شكسبير بقدر عنايتهم بالدراسة الشكلية والتاريخية من مسرحياته وحياته . ولم يشذ عن هـذا الا افراد معدودون كجون دنس (١) « DENNIS » في « رسائله » (٢) عام ١٧١١ ومما جاء فيها قوله: « ان المرء لايسعه الا ان يقول عن شكسبير ما قاله النقاد عن هوميروس من قبل، من أنه لم يكن له من يقلده ، وانه نفسه غير قابل التقليد ! »

في القرن الثامن عشر

ونسج على هذا المنوال كذلك الاديب ذو النثر الجميل جوزيف اديسن (٣) « ADDISON » صاحب مجلة السبكتيتر (٤) حين دعا في العدد الصادر في ١٠ فبراير سنة ١٧١٤ من هذه المجلة الى الرجوع الى مسرحيات شكسبير الاصلية حين المطالعة، وتفضيلها لهذا الغرض على النسخ الحديثة المعدلة .

ومع ان الدكتور صاموئيل جونسون صرف جل همه في الدرجة الاولى لتنقيح مسرحيات شكسبير وتفسيرها ، في الطبعة الـتي اخرجها عام ١٧٦٥ ، الا انه ادرج في هذه المجموعة مقدمة ،تعتبر ذات قيمة ادبية خالدة في حقل النقد الشكسبيري، لانها جاءت دفاعاً مجيداً عن شكسبير ، ورداً على الحملة الشعواء التي قادها فولتير على هذا الشاعر ، لخروجه على المعايير والقيود الكلاسيكية التقليدية ، كعدم مراعاته قانون وحدات الزمان والمكان والعمل في تأليف المسرحيات مثلا .هذا من ناحية ، ولانها من ناحية ثانية لم تغفل عن معايب شكسبير الشعرية والنثرية المتأتية عن اهماله قواعد النحو والعروض اثناء الكتابة .

---

١ — ١٦٥٧ - ١٧٣٤

٢ — « LETTERS »

٣ — ١٦٧٢ - ١٧١٩

٤ — « THE SPECTATOR »

بيد ان القرن الثامن عشر لم يعدم أن يلقى في ديفد هيوم(١) « DAVID HUME » الفيلسوف والمؤرخ الشهير ناقداً يظهر للناس بعض نقائص شكسبير الادبية ، فيتساءل عن سبب هذا المديح الذي يغدقه النقاد على شكسبير جزافاً ، ومن غير عدل . فهو يرى « ان مافي أدب شكسبير من جمال ،لا يكاد يتضح للعين ويبين ، لكثرة ما يكتنفه من قبح وفساد ! »

* * *

فى القرن التاسع عشر

لكن اعجاب الادباء به بلغ حد التقديس والعبادة في اوائل القرن التاسع عشر، ولا سيما عند أتباع المذهب الابداعي في بريطانيا ،الذين تنادوا بالثورة على المذهب الكلاسيكي وما فرضه من اوضاع وقيود ؛ فدعوا الى الاقبال على آداب العصور الوسطى ، والنظر الى الشعر كتعبير عن ذات الفرد ،واحترام هذا الفرد وتقديره مهما كان مستوى الطبقة التي ينتمي اليها ، وكذلك الاهتمام بمظاهر الطبيعة الخارجية ، وتأكيد العاطفة بدلاً من العقل ، والميل للدهشة والغرابة ، ودعم الغرائز الطبيعية، وتحبيذ الحرية والانبعاث والتمرد والانطلاق،وتفضيلها على التقيد بالمفاهيم العامة ، والنظم والتقاليد الاجتماعية المرعية .

وقد حقق شكسبير جميع هذه الاهداف ، في رأي اتباع هذا المذهب ، فلم يعد في عرفهم عبقرية هائمة ،ضالة ،غاوية ، وانما نموذجاً حياً ،ومثلاً يحتذى على مدى الدهور .

ويعتبر كولردج ،زميل وردزورث شاعر الطبيعة وزعيم شعراء البحيرات، من أشهر نقاد شكسبير في مطلع ذلك القرن . كما ان كتابه « ملاحظات ومحاضرات عن شكسبير » (٢) الذي ظهر بعد وفاته لخير من يمثل نظرة مدوسة

---

١ — ١٧١١ - ١٧٧٦

٢ — « NOTES AND LECTURES ON SHAKESPEARE »

« الجمال الفني » (١) الى هذا الشاعر . فهذه المدرسة تقول بالفن من اجل الفن ، وبأن غاية الشعر القصوى بعث المسرة بواسطة الجمال . وعلى ضوء هذه النزعة درس كولردج مسرحيات شكسبير وحللها في كتابه هذا .

اما وليم هازلت (٢) « HAZLITT » النقادة الشهير فقد عالج أشخاص شكسبير على نحو جديد في كتابه « أشخاص مسرحيات شكسبير » (٣) (١٨١٧) ، مبيناً الفروق النفسية الدقيقة بين طبائعهم ، كأنما هم بشر احياء .

وما أنس لا أنس توماس كارلايل (٤) « CARLYLE » صاحب كتاب « عبادة الابطال » (٥) . فقد اتخذ من شكسبير مثلاً « للشاعر كبطل » ، وصوره ملكاً عظيم المهابة والجلال ، عرشه خالد لالف سنة بعد اليوم ؛ وجعله رمزاً للوحدة الروحية العميقة التي تربط بين الشعوب الناطقة بلغته . وقاس بينه وبين امبراطورية الهند ؛ ففضله على الهند ، اذ الهند زائلة يوماً ما ، لكن شكسبير باق على الدوام .

وها قد تحققت النبوءة ، وزالت الهند ، وظل شكسبير ... دليلاقوياً ساطعاً على سمو القيم المعنوية وثباتها ، بعد زوال جميع مظاهر الحضارة الخارجية الزائفة .

وقد سادت نغمة المديح والثناء على شكسبير معظم كتابات الادباء والشعراء في القرن التاسع عشر . ويمكن تلخيص الخطة التي سلكوها في دراسة شكسبير ، والهدف الذي رموا الى تحقيقه من وراء ذلك بالشكل التالي : -

---

١ - « AESTHETIC SCHOOL ».

٢ - ١٧٧٨ - ١٨٣٠

٣ - « CHARCTERS OF SHAKESPEARE'S PLAYS »

٤ - ١٧٩٥ - ١٨٨١

٥ - « On Heroes, Hero - Worship, and the Heroic in History »

وقد ظهر سنة ١٨٤١ .

أولاً – لقد نظروا الى اشخاص مسرحيات شكسبير، نظرتهم الى اشخاص احياء، فحللوا طبائعهم وشرحوا بواعثهم، وذهبوا الى ابعد من ذلك، فتخيل الفنانون منهم اشكال هؤلاء الاشخاص ووضعوا لهم الرسوم الفنية المختلفة.

ثانياً – درسوا مسرحيات شكسبير واشعاره كوحدة تامة. وغايتهم من ذلك الوقوف على اطوار نموه العقلي والفني.

ثالثاً – رأوا في ما أتى به شكسبير من عرض دقيق شامل لمظاهر الطبيعة البشرية المختلفة، وما جعله من امثال سائرة وحكم خالدة على ألسنة شخوص مسرحياته، شيئاً عميقاً، متسقاً، جميلا، جم الخير والفائدة للجنس البشري بأكمله.

* * *

هذا في القرن التاسع عشر، اما في هذا القرن فانه من العسير حقاً احصاء اسماء المعنيين بدراسة شكسبير في انكلترا او خارجها، لان عددهم يتجاوز كل حد. ولاننا بسبب قربنا من هؤلاء الباحثين لانستطيع ان نبصر المعالم الرئيسية لدراستهم، او نعين الاتجاه الذي يسلكونه في ابحاثهم.

اشجار بدل الغابة

فلا بد اذن من مرور فترة طويلة من الزمن، قبل ان يتمكن الباحث من رؤية الغابة بدلا من الاشجار – على حد التعبير الانكليزي. بيد انه ما من سبب يثنيني عن ذكر اسمين من أبرز بل من أجل اسماء النقاد الانكليز الذين درسوا شكسبير في هذا العصر، ألا وهما الكاتب الانكليزي ادوارد داودن (١) « PROF. EDWARD DOWDEN » في كتابه « شكسبير في عقله وفنه » (٢)، واندرو

---

١ ١٨٤٣ – ١٩١٣

٢ – « Shakespeare in his Mind and Art »

برادلي (١) « PROF. A. C. BRADLEY » في ماالقاه من ضوء جديد على دراسة مآسي شكسبير ، في كتابه الشهير « المأساة الشكسبيرية » (٢) . وكلاهما متأثران ، على مايبدو ، بروح النقد الذي ساد القرن التاسع عشر .

* * *

والآن وبعد هذه الألمامة القصيرة بالنقد الشكسبيري في انكلترا أحب ان نلقي معاً نظرة عجلى على شهرة شكسبير ومدى انتشار اسمه وذيوع أدبه ، وما أثاره هذا الادب من حفائظ النقاد خارج بلاده .

والواقع انه لم يتح لأديب غير شكسبير أن ينمو شأنه وينتشر انتاجه الادبي هذا الانتشار الواسع ، فتتلقفه أيدي الناس ، وتدرسه الطبقات المثقفة ، ويتناقش فيه النقاد ، وينقسمون بسببه شيعاً وطوائف ، فيكون منهم المناصر المعاضد ، ويكون المؤاخذ الناقد ، وكذلك المحايد الذي ينظر الى المعركة تحتدم وهو بعيد عنها ، ومع ذلك يستطيع أن يرى المثالب والمناقب . بل انك لتجدن منهم من يستكبر على قروي مثله ، عامي ، بدائي الثقافة والتعليم ، ان ينتج هذا الادب الهائل في نوعه وكميته ؛ فينكر شكسبير انكاراً ، ويلغي اسمه من الوجود ، ويخترع من عنده اسماً جديداً ، يعزي له هذا الانتاج الرائع ؛ حتى نما عدد مؤلفي هذه المسرحيات ، وتجاوز الحد المعقول . وسنعود الى ذلك في فصل مستقل .

شكسبير خارج انكلترا

وأول ما عرفت اوروبا شكسبير فعن طريق الممثلين الذين كانوا يعبرون القنال في أواسط القرن السابع عشر ، قاصدين مختلف العواصم ومراكز الحضارة في اوروبا كدانزغ ، ودرزدن ، وفينا ، وكونغزبرج واستوكهلم ، وكوبنهاغن وغيرها ، ليعرضوا في اول الامر « تيطس اندرونيكس ، وهاملت ، والملك

---

١ — ولد عام ١٨٥١

٢ — « Shakespearean Tragedy »

بواسطة الممثلين أولا

ليير ، وتاجر البندقية ، ورميو وجوليت » ويلحقوها بغيرها ؛ فيتعرف ممثلو تلك البلدان على شيء جديد غريب ، لم يألفوه من قبل ، وينقلونه الى لغاتهم ، ويعرضونه على مسارحهم ؛ فتتفتح أعين الادباء على « اوزة آفون الحلوة ! » فيثير فيهم دهشة ورغبة في دراسته ومنافشته ، وترجمته والنسج على منواله !

ويطول البحث لو أردت ان اشرح لك موقف اوروبا من شكسبير بلداً بلداً ، ولكنني احبذ أن انظر الى اوروبا في موقفها من شكسبير بلداً واحداً . ومن غير شكسبير يستطيع أن يوحد اوروبا ، بل العالم بأسره ويجمعه على شيء واحد ؟

ويعتبر فولتير اعظم مكتشف لشكسبير في اوروبا . فقد لجأ هذا الفيلسوف الى انكلترا عام ١٧٢٦ ، وسمع الناس يتحدثون عن شكسبير ، وقرأ الصحف الادبية تنشر اسمه ، فأراد ان يعرفه ، وان يسبر غوره . فشرع باديء ذي بدء

فولتير

مندهشاً مستغرباً ، مستطلعاً مستفهماً ، شأن كل عقل ازاء الشيء الجديد الجليل العظيم ! لكنه انتهى نافراً نقماً ، ثائراً يقود حملة شعواء ، ويشن حرباً ضروساً لا هوادة فيها على هذا العملاق المتمرد الخطر ، المتخطي حدود مملكة الادب الكلاسيكي ، والعابث بالاوضاع الادبية التقليدية ، والخارج على ارسطو في ما رسمه من قواعد لانشاء المسرحية . وقال فولتير ما ترجمته بالحرف الواحد « ان شكسبير لمتوحش ذو شرر من العبقرية يشع في ليل مريع ! »

أوليس من الغريب ان تجد فيلسوفاً ينزع للحرية الفكرية في ما يكتب ، ويكافح العمر دفاعاً عن حياضها ، ويلاقي من جراء ذلك اذى وظلماً وتشريداً ، يكره الحرية في الادب من ناحية ثانية ، ويحمل على الانطلاق الابداعي والانعتاق من جميع القيود الادبية القديمة ؟

مع ذلك فقد اتضح مؤخراً ان فولتير كان يحارب في معركة خاسرة ، وانه افاد شكسبير من حيث اراد ان يضره ، فأثار حب الناس به وتعلقهم بأدبه واقبالهم

عليه اكثر من تأليبهم ضده . فقد نهض من ادباء فرنسا ، ولا سيما الابداعيين منهم « ROMANTICISTS » ، من استطاع ان يحرر نفسه من سحر فولتير وهيمنة عقله ، ويعكف على دراسة شكسبير وينقل بعض مسرحياته الى الفرنسية . من هؤلاء ديدرو ، وجيزو « GUIZOT » وهوجو الاصغر ، وجوسران « M. JUSSERAND » والكسندر دوماس ، والفرد دي موسيه وغيرهم .

في فرنسا

اما في المانيا ، فقد تولى الدفاع عن شكسبير اديبها النقادة الكبير لسنغ « LESSING » ، معلناً في مقال نشرته احدى صحف بلاده عن رأيه بسمو شكسبير وتفوقه على راسين و كورنيل ؛ وذهب الى أبعد من ذلك فنقل بعض مسرحياته الى الالمانية . وحذا آخرون حذوه ، فدرسوا شكسبير وترجموا مسرحياته ، وأجروا في بعضها تعديلاً يلائم مسارحهم . ومن هؤلاء شلر وجيته وشليجل وخلافهم من عباقرة الادب في المانيا .

في المانيا

ولم تقتصر شهرة شكسبير على فرنسا والمانيا ، بل انتشر أدبه انتشار النار في الهشيم ، في جميع اقطار اوروبا ، كايطاليا وهولندا وروسيا (١) ، وبولندا ، وهنجاريا ، والدانمرك وغيرها . وعكفت دور الفن من رسم وموسيقى على وضع رسوم فنية بارعة لمناظر مسرحياته ، وأنغام ساحرة خلابة لاغانيه (٢) . كما قام ممثلون وممثلات اشتهروا بتمثيل أدوار رئيسية من مسرحياته (٣) . بل انه ليندر أن تلقى دار اذاعة محترمة لا تذيع شيئاً من مسرحياته مترجماً ، او معدلاً ، او في

---

١ - نشر تولستوي سنة سنة ١٩٠٦ مقالا حمل فيه على شكسبير كداعية كبير للثروة والطبقية ، كما ندد بفنه الشعري ومقدرته على خلق الاشخاص .

٢ - من هؤلاء الموسيقاريون شوبرت ، وشومان ، ومندلسن ، وامبرويز ، وروسيني ، وفردي

٣ - من ابرعهم في ايطاليا : رستوري (RISTORI) وسالفيني (SALVINI) وروسي (ROSSI) وفي فرنسا : شارل فكتر (FECHTER) ، ومدام سارا برنارد (MADAM SARAH BERNHARDT) وأندري انطوان (ANDRE ANTOINE)

وفي ألمانيا : فردريك شرويدر (SHROEDER) ، وماكس راينهاردت (MAX REINHARDT)

الاصل . كما يكاد لا يخلو منهج دراسي راق من بعض ادب شكسبير يعطى للطلاب على مختلف الادوار المدرسية .

كل هـذا يحدث لشكسبير ، فيخيل للمرء كأنما الدنيا باسرها قـد أجمعت على مبايعته ، وطأطأت الرأس أمام هذه العبقرية ولاء واجلالاً .

ولا يسعني قبل الفراغ من أمر شكسبير خـــارج بلاده الا ان اشير الى الاميركان في هذا الصدد . فهم والانجليز بحكم اللغة ، بل بحكم الرباط الشكسبيري ، وحدة لا سبيل لتجزئتها وعزوة لا انفصام لها ، كما دل التاريخ وبرهنت الظروف . وقد ذهبوا الى ابعد حد في دراستهم لشكسبير ، حتى ليظن انهم يبزون أدباء بريطانيا في هذا الحقل . وتتميز دراستهم لشكسبير بالاستقلال والابتكار ، جامعين في ذلك وموفقين بين اسمى عناصر النقد الادبي في بريطانيا ، ودقة الألمان المعهودة وصبرهم الطويل على متابعة الابحاث المدرسية الجدية . فجاءوا بأشياء جـديدة ، منها ما يقبـله العقل ، ومنها مالا يستطيع قبوله ، ولا سيما في موضوع اعزاء هذه المسرحيات الى مؤلفين آخرين غير شكسبير . ولكنهم مع ذلك القوا ضياء على بعض النواحي المظلمة الغامضة من حياة هذا الساحر ، بل الأحجية المحيرة الكبرى !

* * *

لا اريد ان اختم هذا البحث التاريخي الجاف دون أن أرفه عن نفسك بشيء من الادب الخالص . فلأعد بك الى النقاد مرة ثانية ، ولأختـــر لك نماذج من اقوالهم في شكسبير ، لعلك من مطالعتها تستطيع الوقوف على مبلغ ما اثاره في نفوسهم من شعور يتأرجح بين الشـك واليقين ، وبين الاعـتراف والانكار ، والمؤاخذة والاكبار !

فلأرجع بك اذن الى القرن السابع عشر ، ولنختر هذه المرة شاعراً لم نذكره من قبل . ومن غير ملتن « MILTON » العظيم جدير بأن يقود غيره من الشعراء في هذا المضمار ؟

ولعلك تذكر ان ملتن ولد عام ١٦٠٨ ، ولهذا فمن المرجح أنه شاهد شكسبير وعرفه ، واختزن في ذاكرته الشيء الكثير من اشعاره . فليس عجيباً أن نجده عام ١٦٣٠ ، وفي حين لم يكن فيه قد عمي بعد ، ينشيء في مديح شكسبير صوناتا من اسمى الشعر معنى ، واعسره ترجمة الى لغة ثانية . وانه لجميل حقاً من صاحب « الفردوس المفقود » ان يسبق جميع الشعراء ويعترف بالامر الواقع ، ويبايع شكسبير بالزعامة الادبية الخالدة .

صوناتا لملتن

يقول ملتن :

« ماحاجة عظام شكسبيرنا الكريمة
لرجمة تقيمها له الأجيال ؟..
أو ان توارى رفاته المقدسة
تحت هرم يوميء للنجوم ؟
يا ابن الذكر الحبيب ، ياوارث الشهرة العظيم !
ماحاجتك لذا الدليل الواهي على اسمك المجيد ؟
انك باعجابنا بك وتقديرنا
قد شدت لنفسك نصباً على مدى الحياة .
اذ بنشيدك السهل في انسيابه
المخزي فن الصنعة البطيئة ؛
وبما أخذه كل فؤاد مما فى سفرك الثمين ،
من أسطر سحرية بانطباع عميق ،
قد جردت خيالنا من ذاته
واحلتنا لشدة تفكرنا بك رخاماً
فيه تضطجع بأبهة واجلال ،
فيشتهي الملوك الموت ، لو يتاح لهم كهذا الضريح !

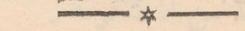

أما النموذج الثاني فهو من النثر البارع ، وقد جاء على لسان اديب القرن السابع عشر وكاتبه الشهير جون درايدن ، وهو ، كما تذكر ، صاحب « مقال في الشعر المسرحي » الذي نشره عام ١٦٦٨ ، مقارناً فيه بين شكسبير وبن جونسون.

والكلام يجري في هذا المقال على نمط حوار بين اربعة اشخاص وهميين ، يتمطون قارباً في نهر التيمس . وقد استهلوا الحديث بمواضيع لا تمت للادب بصلة ثم ما عتموا ان عادوا لبحث الادب ، والدراما ، وشكسبير وبن جونسون .

قال درايدن :

« لنبدأ أولاً بشكسبير. انه الرجل الاوحد بين جميع قدامى الشعراء ومحدثيهم، الذي يملك اوسع النفوس واكثرها شمولا . جميع صور الطبيعة مثلت لديه ، فرسمها بسهولة وبداهة وانطلاق . حين يصف شيئاً فانك لا تراه فحسب ، بل تحس به وتلمسه . والذين يتهمون شكسبير بنقص في العلم ، انما يمتدحونه ؛ فقد كان بطبيعته متعلماً، ولم يحتج لمنظار الكتب ليبصر الطبيعة من خلالها . لقد نفذ ببصره الى الباطن فألفاها هناك .

درايدن

ولست استطيع القول انه واحد على السواء في كل ما جاء به . لو كان كذلك، لكنت آذيته بمقارنته بأعظم الناس . انه تافه ، لا طعم له ، في كثير من الاحيان . هزله يهبط الى مستوى الاشتباك بالخصام ، وجده ينزل الى درجة البهرجة، والتصنع في الكلام ، لكنه ابداً عظيم حين تعرض له مناسبة عظيمة ! وما من احد يستطيع الادعاء ان شكسبير اذا ما وجد موضوعاً يلائم ذوقه ومزاجه، لم يرتفع بنفسه عالياً فوق جميع الشعراء الآخرين !. »

ثم يقارن بينه وبين بن جونسون ، فيذكر بصراحة انه دون بن جونسون ، علماً ودقة ، لكنه فوقه ذكاء وفطنة . ويقول ان شكسبير - كهوميروس - ابو الشعراء المسرحيين ، اما بن جونسون فهو - كفرجيل - نموذج الكتابة الفنية الصحيحة .

ويختتم درايدن الحديث بقوله : «أنني اقدر بن جونسون حق قدره ، بيد انني

أعشق شكسبير وأهيم به ! »

* * *

أما القرن الثامن عشر فقد كان مقفراً من النقد الشكسبيري ، بعض الشيء ، محلاً ، الا من الناحية الشكلية التاريخية ؛ فقد كان بهاغنياً .

فلأتجاوزه الى القرن التاسع عشر ، لأقدم لك شيئاً مما جاء في كتاب « عبادة الابطال » للكاتب الخالد الذكر توماس كارلايل ، تحت موضوع « الشاعر كبطـــل »

وقدوسبق ان ذكرنا ان شهرة شكسبير ومنزلته في نفوس الادباء بلغتا الأوج في ذلك القرن ، وتستطيع ان تلمس ذلك مما يقوله كارلايل :

« أي انجليزي صنعناه في ارضنا هذه ، بل أي ملايين الانجليز لانتخلى عنهم قبل ان نتخلى عن ابن ستراتفورد القروي ؟ ان شكسبير لأفخر شيء عملناه حتى الان . وقد نبادل بكل شيء لنجتني لامتنا شرفاً و نكتسب لها سمعة بين الامم ، الا بشكسبير فلا سبيل للمبادلة به . فلو قيل لنا ان نختار التخلي عن احد أمرين ، عن شكسبير او امبراطورية الهند العظيمة . اما ان نخسر امبراطورية الهند او ان لايكون لنا شكسبير ؟ انه حقاً لسؤال خطير ! وقد يجيب عنه الحكام والساسة بلغتهم المعهودة ، أما نحن فلا يحيص لنا عن الاجابة هكذا : (امبراطورية الهند ، او لا امبراطوية الهند ، فاننا لانستغني عن شكسبير ! فامبراطورية الهند زائلة يوماً ما على كل حال ، اما شكسبير هذا فلا يزول ! انه باق معنا الى الابد ، ولن نتخلى عنه !)

كارلايل

لنضع المعنويات جانباً ، ولننظر اليه كمادة تجارية ملموسة . ان انكلترا ، جزيرتنا ، قبل انقضاء وقت طويل ، سوف تهمين على جزء ضئيل من الأنجلـــيز . في اميركا في هولندا الجديدة ، الى أقصى حدود المشرق والمغرب ، سوف تتكون أمـــة سكسونية تعمر مساحات واسعة من المسكونة .

والآن ما القوة القادرة على التأليف بينها ،وجعلها امة واحدة ،لا سبيل للنزاع بين افرادها ؟ أمة تعيش معاً في تآخ وتعاطف ووئام ؟

انها حقاً لاعظم مشكلة عملية تسعى جميع الحكومات الى حلها . ومن القادر على ذلك ؟ القوانين البرلمانية ، ورؤساء الوزارات عاجزون عن هذا . اميركا بعيدة عنا ، ما دام البرلمان يريد ذلك . ولا تسم ما اقوله مبالغة وخيالاً ، اذ فيه الكثير من الصواب . هنا ملك انجليزي ، لا الزمان ولا القضاء ، ولا برلمان ، او مجموعة برلمانات تستطيع زعزعة عرشه . هذا الملك شكسبير ، ألا تراه يشع في سلطانه المتوج ، فوقنا جميعاً ، كأنبل وألطف وأمتن وأخلد رمز للتضامن ؟ ونستطيع ان نتصوره هكذا ،مشعاً متلألئاً فوق جميع الامم الانجليزية ، لألف سنة بعد اليوم! من باراماتا (PARAMATTA) ،من نيويورك ، في أية بقعة يقطنها الانجليز نساء ورجالا ، سوف يظلون يخاطبون بعضهم بعضاً بقولهم :(أجل ! شكسبير هـذا لنا ! نحن انتجناه ، اننا ننطق ونفكر به ! نحن به من دم واحد وجنس واحد !) ..»اه

وكارلايل والانجليز لايغالون فيما يقولونه عن شاعرهم ، اذ لست أعرف شاعراً غيره ، له مثل مالشكسبير من أياد عند أمته ! او استطاع ان يفيض عليها مثل ماافاض شكسبير على امته من المهابة والجلال !

فقد كان شكسبير معجزتها الادبية الخارقة ، التي شغلت أذهان الناس وهزت ارواحهم وملأت نفوسهم في كل مكان ، وثمرة عبقريتها الخلاقة ،التي منها طعم البشر وتغذوا ، وانتشوا ، وارتفعوا عما كانوا عليه درجات .

كما ان الشعب الانجليزي قد اكتشف في شكسبير زعيما امكنه أن يسير تحت لوائه ، وان ينتشر ، وينشر حضارته ، ويخلق امبراطوريته في غفلة ، وفي يقظة من الزمان .

وحسبنا ان نذكر ان امته كلما لاح في الافق شبح حرب عالمية او ازمة اقتصادية لجأت اليه ،ولوحت به لأميركا ولجميع الامم الناطقة بلغته ،تماماً كما يلوح

الساحر بعصاه السحرية ـ فتقع المعجزة ، وتتحرك النفوس ، وتهتز أعمق أوتار القلوب ، وتهرع كافة الامم الانجلو سكسونية ، ملبية النداء للأخذ بناصر الامة التي كان لها شرف انباته ، فتذهب الشدائد ، وتزول المحن والازمات .

حقاً انه بشكسبير ايها القارىء العزيز وبجميع المؤمنين بالقيم الخالدة ، العاملين على تدعيمها ، تزدهر الحياة وتعظم الامم وتسود وتخلد . وليس بالزبد الذاهب جفاء ، او بالفقاقيع التي ما تلبث ان تطفو فوق سطح الماء حتى تختفي وتزول .

* * *

هذه نماذج مختلفة لثلاثة أدباء من قرون سالفة . وقد قصدت بها ايقافك على ماكان لشكسبير من سيطرة روحية عميقة على نفوس الادباء . وكم يهولني ان أري هؤلاء الادباء ـ ومنهم ملتن وكارلايل ـ لايزيدون امام شكسبير ، عن وسطاء بين يدي ساحر ماهر ، او في قبضة منوم مغناطيسي واسع الحيلة جم الذكاء ، يتلاعب بعقولهم واهوائهم ، ويهيمن على افئدتهم وأرواحهم ، فيكادون لاينطقون بأكثر مما يجعله على السنتهم ، ولا يفكرون او يشعرون ، او يتخيلون الا ضمن التخوم التي رسمها لهم فؤاده الشديد الحساسية ، وخياله المضطرم ، وعقله الجبار !

واحب ان اذهب الى ابعد من ذلك ، فاعلن انني ماأصغيت قط الى هؤلاء الادباء يسكبون عقولهم وقلوبهم شعراً عطراً ، ونثراً جميلاً في مدح شكسبير وتقريظه ، الا داخلني الشعور بالعطف عليهم ، والرثاء لحالهم وحال الادب في بريطانيا . اذ يخيل الي ان ظهور شكسبير قد كلف بريطانيا كثيراً ، وسيكلفها ثمناً باهظاً من الانفاس الشعرية المكبوتة . فقد افقد ادباءها الثقة بانفسهم وبقدرتهم على الاتيان بمثل ماجاء به شكسبير ، واخشى انه قد اورث في نفوسهم عقدة شنيعة خطرة ، هي مركب النقص الذي يشل النمو الطبيعي في الانسان ، ويقنعه بعجزه المطلق عن السير

مركب نقص

في مدارج النشوء والارتقاء . ولا ادري متى يتسنى لادباء انكلترا ان ينقذوا عقولهم من مخالب شكسبير ، ويحرروا ارواحهم من سحره ، ويبرهنوا للناس على ان التراب الذي أنبت شكسبير قادر على ان ينبت مثله مرة ثانية ؟

* * *

وقد يشعر القاريء ان البحث ما يزال ناقصاً بدون الاطلاع على نمط من الابحاث الحديثة في حقل الدراسات الشكسبيرية ،لهذا فقد اخترت أن أراجع معك في ختام هذا الفصل كتاباً عنوانه « الحقيقة الجوهرية عن شكسبير » (١) صدر في بريطانيا عام ١٩٤٢ ، لكاتب بريطاني اسمه دوفر ولسن (DOVER WILSON) اشتهر بولعه في دراسة شكسبير على اساس علمي منطقي ، واتيانه بأشياء مبتكرة طريفة يخالف فيها معظم ما اورده الكتاب الاولون والمتأخرون من حقائق عن شكسبير .

دوفر ولسن

وانه من حق دوفر ولسن ، ومن حق غيره من الكتاب الحديثين ان يجدوا في حياة شكسبير مرتعاً خصباً لاخيلتهم وأفكارهم ، وان يذهبوا في آرائهم عنه مذاهب شتى . فالاسانيد الاولية لا تحوي الا النزر القليل من أخباره الصحيحة ، تاركة في سيرته فجوات كبيرة ،يسعى الى سدها كل باحث بما يروق له من الافكار .

وفي هذا الكتاب يدحض دوفر ولسن ،مثلاً ، زعم الاديب هوليويل - فلبس « HALLIWELL - PHILPPS » - الذي مر ذكره - بان شكسبير انقطع عن التعليم منذ الثالثة عشرة من عمره ،وانه كان قصابا غير مثقف ،بقوله: اننا نجهل هذه الحقبة الاولى من حياة الشاعر كل الجهل ، فلا يصح الحكم بأنه كان جاهلاً او ضئيل الثقافة والعلم . اذ كيف يمكن اعزاء هذه المؤلفات الرائعة التي تنم عن دراسات عالية الى شاب قصاب ترك المدرسة في الثالثة عشرة من عمره ، أو الى فتى لم يتجاوز تحصيله حد الطور الابتدائي ؟

---

١ - (THE ESSENTIAL SHAKESPEARE)

وهو يرى ان شكسبير لم يكن من منبت حقير او وضيع كما يرى بعض الكتاب، فقد كان والده مواطنا بارزاً في بلده، كما يستدل من المناصب الكبرى التي تسنمها، ومن تقدمه بطلب لكلية هيرالد (HERALDS' COLLEGE) لكي تمنحه خلعة الشرف (COAT OF ARMS). ويعلل خروج والد الشاعر من المجلس البلدي بسبب تمسكه بالمذهب الكاثوليكي في حين اقبل فيه السواد الأعظم من الناس على اعتناق البروتستانتية مذهب الدولة، ولعل هذا هو السبب الحقيقي الذي من اجله اخرج ابنه من مدرسة تنشيء طلابها على الطريقة البرتستانتية .

وهو يرجح ان والد شكسبير ألحقه بعد اخراجه من المدرسة بخدمة نبيل كاثوليكي في ستراتفورد، ليكون منشداً في معيته، لما حباه الله من اذن موسيقية وصوت جميل . فوجد شكسبير في تلك البيئة الراقية فرصة نادرة للتزود بلبان العلم والمعرفة العالية ، ومن ثم سهل انتقاله الى حقل التعليم ، شأن معظم الصبيان المنشدين الذين كانوا يؤلفون جوقات ترتيل ديني في ذلك العصر كما شرحنا ذلك في حينه .

والكاتب لا يجد مبرراً للاعتقاد بان شكسبير كان غير سعيد او راض بحياته الزوجية، وانه بسبب هذا قصد الى لندن . كما انه لا يزعم انه كان مثال الزوج الصالح ، اذ ليس ثمة ما يمكن الاستناد اليه في ذلك . ويرد على ادعاء الباحثين بان الشاعر رزق ابنته سوسانا بعد زواجه بستة اشهر بقوله: ان القانون الكنسي آنذاك كان يعتبر اجراء عقد الخطبة « Pre - Contract » امام شهود معينين، بمثابة الزواج الفعلي.

ويظن الكاتب ان شكسبير بعد ان غادر لندن قصد قرية تتشفيلد « TITCHFIELD » ليلتحق في خدمة الشاب النبيل الايرل اوف ساوثمبتون الذي كان يصغر الشاعر بعشر سنين، ليصبح له صديقاً ومشيراً ، ومعلماً ثانياً ، مع الاستاذ جون فلوريو « JOHN FLORIO » مترجم مقالات الكاتب الفرنسي مونتين « MONTAIGNE » ، وانه اغتنم هذه الفرصة، فألم بادب هذا الكاتب الشهير ، كما يتجلى

ذلك في بعض مسرحياته (١) ، ويظن ان شكسبير قصر تلقينه للشاب النبيل على فن التمثيل المسرحي ، وانه كان يهيء له اسباب اللهو عن هذا السبيل .

ولعل هذا هو المقصود ، في راي الكاتب ، بالزعم القائل ان الشاعر اشتغل معلماً في احدى القرى المجاورة قبيل ذهابه الى لندن . ويتجاوز الكاتب ذلك الى الاعتقاد بأن شكسبير رافق النبيل الى ايطاليا ، ويتخذ مبرراً لهذا الاعتقاد ماجاء في مسرحية (تاجر البندقية) من وصف دقيق محكم لمدينة البندقية . ويرى ايضاً ان شكسبير الف مسرحية (جهد الحب الضائع) في الفترة التي قضاها في قصر النبيل ، ومثلها هناك في حين كانت فيه المسارح مغلقة بسبب انتشار الوباء . ويكاد (ولسن) ينفرد عن جميع الكتاب الذين قرأت لهم ، بهذه المزاعم ، اذ لم أقف لغيره على مايطابقها بالتمام .

* * *

من هذه المصادر الاولية والثانوية ، القديم منها والحديث ، ومن التراجم التي وضعت لشكسبير نستطيع ان نعين الاتجاه العام في حياته . لكننا سوف نظل عاجزين عن اكتشاف بعض الحلقات الضائعة من سلسلة هذه الحياة الغامضة ، رغم كل الجهود التي يبذلها النقاد ومؤرخو الادب في هذا السبيل .

تبارك الانسان

وحياة شكسبير - كما بدا لك - عادية ، ليس فيها ما يخلب اللب ، او يؤجج العاطفة ويثير الشعور ، كما لو قرأت مثلا سيرة بيرون ، او شلي ، او جيته ، او بودلير ، او ابن ابي ربيعة ، وغيرهم من العصاة المتمردين ! لكنك ستقف منه موقفاً آخر حين تتذوق شيئاً من ادبه ، وتتعرف الى سر هذه العبقرية التي لفتت اليها انظار العالم المتمدين بأسره .

---

١ - المرجح ان شكسبير تأثر بمونتين بما جاء به على لسان قونزالو « GONZALO » من وصف للمدينة المثلى (IDEAL COMMONWEALTH) في مسرحية « العاصفة » ، الفصل الثاني والمشهد الاول ، سطر ١٤٢ .

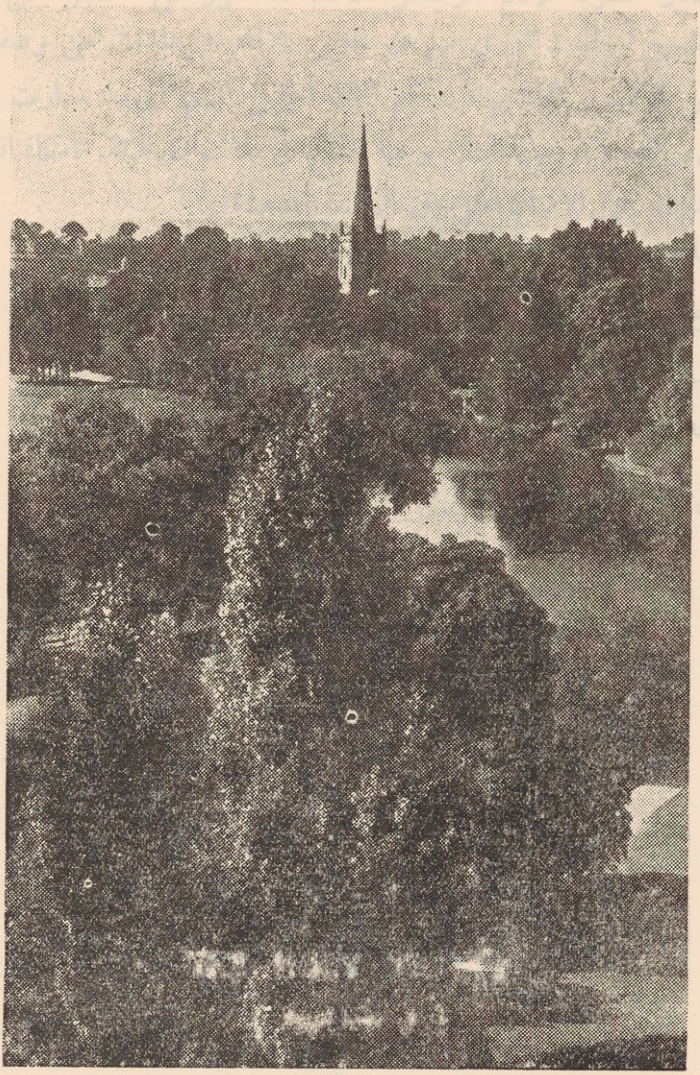

THE HOLY TRINITY

(في ستراتفورد)

حيث دفن شكسبير في ٢٥ ابريل ١٦١٦ (انظر صفحة ٤٠)

THE HOLY TRINITY

فشكسبير اعجوبة الآنام ، ومفخرة الانسانية ، وركن كبير من اركان الحضارة البشرية ! ولست ادري من هو جدير بما فاه به هاملت من وصف رائع للانسان غير شكسبير العظيم ، ذلكم الملك الجليل الذي أنى سار ، سارت الحضارة والثقافة في ركابه ، وحيثما ادار وجهه اشاع في الانسان الثقة بامكانياته العقلية الباهرة وقدرته على الاتيان بالخوارق الذهنية المدهشة!

قال هاملت :

«تبارك الانسان! ما أجمل صنعته ، وما انبل عقله ، وما أبعد حدود فكره ! وما ادق شكله ، وألطف حركته ! وكم كملاك هو في عمله ، وكأله في ادراكه وفهمه ! انه جمال الدنيا ، ونموذج الاحياء! »

ألا قل معي ايها القاريء الكريم :

تبارك الانسان في شكسبير!

الفصل الثالث

عبقرية شكسبير

شمائل الصحفا

كلمة عامة

سألوا مرة بوب (Pope) زعيم الادب الكلاسيكي في انكلترا، عما حفز شكسبير الى تأليف مسرحياته، فأجاب: «كفاحه من اجل الرغيف!»

وهو يعني بذلك انه لم يك يخطر لشكسبير ان تتجاوز مسرحياته حد التمثيل الآني، فيقبل العالم على مطالعتها ودراستها بلذة وشغف، وتصبح وحياً للادب على مدى الازمان؛ فيصفه درايدن، (Dryden) بانه الشاعر الاوحد بين جميع الشعراء المحدثين والقدماء الذي يملك اوسع النفوس واكثرها احاطة وشمولا (١)، ويفضله كارلايل (٢) (Carlyle) على امبراطورية الهند العظيمة؛ ويشبهه ماثيو ارنولد «بالجبل الاصم الاشم، الكاشف عن هامته الجليلة للنجوم، والمثبت اصله في اليم، جاعلا سماء السموات موطنه، فلا تستطيع الابصار ان تتجاوز حد الغمام السابح عندوسطه، ولا الاذهان يمكنها النفاذ الى حقيقته وكنهه!»، وتتخطى شهرته حدود بلاده، بل حدود اوروبا، وتبلغ بلاد العرب، فيقبل مطران، وغير مطران على درسه ونقل بعض مسرحياته الى العربية، ويبايعه امير الشعراء بقوله:

شهرة مطبقة

دستورهم عجب الدنيا وشاعرهم ... يد على خلقه لله بيضاء
ماانجبت مثل شكسبير حاضرة ... ولا نمت من كريم الطيرغناء
نالت به وحده انكلترا شرفاً ... مالم تنل بالنجوم الكثرجوزاء

---

١ – راجع صفحة ٧٣ من هذا الكتاب

٢ – « « ٧٤ « « «

ويشيد حافظ كذلك بذكره ، فيقول :

وقل لبني التاميز والجمع حافل به ينثر الدر الثمين وينظم
لئن كان في ضخم الاساطيل فخركم لفخركم بالشاعر الفرد اعظم

اجل لم يك يتصور شكسبير انه بالغ يوماً ما بلغه وما سوف يبلغه غداً وبعد غد من المنزلة الرفيعة في نفوس الفئة الذكية المثقفة المنتجة من كل بلد من بلدان العالم ، فتضيق دور الكتب بالمؤلفات الخاصة بدراسته وتحليل عبقريته ! ويتبارى عباقرة الموسيقى (١) في وضع الالحان العذبة الخلابة لاغانيه الرائعة ، ويقوم الفنانون باخراج رسوم لاشخاص مسرحياته ومناظرها الاخاذة ، ويعكف الممثلون على دراسة شخوصه دراسة مضنية دقيقة (١) ، وينهمك الاساتذة والطلاب معاً في جميع المعاهد الراقية في دراسة أدبه عاماً بعد عام ؛ وهكذا يتحقق فيه ما تنبأ به صديقه بن جونسون من انه « لم يكن لعصر واحد ، وانما للزمان بأكمله ! »

للزمان بأكمله

وانه ليحضرني سؤال القيته وانا ادرس شكسبير على البروفسور بيرون سمث (Prof. Byron Smith) أستاذ الادب الانجليزي في الجامعة الاميركية في بيروت ، مستغرباً كده العنيف ودأبه المتواصل في اعداد المحاضرات عن شكسبير ، والاتيان في كل عام بشيء جديد .

فاجاب الاستاذ الكبير « ومع ذلك فما زلت اجهل يا بني الالف والباء من موضوع شكسبير ! »

ولقائل ان يتساءل : « على ماذا تقوم هذه الشهرة العالمية العريضة ، التي تخطت الحدود الطبيعية والسياسة ، غير آبهة بفوارق العرق والدين ؟ وما هي الخصائص التي يمتاز بها ادبه على ادب غيره في العالم ؟ »

كأحد اولئك العميان

---

١ - راجع صفحة ٧٠ من هذا الكتاب

ولست ادعي انني استطيع الاجابة على هذا السؤال حق الاجابة ، أو بدون عسر ومشقة . بيد انني ، كأحد اولئك العميان ، احاول وصف الفيل من الناحية التي اتلمسها منه !

مثالب شكسبير الادبية

لا بد قبل بسط الميزات التي ينفرد بها أدب شكسبير ويسمو عالياً على غيره من كلمة في مثالبه الادبية ، عند ذاك يدرك القارىء أن شكسبير لم يكن مثالاً في الادب يحتذى ، أو معصوماً من الزلل والخطأ ، وانما شأنه شأن كل من أجهد نفسه وفكره ، وبذلهما في سبيل تحقيق غاية رفيعة ، ساعياً اليها بكل ما يملك من قوى ، حتى يستطيع ادراك تلك الغاية . فشكسبير - كما علمت - قد حقق الشيء الكثير مما كان يرمي اليه من أهداف مادية واجتماعية ايضاً ، لكنه وهو يسعي نحو تحقيق هذه الاهداف ، كان يعمل دون وعي منه في سبيل الغاية الادبية ، ولهذا فقد خلف غير عامد تراثاً ادبياً خالداً ، وصرحاً مكيناً راسخاً ، يفنى الدهر ويظل هذا الصرح قائماً .

غير عامد

واذا ما نظرت الى مسرحياته بدقة وروية ، لحظت نمواً وتطوراً وارتقاء في الاسلوب والمعنى منذ أول نتاجه الادبي حتى آخر طور من اطوار انتاجه . فالمسرحيات التي الفها في الطور الاول ، لا سيما اولاها ، مليئة بالمحسنات اللفظية ، من تسجيع وجناس وتورية واستعارة بعيدة . كما ان لغته لم تك لتخلو من اغلاط نحوية عديدة . وتعليل ذلك ان شكسبير لم يكن يترسل في الكتابة او يتمهل ، وانما كان ينثر الكلم دون ما تدقيق أو أنعام نظر ، ويصوغ الجمل ويرسلها على عواهنها ، وينسج الاخيلة والافكار عفو البديهة والخاطر .

تطور وارتقاء

وخلاصة القول أنه كان ينبوعاً ثراً فياضاً ، يتدفق بالجيد والرديء ، اذ قلما اعاد النظر فيما كان يكتبه ، حتى زعموا انه لم يمح سطراً مما كان يخطه . وانك لتذكر ، بلا ريب ، تلك المقالات التي كتبها بن جونسون تحت عنوان (اكتشافات في الناس والمادة) (١) ولا سيما ذلك المقال الذي فيه علق على القول بان شكسبير (لم يمح سطراً مما كان يخطه)، وفيه يتمنى لو ان شكسبير محا ألفاً من الاسطر ، اذن لاستقامت لغته، وخلصت من شوائب الاخطاء النحوية والعروضية ، وتجردت من الشطحات الفكرية التي لا ترتبط بقاعدة ،أو تتقيد بذوق أدبي أو علمي سليم .

يتدفق بالجيد والرديء

بيدانه لايجور على الشاعر أو يغفل عن مزاياه في هذا المقال ، اذ صرح في الختام انه يحب شكسبير ويحترم ذكراه ،لانه رآه أميناً صادقاً، ذا طبيعة طلقة واسعة ،وخيال ممتاز ، وخواطر جريئة ،وعبارة لطيفة ،لكن قلمه كان يجري بسهولة وطلاقة وجب معها ايقافه في بعض الاحيان . ويقول ان شكسبير أخضع ذكاءه لارادته لكنه خرج على قواعد الكتابة الصحيحة ، مع ذلك فأن بن جونسون يرى ان شكسبير ، قد كفر عن اخطائه بمحاسنه الادبية ، وانه جاء بما يستحق التقدير والاعجاب ، اكثر مما يمكن ان يلام عليه .

يجب ايقافه

هذا من حيث الصياغة اللفظية والاسلوب ، أما من حيث المعاني فما جاء منها في المسرحيات الاولى فعادي ضحل مجرد من الوزن والعمق وصدق الحس وسعة الخيال الذى نلمسه في ما تأخر منها، ولا سيما في المآسي . فأننا لا نكاد نأنس فيما ألفه في اول اطوار حياته الادبية ،ما على يحمل الظن بأنه خاض معمعة الحياة، أو درس الطبيعة البشرية ووعاها ، تلك الدراسة المتقنة وذلك الوعي الدقيق اللذين سموا بأدبه المتأخر هذا السمو العظيم . بل فيهاما يدل على انه عاش على شاطيء الحياة كأنه لم يتهيأ له من التجارب والخبرة بالحياة وبالناس ما امكن ان يؤثر في نتاجه

معان ضحلة

---

١ — « TIMBER, OR DISCOVERIES MADE UPON MEN AND MATTER »

راجع ص ٦٢ من هذا الكتاب

الادبي تأثيراً بعيداً ، او يسبغ على مسرحياته الاولى ما اسبغ على الاخيرة من سمات العبقرية والخلود . وخير دليل على ذلك ، هذا الفرق البين الواضح بين اشخاص مسرحياته المتقدمة وبين المتأخرة ، فأن الاخيرة لتحيا وتحس وتفكر ، لا فرق بينها وبين احياء الناس ، بينا اشخاص الاولى تبدو جامدة ، مجردة من عناصر الحياة .

وناحية اخرى قصر فيها شكسبير تقصيراً فاضحاً ، تلك هي استناده البعيد في تأليف مسرحياته الى قصص تاريخية قديمة بالية ، انجليزية او غيرها ، كان يراجعها ويصححها وينقحها ، ويحور فيها بالشكل الذي كان يتطلبه الذوق الادبي فى عصره .

فهو ، والحق يقال ، لم يضع الا هيكل رواية واحدة او اثنتين (١) ، أما غير ذلك فقد اقتبسه اقتباساً . ناهيك عن ان الكثير من عقد « Plots » حكاياته ، الموضوعة منها والمنقولة بعيد عن الواقع والمألوف ، خصوصاً ما ضمنه منها السواحر والكائنات الخفية كبنات الغاب وجماعات الجن والاشباح (٢) .

قصص منقولة وغير واقعية

ونقص آخر يأخذه عليه نقاد الدراما ، ذلك انه لم يخضع في اغلب مسرحياته لقانون الوحدات الثلاثة ، اعني بها وحدة الزمان والمكان والعمل التي تحتم انحصار العمل الرئيسي في بطل المسرحية وألا يتشعب ويتوزع على اشخاص آخرين ثانويين فيخل بسير الحوادث ووحدتها واتساقها ، وكذلك وقوع العمل جميعه فى مكان واحد ، وألا يستغرق من الوقت اكثر من يوم او يومين على الاكثر .

عبث بقانون الوحدات الثلاثة

وقد تقيد شكسبير في تأليف مسرحياته كما يظهر بما كان عليه حال المسرح ومظهره واسلوب بنائه ، ولا سيما خلوه من ستار خارجي يهبط بين المشاهد والفصول ، ويفصل بين منظر وآخر ، فيتهيأ للمخرجين زمن

تقيد بالمسرح

---

١ - لم يتوصل المؤرخون الى الاصل الذى أخذ منه قصة (جهد الحب الضائع) و (حلم ليلة في منتصف الصيف) .

٢ - أكثر ما وردت في (ماكبث) و (هاملت) و (العاصفة) و (حلم ليلة في منتصف الصيف)

يستطيعون في خلاله اعداد المشهد حسب اقتضاء الحال .

عدم مساهمة المرأة

ثم ان عدم السماح للمرأة باعتلاء المسرح ، واسناد ادوار النساء الى صبيان من ذوي القسامة في المظهر ، والرقة والجمال في الصوت قد جعل شكسبير يؤلف مسرحياته على طراز خاص ، خاضعاً في ذلك لجميع هذه الاعتبارات والقيود . ولولا ذلك لربما جاءت مسرحياته من حيث الفن الدرامي على طراز ونسق يلائمان روح العصر الحديث .

عدم وجود مخرجين

ولقد كان المسرح فقيراً في المخرجين الفنيين الذين يهيئون المشاهد والمناظر المتنوعة بتنوع الزمان والمكان . وقد عرف شكسبير ذلك ، ولهذا تراه في كثير من مسرحياته يستعيض عن ذلك بأوصاف واشارات تشرح للنظارة بتبسط واسهاب مايجب ان يتخيلوه على المسرح في اثناء التمثيل

هذه هي ابرز العيوب التي تشين ادب شكسبير وفنه الدرامي في بعض مظاهره ، عدا اخرى غيرها يصمه بها مؤرخو الادب ونقاده في اوروبا ، كفشله مثلاً في تضمين ادبه فلسفة أو عقيدة دينية آسرة تمثل نزعته ونفسيته كل التمثيل ، كما هو

خلوه من فلسفة او عقيدة دينية

ظاهر في ادب جيته (GOETHE) او دانتي (DANTE) مثلا . فلم يودع مسرحياته ما يشتم منه دعوة للأيمان بالله ، او حض على التدين ، او تعبير عن روحانية مشعة مشرقة ، لان ذلك من أظهر خصائص

الادب العالمي ، بل نراه عكس هذا ، قد عني بتصوير الرذيلة في بعض مسرحياته (١) تصويراً زاهياً مغرياً . هذا عدا انه في حضه على التمسك بالدين والدعوة للفضيلة — ان كان من هذا شيء بطريقة غير مباشرة — لسلبي النزعة والاسلوب .

وعيب آخر طاعن رأى فيه خصومه مبرراً لعزو هذه المسرحيات الى غيره من

---

١ — طالع المشهد الرابع من الفصل الثاني من مسرحية (كيل بكيل) ففيه وصف مغر لمراودة انجلو « Angelo » لأيزابلا « Isabella » عن نفسها .
وكذلك المشهد الثاني من الفصل الرابع من (بركليس) ، ففيه تصوير شائق لحياة المواخير في عصر اليزابث .

نقص في الثقافة والعلم

الادباء (١) ، ألا وهو ما فيها من دلائل أكيدة قاطعة على قصر باعه في معظم العلوم والفنون . ففيها مشاهد وفقرات تبرهن على عدم تضلعه من الفلسفة والقانون، او المامه الكافي بالعلوم والفنون الشائعة في عصره . ومن ابسط الامثال على ذلك عدم مراعاته الدقة التاريخية (٢) في كثير من المسرحيات .

كفى المرء نبلا

وانا لا ارمي بتعداد مثالب شكسبير الادبية وتبيانها الى التنقص من قيمته الادبية ، او اريد ان اغمطه حقه واظلمه ، فقد قيل . « كفى المرء نبلا ان تعد معايبه ! » . ناهيك عن ان ادباء منتصرين يدحضون هذه التهم ، ويفندونها واحدة واحدة ، ولا سيما ارباب المذهب الابداعي « Romanticism » . بل هم يتجاوزون ذلك الى الاتخاذ من اكثرها براهين قاطعة على انه سيد الشعراء ، وامام المسرحيين، غير منازع . كردهم مثلا على من يأخذ عليه بعض النقص فى فن مسرحياته الدرامي بسبب افتقار المسرح لجهاز كامل او خلوه من الستار الخارجي في ذلك الحين ، وكذلك حاجتهم الماسة لمخرجين فنيين ، وعدم سماحهم للمرأة بمساهمة الرجل في التمثيل ، بأن شكسبير اسمى وأبعد من ان يعد مسؤولا عن هذه النقائص الادبية والفنية ، وان الوضع الاجتماعي العام في ذلك العصر ليعتبر العامل الاول والسبب الرئيسي لما جاء في مسرحيات شكسبير من نقائص ، وانعكس فيها من المثالب والمعايب التي

ردود على هذه التهم

---

١ - راجع هذا في الفصل الاخير تحت عنوان « هل ألف شكسبير مسرحياته ؟ »

٢ - « Anachronism » أي ذكر الشيء في غير أوانه من التاريخ ، كذكر ثيسيوس « Theseus » فى (حلم ليلة في منتصف الصيف: المشهد الاول من الفصل الخامس السطر ١١) لهيلين (Helen) الغادة الجميلة التي أثارت حرب طروادة ، بينما عاش ثيسيوس حسبما تزعم الاسطورة قبل ذلك بزمن طويل . وكذلك ذكر هكتور « Hector » في (ترويلس وكرسيدا : المشهد الثاني من الفصل الثاني السطر ١٦٦) لارسطو الذي عاش متأخراً عنه كثيراً . ثم ذكر شكسبير للمرآة في (الملك لير : المشهد الثالث من الفصل الخامس السطر ٢٦١) في عصور لم تعرف بها قط ، وغير ذلك من الاخطاء العلمية الفاضحة .

لم يستطع التخلص منها .

وكذلك يردون على من يأخذ عليه خلو ادبه من فلسفة نظامية او عقيدة دينية آسرة ، بأن شكسبير انما يصور الحياة ويصفها على حقيقتها ، لا كما يريدها ان تظهر .

فقد جعل لكل شخص من اشخاص مسرحياته ، من الملوك الى السوقة ، فلسفة خاصة ونزعة مستقلة ، فكل منهم ينظر الى الحياة بمنظار غير ما ينظر به غيره .

كل ذلك يحدث ، وشكسبير قابع وراء الستار مختف ، يحرك هؤلاء الاشخاص ويوجههم كأنهم دمى بين يدي طفل . ولكن ليس في كل ما يأتون به من حركة ، او ما يتصفون به من اخلاق واطوار ، او تختلج به نفوسهم من عواطف ونزعات ، ما هو غريب وشاذ عن طبائعهم ، او بعيد عن خواصهم واوضاعهم الحقيقية .

ذاك ، وما دام الادب ، في اسمى اشكاله ، صورة كلامية للحياة ، ففي هذا وحده ما يضمن لشكسبير السمو والخلود الابدي !

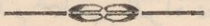

عناصر عبقريته

نعود الان الى النظر في شهرة شكسبير الادبية ، وتحليلها الى عواملها ، وردها الى أدق عناصرها ، وايضاح الاسباب والميزات التي اكسبتها هذا السمو البالغ حد الكمال .

وانا على يقين ثابت ان ليس ثمة اديبان اثنان يتفقان تمام الاتفاق في تعليل شهرة هذا الشاعر الكبير او تحليل عبقريته . اذ تكاد تكون مسرحياته مرآة صافية تنعكس عنها الحياة بكاملها ، فنرى فيها ما يحرك العاطفة ويثير الشعور ، وما يبعث الخيال ، ويغذي العقل ، ويملأ النفس متعة فنية وسروراً .

وقد تطالع شعراً او نثراً عادياً ، فيثير في نفسك من جمال الاسلوب وسمو المعنى وسحر البيان ما قد لا يفعله في نفس غيرك . فكيف اذن بهذا الينبوع الحي المتدفق ، الذي هو آية الادب ووحيه في كل عصر ومصر ، والذي هو بحق صورة صادقة للحياة بأسرها ؟

قلت : لا يتفق اثنان تمام الاتفاق في تحليل ادب شكسبير وشرحه وتعليله ؛ بيد أنك قد تجد أكثر من اثنين من يتفقون على عدة مظاهر بارزة ، بها برع شكسبير وبرز ، وظهر على جميع الادباء منذ هوميروس حتى عصرنا الحاضر .

هذه المظاهر هي التي أرغب في عرضها ومعالجتها بايجاز في الفصول التالية :

١ — خلق الافراد

ليس كفراً ما ذهب اليه دوماس الاكبر من (أن لشكسبير اكثر الخلائق بعد الله عز وجل !) بل انه تعبير وثني سائغ في الادب ومستملح ، أتى به دوماس للتدليل على هذا السمو العظيم الذي بلغ من نفس شاعرنا حداً لم يبلغه من نفس ادبب آخر في الحياة ، وكذلك على فهم شكسبير الصحيح الواعي لعناصر الطبيعة البشرية ، وتمكنه من وصفها وابرازها في صورة ضمنت لها الخلود الدائم .

وثنية مستملحة

فقد برأ هذا النابغة وأبدع الفئة الكبرى من اشخاص مسرحياته ، حتى لكأنك ترى الواحدة من هذه المسرحيات كأنها قطعة حية متحركة من الناس ذوي النزعات المختلفة ، والمشارب والميول المتباينة ، بل لسوف تجد بعد أن يتاح لك مطالعة بعض المسرحيات التي اشتهر بها شكسبير ، انك قد تعرفت على جمع غفير من الخلائق الادبية التي أفنن شاعرنا في صنعها ، وصادقت الكثيرين منهم ، وذكرتهم كما تذكر اصدقاءك المقربين ، وبلوتهم ، وخلطتهم بنفسك .

ينقسم عالم شكسبير الى ثلاث طوائف متنوعة ، طائفة اخذها من التاريخ ، فلم يلمسها بريشته الفنية السحرية الا بعض اللمس مع هذا

ثلاث طوائف :

فانك ترى معظمها جديداً عليك ، غير ما هي عليه في التاريخ ، كأنما الحياة قد دبت في جميع أطرافها بهذا اللمس السحري الرفيق. من هذه الطائفة جون وهنري وريتشارد، وغير هؤلاء من الملوك على اختلاف ارقامهم ، وكذلك يوليوس قيصر ، وانطوني ، وكليوباترا ، وجان دارك وغيرهم .

الطائفة الاولى

ثم طائفة ثانية وردت اسماؤها في القصص والاساطير القديمة الشائعة في عصر شكسبير ، لكنها تبدو في مسرحياته بحياة وجدة ونشاط عجيب. هذه الطائفة هي مفخرة شكسبير واساس شهرته العالمية . ففيها جميع الشخصيات القوية النافذة التي ، حين تدرس اطوارها وتعجم اعوادها وتتبع تصرفاتها ، منذ ان تظهر على المسرح حتى تغيب ، تجد انها قد نفذت الى قلبك ، وانطبعت في ذهنك ، بل اصبحت جزءاً من نفسك . شخصيات ان أحسنت دراسة المسرحيات التي وردت فيها ، ووعيتها وعياً تاماً ، وتأثرت بها وأحببتها ، ملكت عليك كل نفسك وكل قلبك، فذكرتها، وضربت بها الامثال ، كأنها من اصدقائك الاقربين . من هذه الطائفة ، هاملت الامير التعس المحزون ، الذي اذهله موت والده ، ونغص عيشه وخلق منه ذلك الفيلسوف الكئيب الساخر . وكذلك ما كبث الجندي الشجاع في الظاهر ، والشاعر الحالم بالمجد ، في الحقيقة والباطن ، الذي يرى اهواءه الشريرة ماثلة امام عينيه واضحة جلية ، فيعجز عن بلوغها وحده، حتى اذا ما اتيح له ان يحقق طرفاً منها، نجده رغم ذلك ابعد ما يكون عن المسرة والغبطة . واياغو (١) «IAGO» الحية الرقطاء، النافثة السم الزعاف بحذق ودهاء ، الا انه لا يستطيع الافلات في النهاية ، وانما ككل افعى خبيثة توطأ وتسحق سحقاً . ومنها شيلوك (٢) «SHYLOCK» المرابي الشهير ، الشاكي الباكي لانفه العلل ، الفقير رغم المال الوفير ، الذي فيه تتمثل المادية الماكرة الغاشمة، الخالعة عذار المروءة والشرف والانسانية، والمستبيحة كل شيء في سبيل

١ - رجال

---

١ - في مسرحية (عطيل)

٢ - في مسرحية (تاجر البندقية)

كسب المال وتحقيق الاغراض الجشعة . وفولستاف (١) « Falstaff » الشخصية الفكاهية الماجنة ، وزعيم المهرجين أنى وردذ كرهم في آداب العالم ، والبوهيمي العربيد الذي لا يعرف من الزمان غير ساعة أنس يقضيها مع البرنس «هنري» في لهو وعبث وسرور . وروميو العاشق المتهالك في عشقه لجوليت ، والمحب المذله بحبه لها ، والمجازف في سبيلها الى ابعد حدود الطيش والجنون .

ومن هذه الطائفة ايضاً بورشا (٢) « Portia » امراة الصالون ، وسيدة الاندية والمجالس الراقية ، الآخذة بقسط وافر من الثقافة ولب الحضارة . وكاترين (٣) السليط الشرود ، ذات الطبع النزق والخلق الشكس ، التي لا ترتاض ولا تلين بغير الشدة والعسف . وروزالند (٤) « Rosalind » الغادة السمحة الوقور ، النابضة بأرق الاحاسيس النبيلة ، والمتحملة في سبيل الحب الصادق الشريف ضروب العذاب واصناف الآلام والاشجان . والسيدة ماكبث الجريئة الى اقصى حدود الجرأة ، والطموح الى حد الجشع المنكر ، والتي لا تعرف في الحياة غير اشباع رغباتها النهمة ، واهوائها الشرهة ، فلا يردعها شيء عن تحقيق اطماعها البعيدة واهدافها الاثيمة . وايزابلا (٥) « Isabella » المرأة الحصان ذات الطهر والعفاف ، وكالبورنيا (٦) « Calpurnia » ذات الوساس والهواجس والاحلام . وغير هؤلاء من مئات المخلوقات على اختلاف الطبائع وتباين الاذواق ، ممن لا يتسع لدراسة نفسياتهم دراسة مستفيضة اكبر المجلدات ، فكيف ببحث خاطف كهذا ؟

٢ ـ نساء

والطائفة الثالثة هى الكائنات الغيبية والاحياء الخرافية ، كالسواحر ، وبنات

---

١ ـ في مسرحية : هنري الرابع ، بجزئيها الاول والثاني

٢ ـ في مسرحية : تاجر البندقية

٣ ـ في مسرحية : ترويض المرأة الشرود

٤ ـ في مسرحية : كما تشاء

٥ ـ في مسرحية : كيل بكيل

٦ ـ في مسرحيه : يولبوس قصر

الطائفة الثالثة

الغاب ، والجن والاشباح . فهذه وان جاء ذكرها في الاساطير القديمة ، فان شكسبير يجعلها في مسرحياته حية كل الحياة ، لا فرق في ذلك بينها وبين عالمه البشري

وانت حين تذكر أبرز شخص مسرحياته ، لا ريب ذاكر معهم أيريال (١) « Ariel » ذلك الروح الهوائي الطروب ، الذي لا يطيق القيد ولا يتحمل الاستعباد، فهو هائم في الفضاء ، متنقل فوق الهضاب ورؤوس الاشجار ، وكالنحل تراه يحوم بين الرياحين والاثمار ، يبعث بهذه الزهرة ويمتص رحيق تلك ، ويرد في اثناء ذلك الجان الحرية والطبيعة والجمال . وكذلك بك (٢) « puck » رسول الجن ونديم ملكية اوبرون « Oberon » وتيتانيا « Titania » بل ذلك الروح الخبيث الماكر ، الساخر من الناس ، والعابث باكثرهم . وكاليبان (٣) « Caliban » الحيوان ذا التركيب الجسماني العريب ، والنفس المنطبعة على الاثم وحب الاذى . وشمط السواحر (٤) اللائي يسرن مع الريح ، ويظهرن في كل مكان ، دأبهن ايقاف الناس وقراءة مستقبلهم . ثم اشباح القتلى ، كشبح والد هاملت الذي يظهر في ساعات معينة من النهار ، مهيباً به الى الاخذ بثأر والده . وشبح يوليوس قيصر الذي يهيمن على بروتس بعتابه الاليم ، ويؤثر فيه ويدفعه للانتحار . وغير هـــذه من اصناف الكائنات الغيبية التي لو عاشت على الارض كما يعيش الانسان ، لما اظنها حادت او خرجت في جميع تصرفاتها واطوارها عما رسمه لها هذا الشاعر المبدع العظيم !

٢ — عقل الجماهير

ولا تظنن شكسبير قد التزم تكوين الافراد ولم يتعداهم الى الجماعات . فقد

١ — في مسرحية : العاصفة

٢ — في مسرحية : حلم ليلة في منتصف الصيف

٣ — في مسرحية : العاصفة - ويرى السير سدني لي ان شكسبير حين صور كاليبان ربما تأثر بالانسان الاصلي القديم « Aboriginal Type » الذي احضره المسافرون من اميركا الى انجلترا فشاهده او سمع به او قرأ عنه .

٤ — في مسرحية : ماكبث

نفسية الجماهير

احاط بنفسية الجماهير على اختلاف اشكالهم وتباين طبقاتهم ، فصور الغوغاء والنبلاء والرعاة (١) والجنود (٢) واهل الحرف والصناعات وحفاري القبور (٣) وفرق التمثيل (٤) وغيرهم من جميع الفئات والهيئات التي يمكن للانسان ان ينتظم فيها .

ففي مسرحية « يوليوس قيصر » مثلا ، نراه ، يلم الماماً عجيباً بروحية الرعاع ، فيجعلهم كالكرة يتقاذفها الصبيان فهم أولا في قبضة بروتس ، ويخيل للقارئ انهم لن يفلتوا منها ، ثم مانلبث ان نراهم يتسربون الى يد انطوني ، واحداً ، واحداً . ومن غير شكسبير يستطيع ان يفتن في وصف هـــذه الذبذبة في اهواء الجماهير والترنح في عواطفهم والبلبلة في عقولهم ، ان كانت لهم عقول ؟ بل من غيره قادر على ان يضع على لسان كل من انطوني وبروتس هذا البيان الساحر الذي يخلب السامعين البابهم ، ويسلب ارادتهم ، ويتلاعب بأفكارهم ، وينطقهم اقوالا ، بعضها معقول ، وجلها بعيد عن العقل والمنطق . واشـــهد انني لو كنت استمع مع الغوغاء الى هذين الخطيبين ، وكل منهما يلقي خطابه بدوره ، لاحترت في أيهما اصدق ، وبأيهما اثق والتحق !

وايضاحاً لما اقول ، وبرهاناً على براعة شكسبير في تطبيق علم السيكولوجيا عملياً ، لا يسعني الا ان انقل لك احد المشاهد (٥) ، وفيه نشاهد الغوغاء وقد بلغ بهم الحماس والغضب والهياج مبلغاً عظيماً بعد ان استمعوا الى خطاب انطوني المثير ، فخرجوا مندفعين كالمجانين يبحثون عن قتلة قيصر ، فيلاقون الشاعر سنا « Cinna » الذي لم يشـــترك بالمؤامرة ، وانما شخص آخر يحمل هذا

مشهد غوغاء

---

١ — في قصة الشتاء ، وكما تشاء ، وهنري السادس

٢ — في هنري الخامس ، وكوريولانس ، وماكبث ، وغيرها

٣ — في : هملت ـ المشهد الاول من الفصل الخامس

٤ — في : هملت ـ المشهد الثاني من الفصل الثاني

٥ — المشهد الثالث من الفصل الثالث من مسرحية : يوليوس قيصر

الاسم سامح بها بالفعل ، فتظن الغوغاء سنا الشاعر ذاك الآخر المتآمر ، فيبادره أولهم بقوله :

« — ما اسمك ؟

ثان — اين ذاهب ؟

ثالث — اين تقيم ؟

رابع — أعزب انت ام متزوج ؟

ثان — اجب على سؤال كل منا رأساً

اول — اجل ، وباختصار !

رابع — اجل ، وبعقل !

ثالث — اجل ، وبصدق ! ذلك خير لك !

سنا — ما اسمي ! والى اين اذهب ! واين اقيم ! وهل انا اعزب ام متزوج ! ثم اجيب باختصار وبعقل ، وبصدق ! واجابة على هذه الاسئلة كلها ، وبعقل ، اقول انني اعزب .

ثان — كأنك تريد ان تقول ان الذين يتزوجون حمقى ؟ انك لجدير بصفعة لهذا ! مع ذلك اتمم حديثك ، واجب رأساً .

سنا — رأساً ، انا ذاهب الى جنازة قيصر .

أول — كعدو ام كصديق ؟

سنا — كصديق .

ثان — لقد اجبت رأساً على هـذا السؤال !

رابع — ومسكنك ؟ قل وأوجز .

سنا — بأيجاز ، انني اسكن قرب بيت الحكومة .

ثالث — والآن ما اسمك ؟ قل الصدق ! يا سيدي .

سنا — الحق ان اسمي سنا .

أول — مزقوه انه من المتآمرين !

سنا – انا سنا الشاعر ، انا سنا الشاعر !

رابع – مزقوه لشعره السخيف ، مزقوه لشعره السخيف !

سنا – لست سنا المتآمر !

رابع – هذا لا يهم مادام اسمه سنا ، انتزعوا اسمه فقط من صدره واخلوا سبيله .

ثالث – مزقوه ! مزقوه ! هيا بالمشاعل الى بيت برونس وبيت كاشيوس ، فلنحرقها كلها ! لتذهب فئة الى بيت ديشياس واخرى الى بيت كاسكا ، وثالثة الى ليجاريوس . هيا بنا ، جميعاً (يخرجون) .

ثم هنالك منظر الشعب « Plebians » المتألم الجائع والذي هو بسبب هذا الجوع هائج ساخط ، ثائر على كل شيء ، كافر بكل فضل ، حتى فضل كوريولانس البطل الذي رد عن روما خطر أعدائها (١) في الشمال .

شعب جائع ثائر

ويجب شكسبير ان يصور كوريولانس بعد عودته من ساحة القتال منتصراً ، متعجرفاً ، متكبراً ، محتقراً للرعاع ، متجهماً في وجوههم ، بالرغم مما يكنونه لهم من مزيد التقدير والاجلال ، ومما يداخلهم من ميل شديد الى تنصيبه فنصلا عليهم ، لانه أزال عنهم كابوس الموت الجاثم في الشمال . أليس من حق كوريولانس ان يحتقر الناس ويمنع عنهم الخبز ؟ ألم يخلق من طينة غير طينتهم ، ويهبط عليهم من مكان لا يدري أحد غيره اين هو ، آتياً لهم بالفرج بعد الضيق ، وبالامل بعد اليأس ، وبالحياة بعد الموت ؟ ألا انها طبيعة الانسان ، بل طبيعة الفرد ، يرفعه الناس فوق الرؤوس ، ثم ما يلبث ان ينظر اليهم من عل ، نظرة من يظن انه من جبلة غير جبلتهم ، لانه – في رأيه – لم يصعد من الارض صعوداً ، وانما هبط عليهم من السماء ... وهم لن يمكثوا طويلاً حتى يشعروا بشدة وطأته ويثنوا تحت عبء نيره الثقيل ، وينتظرون الظروف

رفعوه فاستكبر

---

١ – « The Volscians »

الملاءمة، ويترقبون الاسباب للخلاص منه . وهل ثمة سبب اقوى وافعل من الجوع؟

لذا فقد جعل شكسبير الرعاع في مسرحية « كوريولانس » جياعاً — ومتى كان الرعاع غير جياع ؟ — وصور كوريولانس كأنه فرعون في طغيانه وزهوه واستكباره ، ووضع على لسانه كلاماً مهيناً ، جارحاً ، مثيراً لحفائظ هؤلاء الرعاع المساكين ، مما بعث النقمة والسخط في نفوسهم ، وأنساهم اعماله الجليلة بالامس ، ودفعهم الى التفكير الجدي بمحاكمته . فيحاكم ، ويخلع ، وينفى ؛ حتى اذا ما جن الليل ، رأيناه ينسل من روما تحت جنح الظلام ، ويتجه صوب مراكز العدو في الشمال ، ويدخل بيت خصمه القائد اوفيديوس ، « Aufidius » ويجلس مع الخدم متدثراً بعباءته حول النار . فيبلغ القائد خبر هذا الانسان الغريب ، فيطلبه ، ويشرح له كوريولانس واقع الحال ، ويقنعه باعادة الكرة على روما : فيقتنع اوفيديوس ، ويتولى كوريولانس قيادة جيش كامل العدة والعدد ، ويهبط به على روما لينتقم لكرامته المجروحة من هؤلاء القوم الذين جحدوا فضله وتنكروا له بعد كل ما صنعه لهم من خير .

اسقاطه ونفيه

في بيت خصمه

ويعلم اهل روما بما فعله كوريولانس وبما بيته لهم من شر ، فيشرع العوام الذين تسببوا في نفيه ، كل منهم يدفع المسؤولية عن نفسه ، فيقول احدهم :

« انني حين دعوت الى نفيه اردفت بقولي « انه لمؤسف حقاً ! »

وقال ثان : وانا قلت مثل هذا !

وقال ثالث : كذلك قلت انا : والحقيقة كثيرون قالوا هذا ، وذكروا انهم قاموا بما قاموا به مدفوعين لما هو افضل ، ومع اننا قبلنا بنفيه ، الا ان ذلك كان ضد ارادتنا ! » .

فيسعون لاسترضائه ، ويسلكون في ذلك سبلا شتى ، وانما من غير جدوى .

أم عظيمة تؤنب

واخيراً يبعثون اليه بأمه وزوجه وولده الصغير، فتخاطبه تلك الام العظيمة بكلام جارح، فيأمر الجيش بالتراجع. لكنه تراجع يدفع ثمنه غالياً، اذ ما يكاد الجيش يدري بما انتواه قائدهم الجديد، حتى قبضوا عليه، واتهموه بالخيانة العظمى، وقتلوه على مشهد من الجميع.

وهكذا يذهب كوريولانس نتيجة التبدل الذي طرأ على نظرته للشعب المسكين، وضحية طاعة الام ومحبتها الفائقة. وأشهد ان شكسبير قد برع واجاد وأفاد في تصويره الدور الذي يلعبه. « الرغيف » في حياة الناس،

سحر الجوع

كيف فعل الجوع في نفوسهم كالسحر، فلم يدروا ما هم فاعلونه اليوم، ولا هم ذاكرون ما فعلوه بالامس، ولا هم عالمون بما قد يجيء به الغد من نتائج وخيمة. فالجوع قد طمس على عقولهم وقلوبهم وأعمى بصائرهم، وأنساهم كل شيء الا أنهم جياع يحتاجون الخبز ليطعمون ويشبعون.

اسمع وصف شكسبير لهم:

« قالوا انهم جياع، وارسلوا مع الزفرات الامثال على الجوع الذي حطم الجدران الحجرية. وقالوا: حتى الكلاب يجب ان تأكل، وان اللحم قد خلق للافواه، والآلهة لم تبعث القمح للاغنياء وحدهم! »

أجل! ان الآلهة لم تبعث القمح للاغنياء وحدهم، يا صديقي تولستوي! وتقول مع ذلك، ان شكسبير يدعو للثروة والطبقية! (١)

وهكذا يبرهن شكسبير على نفاذ عقله ودقة فهمه ووعيه لسيكولوجية الجماهير.

وانا اخشى ان تظن شكسبير يمقت الدهماء وعامة الناس ويحتقرهم اذ يصورهم هذا التصوير المزري الشائن. والحقيقة خلاف ذلك؛ فأن مسرحية « كوريولانس » تصف بدقة وبراعة النزاع القائم بين طبقتي العوام

---

١ - راجع الصفحة ٧٠ من هذا الكتاب

يصور الواقع

الاشراف ، وتسجل الفوز الباهر الذي أحرزته طبقة العوام على تلك . فشكسبير – كما شرحت لك – قد وصف طغيان الفرد وصلفه وكبريائه ، مما ادى بقومه الى مقته واحتقاره ، والدعوة العامة لمحاكمته ونفيه . بينا صور طبقة العوام تصويراً يستدر عطف القارىء وشفقته عليهم ، ويستميله بلا شك الى الشعور معهم شعوراً قلبياً خالصاً ، فيتمنى لو انه يستطيع الثورة معهم على الظلم والطغيان !

ثم في (الملك لير) تراه يحرك كل عاطفة نبيلة بالمودة والحسنى لهـــذه الطبقة البائسة من الناس . اسمع مثلا هذا الملك (١) ينادي من وسط العاصفة الشديدة التي تزأر حوله ، قائلا :

«انتم ايها البؤساء العراة أنى كنتم ! يا من تتلقون وابل هذه العاصفة القاسية ! كيف تستطيع رؤوسكم المكشوفة ، وجنوبكم الناحلة جوعاً ، وأسمالكم الممزقة البالية ان تقيكم اذى فصول كهذه ؟ عرض نفسك لأن تعاني ما يعانيه التعساء ، لعلك بعد هذا تدفع لهم بالزائد عن حاجتك ، وتبرهن على عدل السماء!»

وفي (هنري الرابع) لا يحجم شكسبير عن التمدح باخـــلاق عامة الناس واطراء سجاياهم الكريمة . كما انه يجنح في كل من : « كما تشاء ، وقصة الشتاء ، ، وبركليس ، وهملت ، وكيل بكيل » الى المساواة بين العامـة والخاصة حين يتناولهم بأدق الوصف والتحليل .

ذاك ، ولم يقتصر في تحامله على طبقة العامة **الدهماء** ، ان كان فيما فعله شيء من هذا ، بل تجاوزه الى حـد الهزء بأبنـاء الملوك في (ازواج ونسر المسرحيات) ، والازدراء بالجند في كل من (ماكبث) ، (وعطيل) ، ولا سيما الاخيرة حيث صورهم في اشنع حالات السكر والعربدة وأرذلها .

والحقيقة التي لا مراء فيها أن شكسبير في لينه وتحامله ، وفي قسوته وتساهله

---

١ – مسرحية (الملك لير) المشهد الرابع من الفصل الثالث السطر (٢٨ – ٣٦)

انما يصور الحقيقة والواقع ، وليست له نزعة او فكرة خاصة يحب ان يعرضها او يدعو لها ؛ فاذا ما عرفنا ذلك ، وذكرنا هذه الحقيقة ، استطعنا ان نرد على كل من يدعي خلاف ذلك ، وامكننا ان ندرس هذه المسرحيات بعين صافية ومتعة فائقة ايضاً.

٣ — مرآة صادقة

لاشك في ان ادب شكسبير خير صورة مجلوة صافية تنعكس عنها الحياة، والطبيعة البشرية على تباين عناصرها ومظاهرها ،في عصر اليزابث ، وفي جميع العصور التي سبقته او تلته ، بالرغم من خروج الشاعر في كثير من المشاهد والحوادث على الواقع والمألوف ، وانطلاقه في عالم التصاوير الغريبة والحوادث والوقائع الخيالية البعيدة ، مما جعل أرباب المذهب الكلاسيكي يتحاملون عليه ، ويتناولونه بالنقد اللاذع .

صورة للحياة :

فبعض هذه المسرحيات سجل فني للحوادث التاريخية الغابرة ، وفي بعضها اشارات للمظاهر الاجتماعية والسياسية والدينية في عصر شكسبير ،والأهم من هذا انها ، في غالبها ، صورة صحيحة للحياة في كل مكان وزمان .

اما الماضي،فقد تناوله في السلسلة التي بسط فيها تاريخ بريطانيا منذ عصر جون (KING JOHN) حتى هنري السابع (١) ، وكذلك في « الملك لير ، وماكبث ، وسمبلاين » . ولم يقتصر على تاريخ بريطانيا ، بل تعداه في المسرحيات الرومانية (٢) الى معالجة شطر من تاريخ روما القديم . كما انك لتقرأ في (عطيل ، والعاصفة ، وهملت ، وحلم ليلة في منتصف الصيف ، وبركليس ،

في الماضي

---

١ — يجمع مؤرخو الادب الانجليزي على ان شكسبير لم ينفرد بتأليف «هنري الثامن» ويظنون بان فلتشر وماسنجر «MASSINGER» اشتركا معه في ذلك

٢ — وهي : يوليوس قيصر ، وانطوني وكليوباترا ، وكوريولانس ، وتيطس الدرونيكس

وترويلس وكرسدا) اوصافاً بارعة لاقوام وحوادث في عصور غابرة ، قدلامست للتاريخ بصلة . والذي يثير في النفس دهشة واعجاباً، ويزيد ادب شكسبير خصابة وطرافة وجمالاً ، تلك الممالك من الجن والآلهة التي ابدع في تصويرها أيما ابداع .

هذا من حيث الماضي ؛ أما ان هذه المسرحيات تصور طرفاً من عصر شكسبير الى حد بعيد ، فحقيقة راهنة تتجلى لكل من درس ذلك العصر دراسة وافية . ولا أذهب بعيداً في اثبات هذا . فما مسرحية (جهد الحب الضائع) سوى صورة جلية واضحة لناحية رئيسية من نواحي الحياة الاجتماعية في شكسبير . فهي تشير من طرف خفي الى مختلف الأزياء ومظاهر البهرجة والزينة في ذلك العصر كما يصف شكسبير في« هنري الرابع »(١) نمطاً من لوردات ذلك العصر ، هازئاً بلباسه المزخرف المعطر ، وذقنه الشبيه بنبت الهشيم وسلوكه المتكلف المتبذل ، ونشوقه الذي يشم منه بين حين وآخر ، واشاراته العصبية ، وتصرفاته الشاذة مع الجنود .

في عصر شكسبير

وقد وردت في بعض مسرحياته (٢) اوصاف طريفة لليالي الأنس وما كان يتخللها من ألوان اللهو والعبث من غناء ورقص تنكري وغيره، وهي تمثل حياة لندن الأجتماعية ولا سيما عند علية القوم ،تمثيلاً يقرب من الواقع . وآمل ان لا يفوتك ان الجو البوهيمي الذي يخيم على البرنس هنري وفولستاف (٣) في ساعات اللهو والانشراح، لم يك غريباً عن لندن وغيرها من المدن في عصر اليزابث. كما ان وصف شكسبير الدقيق لحياة القصور في (ريتشارد الثاني ،وهاملت ،وسمبلاين ،وحلم ليلة في منتصف

---

١ — هنري الرابع ، ج ١ - المشهد الثالث من الفصل الاول ، من السطر ٣٣ الى آخر خطاب هوتسبر « HOTSPUR »

٢ — اكثر هذا الوصف في : جهد الحب الضائع ، روميو وجوليت ، وحلم ليلة في منتصف الصيف ، وسمبلاين ،وأزواج ونسر المرحات

٣ — خصوصاً ما ورد في الجزء الاول من « هنري الرابع »

الصيف) وغيرها انما هو تصوير للحياة في قصور اليزابث وجيمس المختلفة. بل ان الازدراء بخفراء الارياف في كل من (جعجعة ولا طحن) أو (جهد الحب الضائع) ليس الا ازدراء شكسبير نفسه بأفراد عايشهم وعرفهم حق المعرفة . كما لست اشك ان جماعة العمال واهل الحرف والصناعات ممن تعرض لهم في بعض مسرحياته ليسوا هم الا بعض من شاهدهم وخالطهم وخبرهم ، حتى تمكن من تصويرهم بمثل هذه البراعة الفائقة حد الوصف .

هذه لمحة خاطفة واشارة عابرة لا بد منها لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية التي صورها شكسبير كما بانت له في عصره ومحيطه . وهناك نواح أخرى نقيد في وصفها بما كان شائعاً في زمانه ، كالاعتقاد بالخرافات والسحر والعالم الغيبي . ويؤيد ذلك ما جاء في النصوص التاريخية والدينية عن انتشار السواحر في عهد اليزابث ، وعن سعي الكنيسة لمكافحتهن بكل مافي وسعها من سطوة وقوة . هذا خلا ايمان العامة وبعض الخاصة بالارواح والجن الذي يملأ الفضاء ، ويسود الخرائب والاطلال ، ويتخطر في الازقة والشوارع في الليل ، ولا يظهر الا في ظروف معينة لاناس معينين.

ثم ان في بعض مسرحياته (١) تلميحاً لطيفاً بارعاً للموقف العدائي الذي كانت تقفه الطوائف الدينية المحافظة من المذاهب والشيع الجديدة ، وقد بدأت تظهر في ذلك العصر ، وتنتشر بسرعة تلفت اليها الابصار . كما ليس بمستبعد ان يكون في اشارة شكسبير للنزاع بين فرق الممثلين تعريض بالخلاف المستفحل في ذلك العصر بين اصحاب المسارح العمومية وبين فرق الصبيان التمثيلية (٢) .

وفي كثير من المناظر الطبيعية الخلابة التي رسمها في معظم رواياته الرومانسية

---

١ - كتعريضه مثلا بطائفة الطهريين « Puritans » في مسرحية (الليلة الثانية عشرة ، ولا سيما المشهد الثالث من الفصل الثاني ، ففيه يمثل مالفوليو « Malvolio » هذه الطائفة ابرع التمثيل وأدقه .

٢ — كانوا يعرفون في زمانه بصبيان الكنيسة « Children of The Chapel » وقد اشار اليهم في المشهد الثاني من الفصل الثاني من (هاملت) وخاصة في السطر (٣٥٤ - ٣٨٠)

«ROMANTIC PLAYS» (١) لا ريب انه تأثر بما كان يحيط ببيته من طبيعة فاتنة ويستمتع به في نزهاته من مشاهد بهية ساحرة. وكما لست أشك أن غابة اردن « ARDEN » التي ورد وصفها في احد مشاهد (كما تشاء) (٢) انما هي الغابة التي كانت تكتنف بيت شكسبير، والتي اعتاد ان يخرج اليها طفلا ويافعاً ويستمد منها هذه الاوصاف الشعرية الفريدة، فيختزنها في صدره، ويتمثلها في نفسه، ليبعثها بعد حين من الزمن انغاماً مشرقة خلابة، وصوراً بهية لألاءة، في تلك المسرحية الخالدة، وفي غيرها أيضاً.

وهناك اشارات الى بعض الحوادث السياسية والطبيعية التي وقعت في عصره، بيد أنها مجزأة وموزعة في ثنايا السطور. وهي، على هذا التجزؤ والتبعثر، تدل على عناية شكسبير بشؤون عصره عناية لم يستطع التجرد منها بتاتاً، كاشارته مثلا في هنري الخامس (٣) الى الجيش الذي ساقته اليزابث تحت قيادة ايرل أوف أسكس « Earl of EsseX » لاخضاع ايرلندا الثائرة في (١٥ نيسان ١٥٩٩) وعودته منها في (٢٨ ايلول) من السنة نفسها. وكاشارة الممرضة « The Nurse » في « روميو وجوليت » (٤) الى الزلزلة التي وقعت سنة ١٥٨٠؛ ثم ذلك القول في « حلم ليلة في منتصف الصيف » (٥) الذي به يطري اوبرون الملكة اليزابث، ويشيد بجلال ملكها وعظمة سلطانها، ومثل ذلك اشارته في «الملك لير» (٦) الى الكسوف الذي حدث في أو كتوبر سنة ١٦٠٥، والخسوف الذي سبق ذلك في سبتمبر من تلك السنة.

نستخلص من هذا ان شكسبير كان ابن عصره ومحيطه، بل انجليزياً صميمياً واليزابثياً

---

١ - وهي (سيمبلا بن، وقصة الشتاء، والعاصفة)

٢ - المشهد الاول من الفصل الثاني من هذه المسرحية

٣ - افتتاحية المشهد الاول من الفصل الخامس السطر ٣٠ - ٣٤

٤ - المشهد الثالث من الفصل الاول السطر ٢٣

٥ - هو في الاصل هكذا : « Fair vestal throned by the west » وقد ورد في المشهد الاول من الفصل الثاني السطر ١٥٨

٦ - مسرحية (الملك لير) - المشهد الثاني من الفصل الاول السطر ١٥

الى حد ما في تصويره لكثير من مظاهر الحياة وجوانب الطبيعة البشرية، وفي اشاراته العابرة الى بعض الاحداث السياسية والطبيعية في ذلك الزمن ايضاً .

وانا لا أجد بدعة او غرابة في ان شكسبير تأثر بعض الشيء بالحياة التي كانت تحيط به ، حين ألف تلك المسرحيات . فالفنان بالغاً ما بلغ من العبقرية والالهام لا يستطيع الانطلاق التام والتجرد من بيئته ومألوفه في ماينتجه من فن . ومهما حاول اخضاع فنه لطبيعته ومزاجه ، فأنه لا يصيب في ذلك كل النجاح ، اذ لا بد أن تظهر عليه علائم البيئة التي نشأ فيها ، وتعلق بفنه آثار من الحوادث التي تقع على مرأى منه، في محيطه وزمانه .

ولقد أجاد كارلايل كل الاجادة حين شبه عصر اليزابث بنبتة نامية مورقة تضافرت جميع اجزائها ، الكبير منها والصغير ، على تكوين هذه الزهرة اليانعة العبقة المسماة (شكسبير) !

لكن عبقرية شكسبير لا تتجلى بعظمتها وجبروتها في مابسطناه وأوضحناه من وصفه وتصويره للحياة في ذلك العصر او قبله من العصور فحسب ، بل في جميع الازمان ، وعند كل الامم . فقد سما بعبقريته فوق حقب الزمن ، فتغلغل في الماضي ، وتأثر بالحاضر نتيجة تفاعله معه ، واجتازهما الى المستقبل المجهول ليخاطب عقولاً لم تكون ، ونفوساً لم تخلق بعد !

في كل زمان

ولقد وصفنا فيما مر ، مقدرته الابداعية الفائقة وعبقريته الخارقة في خلق الافراد والجماعات ، الامر الذي لا يتأتى الا لمن خبر الطبيعة الانسانية وبلاها ، وعرف اسرار النفس البشرية ووعاها ، بجوهرها وليس بعرضها . ذلك لان الجوهر خالد لا يفنى بفناء مظاهر الحياة الزائفة ، اما العرض فلا يعمر اكثر من جيل او اثنين على الغالب ، بل لابد ان يمسي طعاماً للدود ، ان طال الزمن ام قصر . فمقارعة الزمن ومحاولة القبض عليه ، انما هو المقياس الصحيح لخلود الادب ، بل خلود كل شيء في الحياة .

وقد لا يهم الاديب ما في روايات شكسبير من عناية خاصة بعصره او بما سبقه من عصور ، من النواحي الاجتماعية والسياسية والدينية ، بالقدر الذي قد يهم المؤرخ والسياسي . لان هذه المواضيع في نظر الاديب اعراض فانية زائلة ، لا تثير شعوره او تغذي عقله وتبعث خياله ، اذ انها تقتصر على فئة واحدة في محيط واحد وعصر واحد ايضاً . انما المهم لديه وصف الطبيعة البشرية بما تنطوي عليه من غرائز ، ومظاهر عاطفية وفكرية وروحية واجتماعية .

موضوعه جوهر الانسان

فما دام الانسان انساناً يشعر ويتأمل ويتألم بشكل دائم ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان ، فالأدب الذي يعالج موضوع الانسان ، بجوهره ، أدب سام خالد ، لا يفنى بفناء الساعة التي يتكون فيها .

وهذا لعمري ما ضمن لادب شكسبير هذا الخلود ، وهذه الشهرة العالمية العريضة . فما أدبه الا قطعة من نفس الانسان ، وصورة صادقة لقلبه وعقله معاً . فانه لا يترك عاطفة او خلجة او حالة من اشد حالات النفس حزناً وكمداً ، الى اكثرها غبطة ومرحاً ، بغير وصف دقيق وتصوير واقعي بارع ، موشى بحلة أخاذة من الخيال الرائع . ولم تنفرد مآسيه بتصوير البؤس والكمد والدس والحسد والذعر والألم واليأس والسأم وحب الثأر والجشع ، بل لم تختص ملاهيه بتصوير اللذة والجمال والمرح والامل وحب الحياة ، وكل عنصر من عناصر السعادة المطلقة . اذ كل من مآسيه وملاهيه ، ككل بطل ، بل ككل شخص من اشخاص مسرحياته ، مركب من عناصر السعادة والشقاء ، تلتقي فيه صفات عديدة من الشر والخير ، والقبح والجمال . اذ في ذلك صدق التصوير وبراعة الوصف ودقة الفهم للطبيعة البشرية ، التي أخال بذرتها واحدة لا تختلف في نفوس جميع الناس ، وان تفاوتت فيها عناصر الشر والخير بتفاوت الظروف والعوامل ، ولا سيما عاملا الوراثة والمحيط اللذان يؤثران في نفوس الناس ويصوغان اخلاقهم وطبائعهم صيغاً معينة .

لهذا ترى ان كل شخص من اشخاص هذه المسرحيات يكاد لا يلبث على حال واحد من أحوال الحياة ، فهو معرض تارة للبؤس والشقاء واخرى للسعادة والهناء ،

تعصف به رياح الهموم حيناً ، وتهب عليه أنسام النعيم حيناً آخر . وانك لو تخيلت نفسك في الظرف الذي يعيش فيه احد اشخاص مسرحيات شكسبير ، فانك غير مستطيع ان تفوه أو تفعل أو تشعر بغير ما يفوه به ذلك الشخص أو يفعله ويشعر به في ذلك الظرف .

ولقد حرص شكسبير غاية الحرص على ان تظهر شخصياته على المسرح سمينة ، عبيلة ، حية كل الحياة ، لا هزيلة عجفاء ، تسيطر عليها حالة واحدة ، ويرين عليها مظهر واحد ، ينبو عنه الذوق والنظر ، ولا يملأ النفس او يشبع العقل اشباعاً .

فالناظر في مسرحياته المتأخرة على الخصوص يلاحظ تدرجاً محسوساً في نمو الشخصية وتطورها ونضوجها ، منذ بدء المسرحية حتى ختامها . فيجد نفسه ، بعد ان يقطع شوطاً في مطالعتها ، ازاء شخصية لم تسو على عجل . شخصية ناضجة نضوج الثمر الحلو الشهي على شجره . فهي قوية ، نافذة ، ممتلئة الجوانب ، تفرض نفسها على القارىء فرضاً ، فلا يستطيع ان يتغاضى عنها او يهملها وينساها . فلا غرو ان رأيت اعاظم الممثلين يبذلون في دراستها غاية الجهد ، وينفقون أطول الوقت ، ليتمكنوا من فهمها على حقيقتها ، واظهارها على المسرح حية ، كاملة ، لا وجه لانتقادها .

كالثمر الشهي

هاك مثلاً كاشيوس « CASSIUS » في مسرحية « يوليوس قيصر » ، فهو كما تعلم رجل حسود ، غيران ، بل لئيم رواغ ، ممعن في اللؤم والمراوغة ، يطوي في نفسه أبغض السرائر واشنعها ، ويكتم أشد النيات اثماً وحقارة ، فلا يكاشف أحداً بما يضمره ، جاعلاً بين حقيقة نفسه وبين الناس حجباً صفاقاً من المداهنة ، وأستاراً كثافاً من المكر والمخاتلة . انما اين هو وهذا التحفظ والكتمان ، من عين قيصر التي تنفذ الى الحقائق والجوهريات ؟ فترى قيصر ينظر اليه ذات مرة بطرف خفي ، ويهمس (١) في أذن انطوني هذا الوصف الصادق لنفسية كاشيوس :—

كاشيوس

---

١ — المشهد الثاني من الفصل الاول ، من السطر ١٩٣

« هنالك كاشيوس بنظرته الهزيلة الجائعة ،
انه كثير التفكير ؛ رجال كهذا خطرون ! » (١)

ومع ان انطوني زعم أن كاشيوس رجل روماني نبيل ، وليس ثمة ما يوجب خشيته ، غير ان قيصر يتمنى لو كان كاشيوس اكثر سمنة مما هو ، ويقول انه لا يحسب لأحد غيره حساباً ، ويستمر في وصفه قائلا : —

« ... انه يطالع كثيراً ،
ودقيق الملاحظة ، ويستشف الناس من خلال افعالهم .
انه لا يميل للهو والتسلية
كما تفعل يا انطوني ، ولا يسمع موسيقى ،
ويندر ان يبتسم ، واذا ما فعل ذلك ،
كان كالساخر من نفسه ، والهازيء بروحه
التي تبتسم لاي شيء في الوجود !
رجال مثله لا تهدأ لهم نفوس
ما داموا يرون في الحياة من هو أعظم منهم ،
ولهذا فانهم خطرون ! »

وكاشيوس شديد الانانية والغيرة ، ولا يهمه الصالح العام . وهو يحسد قيصر ، ويخشى بروتس ، ويسعي الى اقصائه عن المنصب الذي ينوي قيصر وضعه فيه . ثم انه لا يحب الخير لروما أكثر من كرهه لها ، لكنه يخفي كل هذا بحذق ودهاء ، فيداجي بروتس ويتودد له ، ويتظاهر امام المتآمرين بالشرف وعزة النفس والاباء ، وكذلك بمحبة روما والتفاني في الاخلاص لها ، والعمل على انقاذها من الطغيان . ثم في كل حركة يأتيها ، او كلمة يفوه بها ، تشعر انك امام رجل عرك الحياة عركاً ، ووزن الامور بميزانها الصحيح ، فقد نصح بروتس بالقضاء على قيصر

---

١ — المشهد الثاني من الفصل الاول ، من السطر ٢٠١

وانطوني معاً ، وبعدم السماح لانطوني بالتحدث للرعاع بعد مقتل قيصر ، وان يبقي الجيش متحصناً في مراكزه الدفاعية المنيعة وألا يجهده بالتقدم به من جيش العدو في فيلبي « PHILLIPI » . وقد لاقى بروتس ما لاقاه من الفشل الذريع والاخفاق الشنيع بسبب هـذه السذاجة في الطبع ، والطيبة في القلب ، وعـدم الفهم الصحيح للناس .

ولقد أحسن شكسبير كثيراً ، اذ جمع في مسرحية واحدة نموذجين متناقضين من البشر . فكاشيوس يمثل نموذجاً ، وبروتس يمثل النموذج المعاكس . فبروتس يكاد يكون نسيج وحده في كل خصائصه وميزاته ، في سلوكه واخلاقه ، في نزعتيه الوطنية والفلسفية ، في نبالة قلبه ، وطهارة سجيته ، ونقاوة سريرته ، وكذلك في الاستقامة ، والحزم ، وصرامة الطبع ، وعدم المواربة ، والحيدة عن الحق ، ولست اظن بروتس يجهل نفسه ، كما يستدل من الحديث الذي جرى بينه وبين كاشيوس . وقد تتذكر ان كاشيوس حاول جهده اقناع بروتس بوجهة نظره ، ألا وهي انقاذ روما من دكتاتورية قيصر العاتية ، ولم يكن هذا في الواقع هدف كاشيوس الرئيسي . كما انه قصد الترويج لحركته بين اهل روما بالسعي الى جعل بروتس زعيمالهؤامرة . فيصغي بروتس الى كاشيوس الداهية وهو يسرد حججه بحذق ولباقة . ويظن كاشيوس انه قد سد على بروتس جميع مغالق المنطق والتفكير ، وانه حتما قد حمله على الايمان بصدق نيته وسهولة تحقيق مطلبه ، من أول مقابلة ؛ بيد ان بروتس ما عتم ان اعلن متسائلا بسذاجة الاطفال وبرائتهم وصراحتهم (١) : —

« الى أي المخاطر تقودني يا كاشيوس
فتطلب الي ان ابحث في نفسي
عما ليس في نفسي ؟ »

وبروتس ، كما صوره شكسبير في المسرحية ، يعشق الحرية الشخصية ، بل أكثر

---

١ — المشهد الثاني من الفصل الأول ، من السطر ٦٣

منها حـــرية روما . ولا يحجم عن التضحية بنفسه في سبيل تحقيقها . فقد قال في خطبته في الرعاع : — (١)

« اتفضلون ان يكون قيصر عائشاً ونموت جميعنا عبيداً ، على ان يكون قيصر ميتاً ونعيش كلنا احراراً ؟ لان قيصر احبني ، فانني ابكي عليه ، لانه كان ناجحاً فانني مغتبط له ، لانه كان شجاعاً ، فانني أمجـــده ، اما لانه كان طامحاً فانني قتلته ! »

ثم يستأنف خطابه بعد وقفة بيانية قصيرة ، يعلن فيها مقدم انطوني وآخرين يحملون جثة قيصر ، ويقول : —

« اما وقد قتلت اعز صديق لخير روما ، فانني احتفظ بالخنجر ذاته لقتل نفسي ، حين يرى بنو وطني ضرورة لذلك ! »

ولعل من اروع المقطوعات التي جعلها شكسبير على لسان بروتس واكثرها دلالة على نفسيته تلك التي قال فيها : — (٢)

« اذا كان الامر يتعلق بالصالح العام ،
فضع الشرف نصب عين ، والموت نصب الاخرى ،
وســـأنظر الى كليهما شيئاً واحـــداً !
واتمنى على الآلهة ان تنجح مسعاي
بقدر ما احب الشرف اكثر مما أخشى الموت ! »

وليس بروتس ككاشيوس العملي الذي خاض غمار الحياة ، وبلا الناس وعرف مداخلهم ومخارجهم ، وتمكن من النفاذ الى بواطن الامور واختراق حجب المحسوسات . بل هو غمر ، ساذج ، وصاحب نظريات ومثل عليا وأحلام ، يقيس كل امر بمقياس

---

١ المشهد الثاني من الفصل الثالث ، من السطر ٢٣

٢ — المشهد الثاني من الفصل الاول ، من السطر ٨٥

العقل والمنطق . وقد صوره شكسبير محباً للفلسفة الرواقية « STOICISM » ومطبقاً الكثير من تعاليمها العنيفة الصارمة على نفسه وسلوكه . فهو جلد ،صبور،هادىء، رزين ، بل عنيف، قاس غاية القسوة ، لا تهيجه الافراح والملذات ، ولا تستثيره الآلام والأحزان . وانني ألمح ان هـــذا الطراز من التفكير الفلسفي ، وذاك الانصراف للنظريات ، والاغراق في التأمل ، قد اكسبه ، ولا شك ، حساسية في الطبع ، ورقة متناهية في الشعور ، ورسم في اعماق نفسه خيوطاً ناعمة دقيقة من الكآبة الشعرية اللذيذة،التي هي من سمات الثقافة العالية ، والتي تطرب لها النفس الشـــاعرة الصافية ، وتتغذى منها اكثر من الفرح العادي ، الذي يروق الدهماء.

وقد صور شكسبير في بياتريس(١)« BEATRICE »وبندك « BENEDICK » نمطاً آخر من النساء والرجال ،قد لا نجده غريباً علينا . فكل من بياتريس وبندك ذكي لامع، وظريف سريع الخاطر . وكل منهما شكس ، مدع ، يحب ان يظهر على الآخر في ألمعيته وذكائه . والسبيل الوحيد لهذا ،هو النقاش المؤذي الجارح ، والمنافرة والملاحاة . فقد كان يجري بينهما ، اذا ما التقيا في ناد او مجلس، مثل ما كان يجري بين خطباء المنافرة في الجاهلية . بل انه كان

بندك وبياتريس

يتطور الى حد تتوقع معه حصول خصام شديد وقطيعة تامة . وقـــد لا يستطيع القاريء لأول وهلة ان يلمح ما وراء هذا السوء والتنكر والعـداء الذي يبديه احدهما للاخر ،من تشاكل في الطبع بينهما،وتماثل في جوهر الاخلاق ،وان كلا منهما يشعر في قرارة نفسه بوحشة وغربة ، بسبب ما جبلت عليـــه نفسه من الجمال وحب الخـــير والنبل والطيب الخالص ، في وسط بيئة كلها سوء وظلام . ولعل هذا التشابه الجوهري في اخلاقهما هو علة ما كان ينشأ بينهما من مطارحات ومشـــاحنات وجدل مؤذ عنيف ، ومفاكهة تشبه السباب احياناً . لكنهما لم يعيا هذا السبب،ولم يدركا مصدر الخصام . فكان من اليسير على أمير اراقون « PRINCE OFARAGON » ، وقد لمس طرفاً من الحقيقة،أن يتمكن من ايقاعهما

---

١ - في مسرحية « جعجعة ولا طحن »

في شرك الزواج الذي نصبه لهما، بعد ان رسم لذلك خطة مدبرة بارعة . فقد ادرك الامير بثاقب نظره انهما متفقان باطناً ، وانهما لهذا في معزل عن الناس ،وفي وحشة أيضاً، وان ذلك مما يسهل انجذاب احدهما للاخر اذا ما توسط في الامر ، وسعى الى تحقيقه من خلصت نيته وصفت سريرته .

وانا لست أدري ما كان لفرويد « FREUD » ان يقوله ،لو درس هذا الموقف، وتوخى تحليله على أساس نظريته الجنسية المشهورة ؟ أتراه يرضى بهذا التعليل ،أم انه يرده ، مدعياً ان الدافع الجنسي « LIBIDO » هو السبب الحقيقي لما آل اليه امرهما من وفاق وانسجام ،واخيراً من زواج ، بعد كل ما كان يحدث بينهما من جدل مؤذ وتنافر حاد ؟ لعل فرويد قائل هذا ، ومضيفاً عليه اعتقاده الجازم بان الامير وصحبه الذين نحسبهم عوامل قوية في التوفيق بينهما ، لم يكونوا سوى عوامل ثانوية طارئة ، بل ادوات صماء في يد عامل الغريزة الجنسية التي هي كل شيء في الحياة، والتي تحرك كل ما تلقاه في طريقها ، وتدفعه، بل تسوقه الى تحقيق اهدافها الطبيعية سوقاً .

ثم يصور شكسبير في السيدة ماكبث « LADY MACBETH » امرأة نبيلة الخلق، محبة للخير ،الى الحين الذي فيه يغمر هذا النبل ، ويطمس ذلك الحب للخير ويكاد يمحوه محواً ،خلة خبيثة في نفسها ، بل جد خطرة، حينما تتجاوز حد الرزانة والاعتدال؛ اعني بها الطموح المفرط . فالسيدة ماكبث طامحة ، جشعة ، مغامرة ، تطمع في التاج طمعاً يكاد يذهب بعقلها . وانا لا ادري بالتمام أهو الجشع السيء الذي بنفسها ، ام حبها لزوجها ، وتفانيها في الاخلاص له الذي زين لها سلوك هذا الطريق الوعر ؟

السيدة ماكبث

والسيدة ماكبث جريئة ، ناضجة ، ومدبرة حازمة ، اكسبتها الايام خبرة مدهشة وفهما عميقاً للحياة . ولا ريب ان شكسبير خلقها على هذه الصورة لتكمل ما في طبيعة زوجها من نقص . فهو لا يعرف الحزم والبت في الامور ، ولا يمضي قدماً في تنفيذ مآربه . فاذا عرضت له مشكلة ، أو بدا لأمر صعب ، واجهه

ببعض عقله وخياله ، ولا يتعداهما في اول الامر الى قلبه ويده . وليس معنى ذلك انه رعديد جبان ، اذ انه في الحقيقة جريء مقدام ، لكنه في جوهره شاعر ، حالم ، يسترسل في التأملات والتصاوير ، ويستسلم للخرافة والوهم احياناً . وهنا تتدخل زوجه بما فطرت عليه من صفات البطولة ، وبما طرأ على خلقها من عوامل السوء والشر ، فتحفزه لانجاز أعماله ، وتنفيذ خططه بسرعة نادرة وبقوة خارقة ، وتسنده وتشد من أزره ، حين يوشك ان يستكين للظروف القاسية .

وتتلخص صفات هذه المرأة في الطور الاول من حياتها ، في تلك النصيحة التي أسدتها لزوجها ، وفيها نشم رائحة كاشيوس ، رجل الدنيا المجرب الحاذق .

استمع الى هذا الحوار (١) الذي جرى بينهما ، بعد ان عقدت العزم على الغدر بالملك دنكن «DUNCAN» حين يضيفها في قصرهما : —

« هو — ان دنكن آت هنا الليلة ، يا حبيبتي

هي — ومتى يغادر هذا المكان ؟

هو — غداً ، كما يقول .

هي — كلا ! سوف لن تطلع الشمس على هذا الغد !

وجهك ، يا سيدي ، ككتاب ، حيث الناس
يقرأون شؤوناً غريبة . ولكي تحتال على الزمان
تظاهر كالزمان ، اجعل الترحاب في عينك
وفي يدك ولسانك : أبد كالزهرة البريئة
انما كن الافعى تحتها ! »

وتمضي السيدة ما كبث في اسداء النصح لزوجها ، بالتنكر واخفاء ما يضمره لضيفه ، وأن يترك تنفيذ الخطة لها .

الى هنا لا يقف القاريء منها موقف العطف والاحترام ، لكن شعوره نحوها

---

١ — المشهد الخامس من الفصل الاول من السطر ٥٩ — ٦٨

قد يتبدل بالتبـــدل الذي طرأ على نفسها . اذ ما كاد يمضي بعض الوقت على تلك الجريمة المروعة التي دفعت زوجها لاقترافها ، حتى شرعت عناصر الخير تتنبه في نفسها ، فيتنبه معها ضميرها الحي الطاهر ، ضمير الزوج الصالحة ، والام الرؤوم ، والامرأة الضعيفة . فتتألم ، وتتعذب ، وتستخذي حين يباعد الزمان ما بينها وبين زوجها ، ويعتريها الهم والكدر ، ويتسرب الى فؤادها الذعر والوجل . وككل امرأة ، لا تستطيع في النهاية ان تصمد أمام الزعازع ، بل كالبناء نجـــدها تنقض وتنهار تحت ضغط هذا الجرم الفظيع ، الذي لم تعد تدري كيف تصرف صورته من مخيلتها ، أو تمحو ذكراه من ذهنها . بخلاف زوجها الذي شرع يستعيد بعض جرأته وصلابة عوده ونشاطه . فتعود اليه اعصابه القوية ، ورجـــولته ، ويواجه الحقيقة القاسية بشدة وعناد ، ويثبت أمام اعدائه كما يفعل كل بطل صنديد . بيد انه لا يفوز في النهاية ، ويجعله شكسبير يلفظ في ميدان القتال آخر خفقة من خفقات تلك النفس المتألقة ضياء واشعاعاً .

وأشـــهد ان شكسبير بلغ ذروة الابداع الفني في شخصية هاملت الفريدة العجيبة . وهي شخصية سحرية غامضة ، تتحدى كل وصف وتحليل ، لشدة مايكتنفها من الغموض ، ولدقة تركيبها ، وتنوع مظاهرها ، وتشابك ظلالها .

فهاملت امير شاب ذو فطرة نقية شفافة نبيـــلة ، ومواهب عقلية نادرة ، وثقافة جامعية ممتازة . وهو ايضاً بر بوالديه ، محب لأبيه ، مقدس لذكراه ، ومتصل بأمه كل الاتصال . كما انه على غاية كبيرة من الكياسة والتهذيب ، يجامل الاصدقاء ، ويلاطف من هم دونه في سلم الاجتماع ، ويقدر مزايا الغير ، ويعترف بحقوقهم في الحياة . هاملت

هذا من ناحية . وهو من ناحية اخرى ، كئيب الطبع ، حزين الفؤاد ، ومرهف الحس ، حاد الشعور . وهو كذلك متحسب ، متردد ، مسوف ، لا عن جبن في نفسه ، وانما بسبب هذه الحساسية والرقة المتناهية في اخـــلاقه ، ولانه اعتاد الاستسلام للتأمل والتصور والتفكير . فهو من جراء ذلك يزن كل حركة يأتيها وزناً

فلسفياً مثالياً ، ويقيس كل خطوة بمقياس الفكر ، قبل ان يقدم على تنفيذ أي أمر ؛ ويؤخر ، ويؤجل من ساعة الى أخرى ، الى ان تنجلي الحقائق في ذهنه ، وتبين واضحة كالشمس .

وكم كلفه هذا التردد والتحسب ، ووزن الاشياء ، وتقديرها ، وتقليبها على أوجهها الكثيرة ، من جهد ومشقة وضنى ! بل كم من نفس أودى بها ، نتيجة هذا التردد والتسويف ، والبطء في البت والجزم ، وعدم ادراك الهدف الرئيسي بقوة وسرعة وحزم ، غير آبه لما قد يعترض سبيله من مشاكل أخرى ثانوية ! فأنه ، وهو يسعى الى الانتقام من عمه ، قد تسبب في ازهاق ارواح سبع ، هم : أمه واوفيليا « Ophelia » ، وبولونيوس « Polonius » ولارتس « Laertes » وكلوديوس « Claudius » ، وصديقاه روزنكرانتز « Rosencrantz » وقلدنسترن « Guildenstern » . وما كان أغناه عن اماتتها ، لو انه كان يملك ارادة صديقه هوراشيو « Horatio » ، وقوة عزمه وهدوء أعصابه !

وليس يعني أن انطباعه على الاناة والترفق والتأخير والتسويف ، وعدم القطع في تعيين الاسباب او تقدير النتائج ، سيجعل الامور تخرج من يده بنسبة وعلى قدر . كلا ! فان اتصافه بضعف الارادة ، والكآبة ، وحدة الشعور ، واسترساله في عالم الوهم والخيال ، وانصرافه للتأمل الفلسفي الذي لا ينتهي عادة بصاحبه عند شيء ، لمما سبب له بلبلة ذهنية ، وحيرة وارتباكاً . فتراه ، حين تفاجئه عوامل جديدة ، وتجابهه ظروف لم تكن متوقعة ، ينساق الى أقصى طرف ، ويسرع ويندفع الى تنفيذ ما يتبادر لذهنه من حل ، دونما انعام نظر ، ذلك لانه لا يجد من الوقت متسعاً للدرس والتحليل والتعليل . وهذا واضح من اقدامه على قتل بولونيوس بمثل تلك السرعة الخاطفة ، لغير ما سبب معقول .

وهكذا يحب شكسبير ان يخيب ظننا في شاب جامعي مثالي ، لنا الحق كل الحق في أن نرجو منه الشيء الكثير !

فقد شاء أن يفرض عليه واجباً كبيراً ، وان ينيط به مسؤولية جسيمة ، وان

يقذف به من برجه العاجي الى عالم من الحركة والضجيج ، ويزج به في دنيا الآثام والاجرام ، جاعلا في يد القدر اللاهية العابثة أميراً كريماً ، هانئاً في حياته الفكرية مغتبطاً ، غارقاً في خواطره الفلسفية ، ماضياً في حبه لاوفيليا ، لا يثنيه عن ذلك شيء . انه حقاً لعبء ثقيل ، يضعه الشاعر فوق منكب غض صغير ! وما أجمل ما عبر عن ذلك جيته ، شاعر الالمان الخالد اذ قال : « ان مثل شكسبير في ذلك ، مثل من يزرع سنديانة كبيرة في أصيص أزهار ثمين ، فتنتشر الجذور ، ويتحطم الأصيص بعد حين ! »

وهذا بالفعل ما حدث لهذه النفس الجميلة . فقد ضاق بالحياة ذرعاً ، وخرج عن طوره العقلي خروجاً ظنه الناس معه مخبولا . ولاقى في حياته فشلا أثر فشل ، واخفاقاً تلو اخفاق ، حتى يتحطم قلبه الكبير تحت ضغط تلك الظروف القاسية ، ويذهب ضحية الخيانة والغدر ، وفريسة القدر ، وجور الزمان .

ألا كم في الحياة يا صاح من هاملت ! بل كم في كل منا بعض من هاملت ! أوليس سر معجزة شكسبير هو في استطاعته ان يرينا طرفاً من ذاتنا واضحة عارية في ذات هذا الشاب الذي عرض فلم حياته في هذه المسرحية العظيمة ؟ بيد انه مهما بلغ عدد الذين يشبهون هاملت في الحياة ، فان الذي وهبنا هاملت سوف يظل واحداً لا يدانيه انسان في مقدرته الفنية العجيبة على الخلق والابداع !

وما قلناه عن هاملت وغيره يمكن ان يقال عن اياغو ، وشيلوك ، وروميو ، والملك لير ، وعطيل ، وديدمونة ، وروزولند ، وفولستاف ، وغيرهم من عشرات الشخصيات الفذة البارزة ، التي لو توخينا وصفها وتحليلها ، لاتسع نطاق البحث اتساعاً كبيراً .

اما الناحية الفكرية والمظهر العقلي لاشخاص مسرحيات شكسبير فحظها من الوصف البارع والتصوير الصادق غير يسير . فهم يتدرجون من أضعف الخلق عقلاً

نماذج بشرية متنوعة

وأحطهم تفكيرا ، وأضيقهم ثقافة ، الى أوسعهم ادراكاً ، وأحدهم فطنة وذكاء ، واعمقهم فهما وتأملا . ففيهم العمال ، كحفاري القبور (١) الذين أماتت فيهم طبيعة الحرفة كل حس وشعور ، فلا يأبهون للموت ولا يصرفهم جلاله عن الغناء والنشيد ؛ بل نراهم يمضون في عملهم جادين ، ناشطين ، يعبثون بجماجم الموتى ويبعثرون عظامهم البالية . وكذلك الرعاة (٢) والحصافون (٣) والخياطون (٤) والبحارة (٥) والتجار (٦) . وفيهم المهراجون (CLOWNS) كفولستاف (٧) وتشستون (٨) وفست (٩) ولونسلوت (١٠) . وفيهم ايضاً الجنود والقواد والامراء والملوك ، في معظم المسرحيات التاريخية . وفيهم الكهنة (١١) والمحامون (١٢) والاطباء (١٣) . ومنهم ايضاً الفلاسفة ، ومن ينحون

---

١ - (هاملت) - المشهد الاول من الفصل الخامس

٢ - (هنري السادس ، ج ١) المشهد الرابع من الفصل الخامس ، وفي (قصة الشتاء) المشهد الثالث من الفصل الثالث .

٣ - (يوليوس قيصر) المشهد الاول من الفصل الاول .

٤ - (ترويض المرأة الشرود) المشهد الثاني من الفصل الرابع

٥ - (هاملت) المشهد السادس من الفصل الرابع ، وفي (عطيل) المشهد الثالث من الفصل الاول ، وفي (بركليس) المشهد الاول من الفصل الثالث .

٦ - (كوميدا الاخطاء) المشهد الثاني من الفصل الاول ، وفي (تيمون اثينا) المشهد الاول من الفصل الاول .

٧ - (FALSTAFF) في (هنري الرابع ج ١ و ٢) المشهد الثاني من الفصل الاول في كلا الجزئين وكذلك (ازواج ونسر المرحات) المشهد الاول من الفصل الاول

٨ - (TOUCHSTONE) في (كما تشاء) المشهد الثاني من الفصل الاول .

٩ - (FESTE) في (الليلة الثانية عشرة) المشهد الخامس من الفصل الاول

١٠ - (LAUNCELOT) في (تاجر البندقية) المشهد الثاني من الفصل الثاني

١١ - في (هملت) المشهد الاول من الفصل الخامس ، وفي (ريتشارد الثالث) المشهد الثاني من الفصل الثالث ، وفي (الليلة الثانية عشرة) المشهد الاول من الفصل الخامس .

١٢ - في (هنري السادس - ج أ) المشهد الرابع من الفصل الثاني .

١٣ - في (سمبلاين) المشهد الخامس من الفصل الاول ، وفي (الملك لير) المشهد الرابع من الفصل الرابع ، وفي (ماكبث) المشهد الثالث من الفصل الرابع .

منحاهم ، فكراً وعملاً ، كشيشرون (١) (CICERO) وهملت ، وجاك (٢) (JACQUE) وقونزالو (٣) (GONZALO) ، الى آخر ما هنالك من اصناف الناس الذين يمثلون جميع مظاهر العقل ، ومرافق الحياة ومختلف الطبقات ، أوسع التمثيل وأصدقه.

٤ - الفن الادبي

أداته في التأليف

لم يكن الشعر سبيل شكسبير وأداته الوحيدة في تأليف مسرحياته ، بل ضمن أكثرها بعض النثر ، وقصر الشعر على المواقف الخطيرة التي تقفها الخاصة المثقفة من اشخاص مسرحياته ، بينما جعل النثر في الغالب على ألسنة العامة الدهماء ، المحدودة الثقافة والتفكير .

وقد اختار من الاوزان ما اهتدى الى استعماله مارلو « Marlowe » من قبل ، أعني به خماسي التفاعيل من الشعر المرسل (٤) ، المؤلف من مقطعين : قصير ، وطويل . الا انه خرج عن ذلك في بعض مسرحياته ، ولا سيما التي ألفها في الطور الاول من حياته ، واستعمل في نهاية بعض المشاهد الرئيسية من مختلف مسرحياته ، بيتين فقط مقفيين من الوزن ذاته ، لكي يحلا بدل الستار في ايذان النظارة بانتهاء المشهد ، ذلك لان المسارح في ذلك العصر كانت خلواً من ستار خارجي ، كما تذكر .

ولم يتقيد شكسبير كثيراً بقواعد العروض وخصوصاً في مسرحياته الاخيرة

---

١ = في (يوليس قيصر) المشهد الثالث من الفصل الاول .
٢ = في (كما تشاء) المشهد الخامس من الفصل الثاني
٣ = في (العاصفة) المشهد الاول من الفصل الاول .
٤ = ويعرف بالانجليزية « Blank Verse » وهو من الوزن الخماسي « Iambic Pentametre » غير المقفى . وهذا يتضح من تقطيع البيت التالي وهو من نظم شكسبير : -

« One touch Of na ture makes the whole world kin »
« — ' — ' — ' — ' — »

خروج على علم العروض

الزاخرة بالمعاني العميقة ، ولهـــذا لا تصلح ان تتخذ نماذج في تدريس هذا العلم ؛ وكان شعره ، ولسوف يبقى على الدوام ، هدفا لسهام أشياع المذهب الكلاسيكي في انكلترا وخارجها ، ممن يراعون صحة التركيب ، ودقة التعبير ، وينظرون الى المباني نظرتهم الى المعاني ، سواء بسواء .

خمر لا شعر

هذا من حيث البناء والتركيب . اما اسلوبه في التعبير ، فغاية الغايات في الجمال والروعة الفنية ، ولا سيما في تلك القطع العالية النفس ، الآتية على هامش الحوادث ، فتكاد لا نلمس علاقة او صلة وثيقة بينها وبين سياق القصة .

ويستهويك منه بعض فلتات شعرية يفيض به خاطره ويبعثها الهامه ، وتتميز بالملاءمة والوحدة والانسجام بين موسيقى اللفظ وجرسه ، وجمال المعنى وعمقه ، حتى يخيل للقارىء ، وهو ينشد بعضاً من هذا الشعر ، كأنما هو يحتسي أجود انواع الخمر . وقد قال شوقي في وصفه . —

شعر من النسق العـالي يؤيده من جانب الله الهام وايحـاء
من كل بيت كبيت الدهر مسكنه حقيقة من خيال الشعر عذراء

حسن السبك

وانه ليمتاز في الطراز العالي من شعره بحسن السبك وجمال الرصف وعدم اللغو ، فتكاد لا تجد فيه لفظاً قلقاً ، او نابياً مستكرهاً . ولو حاولت جهدك ان تبدل لفظاً او تحذفه من مكانه في بعض الابيات الخالدة ، لألفيت الاسلوب يختل ، ويفسد جماله الفني فساداً بيناً . لهذا فانه من العسير جداً ، بل من المستحيل ، ان نلمس سحر المؤانسة والملاءمة بين اللفظة وبين اخواتها من الالفاظ المجاورة ، او ان نطرب للجرس الموسيقي العذب ، حين نقرأ هذا الشعر في لغة اخرى .

وقد لا اغالي اذا صرحت بانني لا أعرف بين شعراء العالم قديمهم وحديثهم ،

من يفوق شكسبير شمولاً ،وتبايناً ،وتقنناً، ودقة،وعمقاً ،وصدقاً في التعبير عما يجول في خاطر الانسان من افكار،او يعتلج في صدره من هموم واشجان . كما اكاد اجزم انه لم يقم احد غيره ، لا من قبل ولا من بعد ، من طرق مختلف الابواب والفنون الشعرية من غنائي وحماسي ووصفي وفلسفي، وتمكن من ان يبز فيها جميعها ، وفي غيرها ايضاً ، حتى الذين قصروا شعرهم على باب واحد من ابواب الشعر .

شمول وعمق

والمقام يقصر عن استعراض جميع الابواب التي ولجها شكسبير في شعره لكنني سأكتفي بايراد نماذج من تلك الانبجاسات والفلتات الشعرية الهائلة التي جاءت على هامش الحوادث ، فلم يكن ثمة من سبب متين يؤلف بينها وبين عناصر مسرحياته واجزائها المختلفة .

انبجاسات شعرية

هذه المواقف ، والحق يقال ، هي أجود ماعند شكسبير من شعر ؛ وهي التي ستخلد اسمه كأعظم شاعر في الوجود ، حتى فيما لو اقتصر انتاجه عليها ،ولم يجيء بغيرها من الادب السامي .

فلننظر في بعضها،لنتأكد من ذلك ،ولندرك ، ولو بعض الادراك ، ان ما نقوله عن هذا الشاعر الغريب ، النائي ،في جنسه ، وبلده ، وعصره ،والقريب من نفوسنا في فهمه الصحيح لجوهر طبيعتنا ، والمهيمن على ارواحنا بعصاه السحرية العجيبة ، لهو أقل بكثير مما قاله عنه ، ويقوله كل يوم بنو أمته، بل الاوروبيون قاطبة.

ففي « تاجر البندقية » (١) قد لا نجد ابرز من مقطوعته في الرحمة ، وقد جاءت على لسان بورشا « PORTIA » وهي متنكرة في مظهر محام ،تدافع عن انطونيو في القضية التي اقامها عليه شيلوك المرابي.

الرحمة

أما الجمال في هذه القطعة فهو في تصويرها الشائق اللطيف لجلال الدين ، وجمال

---

١ ــ المشهد الاول من الفصل الرابع من « تاجر البندقية » السطر ١٨٤ ــ ١٩٧

الرحمة ، مما يحبب البرالى النفوس ، ويبعث المحبة والرحمة والحنان في القلوب .
اسمع بورشا تقول : —

« ليس الاكراه من طبيعة الرحمة !
انها تنسكب كالرذاذ على المكان الوطيء .
وهي مضاعفة البركات ،
فهي تبارك الواهب ومن تصيبه الهبة ايضاً .
وهي قوية من يد القوي ،
وتزين السلطان أكثر من تاجه ،
فالصولجان يرمز لقوة الحكم الزمني
وما للملوك من هيبة وجـــلال
يثيران الخوف والفزع في النفوس .
لكن الرحمة فوق قوة الصولجان ،
فهي تقيم عرشها في أفئدة الملوك .
انها من صفات الله ذاته !
وتصبح سلطة الانسان في الارض كسلطة الخالق
حين تلطف الرحمة من حدة العدل وقسوته ! »

وانا لا أجد في كل ما خطته يراعة شكسبير مقطوعة لا تمت للقصة بصلة وثيقة أكثر من التي وصف بها نفسية الشاعر . وقد فاه بها ثيسيوس (١) « Theseus » وهو يخاطب زوجه هيبوليتا « Hippolyta » . ان هي الا ساعة يتيمة من ساعات الزمان ، نسي فيها الشاعر انه يؤلف مسرحية ويتلو قصة ، فانطلق في عالم الوحي والالهام ، وانبعثت مشاعره وأخيلته ، وفاضت نفسه بهذا

الشاعر

---

١ — المشهد الاول من الفصل الخامس من « حلم ليلة في منتصف الصيف » من السطر ٧ - ١٧

الوصف البليغ الموجز للشاعر ، كما فاضت في غير هـــذا بالمعاني الزاخرة البكر. ولا يبعد ان يكون شكسبير قد تخيل نفسه حين أرسل هذا السحر الحلال : ــ

«المجنون والعاشق والشاعر يعيشون في عالم واحد من الخيال.
فأحدهما يرى من الجن مالا تستطيع جهنم ان تحواه ،
ذاك هو المجنون ! اما العاشق المهووس
فيبصر جمال هيلين في حاجب فتاته السمراء.
لكن عين الشاعر تتقلب في ذهول عجيب ،
متنقلة من السماء الى الارض ، ومن الارض الى السماء ؛
وحين يجسم الخيال من عالم الغيب صوراً ،
يحولهـــا قلم الشاعر اشكالا
ويمنح الاوهام أمكنة وأسمـــاء ! »

ترتيل الكواكب

ثم في القطعة التالية (١) خليط من الشعر الفلسفي والخرافة الطريفة ، يثيره ويبعثه منظر شعري خلاب في نفس لورنزو (LORENZO) ، وقد جلس الى فتاته اليهودية جسيكا (JESSICA) يتبادل واياها أعذب السمر واحلاه ، ويتسمعان في خلال ذلك الى جوقة موسيقي ترسل أنغاماً ناعمة ، فتزيد في سحر الجو وفتنته وجلاله :

« ما أحلى البدر مضطجعاً على هذه الضفة !
هنا فلنجلس ، ولنأذن للموسيقى
أن تشنف آذاننا ، ان السكون الناعم والليل الساجي
ليزيدان في سحر هذه الانغام !
اجلسي يا جسيكا . تبصري في صفحة السماء ،
كيف ترصعها قطع من الذهب اللماع !

---

١ ــ المشهد الاول من الفصل الخامس من « تاجر البندقية » السطر ٥٤ ــ ٦٥

ليس في كل الكواكب التي تشاهدينها
من لا ينشد (١) في تحركه، كالملاك
المنتظم في جوقة الشاوروبيم (٢).
ان نغما كهذا لهو في النفوس الخالدة !
لكن القفص الترابي الفاني
ليحبسه عنا وينعه ، فلا نستطيع أن نسمعه ! »

وهذه قطعة (٣) تمثل نفس انسان غنية مشرقة، يجد في حياة المنفى من الدعة والسكون والامان مالا يجده في حياة المدينة المملوءة بالقلق والظلم والفساد ، مدينة المظاهر لا الحقائق ، والوجوه لا القلوب . ولهذا فانه يلقى في هذه الطبيعة الهادئة المنعزلة من الجمال والاطمئنان ما لم يعهده في حياته الاولى.

في المنفى

اسمع ما يخاطب به الدوق رفاقه في منفاهم ، في غابة آردن « ARDEN » : —

« الآن ، يا رفاقي واخواني في المنفى ،
ألا تجدون في حياتنا هذه سعادة
أكثر مما في الأبهة المزخرفة ؟
أليست الخراج هذه اكثر أماناً من القصر الحسود ؟
هنا لا نجيب عن خطيئة آدم ،
ولا نحس بتباين الفصول . وحين ينهشني
الجليد بنابه ، وتعضني ريح الشتاء ، وتعصف بجسمي ،
وأتقلص من البرد ، فانني سأبتسم وأقول :

---

١ — اشارة الى اعتقاد الناس حينئذ بان الكرة الارضية هي مركز الكون وان الاجرام السماوية تحيط بها في دوائر من الافلاك التي تبعث وهي تتحرك انغاماً تختلف لونا وقوة بحسب بعدها عن الارض

٢ — اسم لطائفة من الملائكة حسب العقيدة المسيحية

٣ — المشهد الاول من الفصل الثاني من (كما تشاء) السطر ٣ - ١٧

(ليس هذا بزلفى! انما هم حكماء يعرفونني حقيقة نفسي !)
عـذبة هي عظات الشدائد ،
التي تبدو بشعة سامة كرأس الضفدع
الذي انما يحمل في رأسه جوهرة كريمة (١) .
وهكذا حياتنا هذه ، وقد تحورت من الفزع ،
تجد ألسنة في الاشجار وكتباً في الجداول الجارية ،
وعظات في الاحجار ، وخيراً عميماً في كل شيء !.. »

انظر الى هذه المقطوعة (٢) التي وضعها شكسبير على لسان يوليسيس « ULYSSES » احد قواد اليونان في حملة طروادة ، وفيها يعلل تعليلاً فلسفياً للبطل المستقيل أخيلا « ACHILLES » ما أبداه نحوه أغاممنون « AGAMEMNON » القائد العام وغيره من الجنود ، من مظاهر الأهمال وعدم الاكتراث . ولعل في كلام هذا الحكيم أروع الدروس وأجمل العزاء لكل عظيم ، او ذي منصب خطير يعتزل العمل بعد مدة من الزمن ، وينظر الى الناس الذين كانوا بالامس يتمسحون بأذياله ، واذا بهم قد انفضوا من حوله ، وذهبوا يتملقون من يخلفه في الامر .

حكمة خالدة

وكم يحدث هذا ! وكم حدث على مرأى منا في الحياة ، فرثينا لهؤلاء الافراد الذين يلبسون العظمة الباساً ، ويخلعونها ، بل تخلع عنهم كالكساء ! وينظر اليهم الناس ، وقد تعرت اشكالهم من كساء العظمة الزائفة ، وتجردت من مظاهر السلطة الكاذبة ، وعادوا الى طبائعهم الاولى وعادت اليهم ، فينفر الناس منهم ، ويهجرونهم ، باحثين عن مناظر جديدة براقة !

هاك ما يقوله الحكيم يوليسيس : —

---

١ — اشارة الى الاعتقاد السائد في ذلك العصر بوجود جوهرة ثمينة في رؤوس بعض ذكور الضفادع .

٢ — من مسرحية (ترويلس وكرسيدا) المشهد الثالث من الفصل الثالث ـ السطر ١٤٤ ـ ١٨٧

«ان للزمان يا سيدي حقيبة على ظهره ، فيها يضع صدقة لحيوان النسيان الهائل الحجم، المتكون من ألوان جحود الفضل ونكرانه . ان جلائل الاعمال السالفة تبتلع حالما تصنع ، وتنسى حالما تؤدى . والمثابرة ياسيدي تحتفظ بالشرف زاهياً . وعمل البارحة لم يعد ذا قيمة ، بل أمسى كدرع صدىء معلق للذكرى الهازئة . ان الشرف يسير في درب ضيق ، لا يسلكها الانسان الا قائماً مندفعاً . فسر على هذه الدرب ، لان حب الظهور ذو الف ولد يطارد بعضهم بعضاً . واذا ما تخلفت ، او خرجت عن الجادة ، ألفيتهم كالتيار السريع قد اندفعوا من امامك ، مخلفينك في الوراء ، وأمسيت كالجواد المجلي ، يسقط في بدء الرهان ، ويظل منطرحاً حيث هو ، ليدوسه ويعبر من فوقه الفسكل في الخيل .

ان ما يفعله غيرك الان ليفوق ما قدمته بالامس ، ولو كان دونه بدرجات ؛ لان الزمان كالمضيف البارع الذي يشيع ضيفه المفارق بهزة يد خفيفة ، وبذراعين مبسوطتين يهرع لاستقبال القادم ! ان الترحاب دائم الابتسام ، اما الوداع فيسير في الارض متنهداً . فعسى الفضيلة لا تنشد مكافأة على ما كانته في الماضي ، لان الجمال ، والذكاء ، وشرف المنبت ، وصلابة العود ، وجدارة الخدمة ، والحب ، والصداقة ، والاحسان ، جميعها خاضعة للزمان الساخر الحسود . ان لمسة واحدة من الطبيعة تجعل العالم واحداً ، كله يجمع على امتداح كل ناشيء جديد ولو كان مجبولاً من أشياء غابرة ، ويقيم وزناً للغبار المذهب اكثر من الذهب المغبر . والعين في حاضرها تطري الشيء في حاضره . فلا تدهشن ايها الرجل العظيم الكامل ، ان رأيت اليونانيين جميعهم قد شرعوا يجلون (أجاكس) (١) ، اذ من طبيعة العين النظر الى الاشياء المتحركة ، أسرع من الساكنة . لقد طلبك الناس في الماضي ، وقد يطلبونك الان ، او بعد قليل ، اذا لم توار نفسك حياً ، وتحبس شهرتك في خيمتك .»

واليك الان قطعة (٢) من النثر الادبي الرائع في موضوع الانسان ، وقد

---

١ — (AJax) احد قواد اليونان وقد خلف اخيلا في القيادة

٢ — المشهد الثاني من الفصل الثاني من (مسرحية هاملت) السطر ٣٠٦ - ٣٢٣

جاءت على لسان هاملت الامير المثقف المحزون ، الذي يزعم البعض بانه يصطنع الجنون ، بينما يزعم البعض الآخر انه قد لا يخلو من لوثة او خبل .

اما انا فلا ابرؤه من ضعف عصبي ، ومن شذوذ يبدو في تصرفه بعض الاحيان ، نتج عن تلك الصدمة العنيفة التي هزت نفسه هزاً ، الا وهي مصرع الوالد ، وغدر الأم وخيانة العم . وقد قال فولتير : — « انك حين تصغي لهاملت تتوهم نفسك لربع ساعة في حضرة افلاطون ، أما بقية الوقت فكأنما في مستشفى المجاذيب ! » ولست اظن فولتير معتدلا في حكمه ، فلو انه عكس الآية وجعل اقصر الوقت لهاملت الشاذ ، واطوله للفيلسوف فيه ، لربما كان اقرب الى الحقيقة والصواب .

في هذا الكلام الذي صاغه شكسبير على لسان هاملت نثراً ، وهو في روحه وتصويره وتأثيره من أسمى الشعر ، نلمس خيطين دقيقين متداخلين ، الاول يبعث ضياء ، والآخر ظلاماً حالكاً . والحقيقة انني ما قرأت هذا النثر الشعري الا تصورت ليلة قمرا ، لاتخلو من بعض السحاب الذي ما ان يتوارى القمر خلفه حتى يعود فيطل بمحياه المشرق البهي . هذا القمر هو عنصر الاشراق والتفاؤل ، المنبعث من وراء سحب الاسى العميق والتشاؤم . لكن امتع ما فيه حقاً ، واجدره بالخلود الابدي هو وصف الانسان ، وصفاً يحرك النفس ، ويرفع من قيمة ابن آدم في عين نفسه ، أنى كان .

الانسان

يقول هاملت : —

« انني منذ عهد قريب — لسبب لست ادركه — زال عني المرح وذهب السرور وهجرت ما اعتدته من ضروب الرياضة واللهو ؛ وحقاً ضغط الوجود علي بعنف ، حتى ليخيل الي ان هذا الكون البديع ، هذه الارض لم تعد تبدو في عيني اكثر من رأس مقفر عقيم ؛ هذه الخيمة الفاخرة ، هذا الهواء ، انظر اليه ، هذا الجلد المعلق ، هذا السقف الرهيب المزين بالنار الذهبية ، انه لا يتراءى لعيني اكثر من مجموعة ابخرة قذرة موبوءة .

تبارك الانسان ، ما أجمل صنعه ، وما انبل عقله ، وما ابعد حدود فكره ،

وما أدق شكله وألطف حركته ، وكم كملاك هو في عمله، وكاله في ادراكه وفهمه ! انه جمال الدنيا ، ونموذج الاحياء !

اما أنا، فمالي ولهذه السلالة من الطين ؟ الانسان لا يهجني — كلا ، ولا المرأة ايضاً ، رغم انك بابتسامتك تتوهمين ذلك . »

اما ونحن في صدد الحديث عن هاملت ، فلألفت نظرك الى ذلك الحوار (١) الخالد الذي جرى بين هاملت وقلدنسترن (٢) ، احد صديقيه ، وقد بعثه الملك ليجتس له امر هاملت ، وليستشف ما بنفسه ،باسلوب لين حاذق . وانك لذاكر أن غدر الملك بوالد هاملت طمعاً في التاج ، قد سبب له ألماً وقلقاً ، بيد انه لم يلق في نفسه من الرعب والجزع ماألقاه هذا التحول المروع الذي لحمه منذ عهد قريب في سلوك ابن اخيه وفي شعوره وطبعه ؛ وهو حائر لا يدري كيف يعلل ذلك، لانه يعلم أن هاملت كان غائباً عن الديار يوم مصرع والده . ولهذا نراه لا يهدأ له بال ، ولا تستقر به الحياة حتى يستبين ما بنفس هاملت ، ويطمئن الى انه يجهل المؤامرة التي أودت بوالده . فيطرق أبواباً عديدة ، ويسلك مختلف السبل ، ليتوصل الى الحقيقة ،وانما بغير جدوى . ويعن له أخيراً ان يوسط قلدنسترن في الامر ،فيتظاهر هذا بالجرأة ليخفي غرضه ،ولكنه لا يفلح في تظاهره الكاذب ،لان هاملت يعلم ماوراء المظاهر الكاذبة . ويجري الحديث بينهما . ويعجبني فيه تشبيه هاملت النفس البشرية ، بآلة الموسيقى ، وتذكيره صديقه بأسلوب ساخر ، ان العزف على النفس أدق فناً وأعسر مطلباً من العزف على المزمار ، وليس بمقدور كل انسان ان ينطق هذه النفس فتبعث الانغام . انما الفنان الماهر وحده القادر على استنطاقها واستبانة سرها المكنون .

آلة النفس البشرية

---

١ — مسرحية (هاملت) المشهد الثاني من الفصل الثالث السطر ٣٦٥ = ٣٨٩

٢ — (Guildenstern)

قال هاملت مخاطباً صديقه : —

« — : هل لك ان تعزف على هذا المزمار ؟

قلدنسترن : لا أستطيع يا سيدي .

هـ : أرجوك . .

ق : ثق بانني لا أعرف ،

هـ : أتوسل اليك ان تفعل .

ق : لا اعرف كيف ألمسه !

هـ : انه هين كالكذب (١) ، حكم أناملك وأبهامك على هذه الثقوب، وانفخ فيها بفمك ، فتنطق بالموسيقى العذبة . انظر ، هـذه هي المواقف .

ق : ولكنني لست قادراً على ضبطها بحيث تخرج نغماً ؛ اذ لست بذي فن .

هـ : ماذا ، انظر الان كيف تستخف بي ! انك تريد أن تعزف علي ؛ وتقصد ان تعرف مواقفي ، وترغب في انتزاع لباب سري الدفين ، وتحب ان تنطقني من اعلى نغم في سلم نفسي الموسيقي حتى أدناه : ان ثمة موسيقى كثيرة ، وصوتاً جميلاً ، في هذه الآلة الصغيرة ، لكنك لا تستطيع ان تجعلها تتكلم . يا لله ! أتظن العزف علي أسهل من العزف على المزمار ؟ سمني ما شئت من الآلات ، فمع انك قادر على اهاجتي ، الا أنك لا تستطيع أن تعزف علي ! »

وما دمنا مأخوذين بسحر (هاملت) ، فلأشر الى المقطوعة الفلسفية (٢) الشهيرة

---

١ — هذه اشارة حاذقة رمى هاملت من ورائها الى تأنيب قلدنسترن ، وافهامه انه عارف قصده بهذه الزيارة ، ولهذا فان هاملت يستنكر فيه هذا التظاهر الخادع .

٢ — المشهد الاول من الفصل الثالث السطر ٥٦ - ٨٨

التي فاه بها هاملت وليس ثمة من يسمعه سوى معشوقته الفاتنة اوفيليا ، المتظاهرة بعدم الانتباه والاصغاء .

في هذه المقطوعة الشعرية نشاهدهاملت الفيلسوف المتأمل ،ذاهلا ،مرتبكاً ،حائراً بين الاقدام على الانتحار والاحجام عنه . وهي فكرة خطيرة ساورته من قبل ، ولا يستطيع ان يقرر الآن اي السبيلين عليه ان يسلك ، فيقول :

« ان أكون ، او أن لا أكون : تلك هي المشكلة : ترى أيها أنبل ، أن أحتمل قذائف الدهر الغادر وسهامه ، أم أن احمل السلاح ضد خضم من الآلام ، وبالمقاومة اضع لها حداً ؟ ان اموت : أن أنام ؛ ثم لا شيء ، وبالنوم نقول اننا قد انهينا أوجاع النفس وألوف الهزات العنيفة التي يتعرض لها الجسد . انها نهاية اشتهيها حقاً . أن أموت ، أن أنام ؛ ان انام ! وربما انني سأحلم : أجل ، تلك هي العقبة ، اذ ان الاحلام التي تتراءى لنا في نوم الموت ، حين نخلع عنا عناء الدنيا ، ستوقفنا حتما! ذلك هو الاعتبار الذي يجعل من حياتنا الطويلة فاجعة ومصيبة : اذ من ذا الذي يطيق الصبر على سياط الزمان وسخريته ، واساءة الظالم ، وازدراء المتكبر ، وألم الحب المهين المحتقر ، واعاقة تطبيق القانون ، وقحة المتسلط واذلال اللئيم ، فيسكت الكريم على ذلك ، بينما بمقدوره التخلص من هذا كله بطعنة خنجر ؟ ومن ذا الذي يقبل ان يرزح ، ويئن ، ويتصبب عرقاً تحت عبء الحياة المضنية ، لولا ما يثيره مابعد الموت من عالم مجهول ،لا يعود منه من يسافر اليه ،من القلق الذي يربك الارادة ، ويجعل الانسان يؤثر احتمال ما فيه من عذاب ، ومن أذى مألوف ،على ما ليس بالمألوف . وهكذا نرى كيف يصنع التأمل مناجبناء ،فيفقد العزم في نفوسنا لونه الأصيل ، ويؤثر فيه القلق الذهني العليل ، وتتعثر من جراء ذلك خطط ذات قيمة ووزن ، وتضيع في الطريق ،قبل ان تبلغ الهدف المنشود ! »

الحياة ام الموت

وفي هاملت (١) ايضاً وصية بولونيوس «POLONIUS» لابنه لآرتس «LAERTES»

---

١ - المشهد الثالث من الفصل الاول السطر ٥٩ - ٨٠

نصائح دنيوية

وهو موشك على السفر الى فرنسا لانجاز تحصيله . فيضع بولونيوس يده على رأس ابنه مباركاً وملقياً عليه هذه النصائح الدنيوية الغالية :-

« اطبع هذه القواعد القليلة في ذاكرتك : لا تفض للناس بافكارك ، ولا تخرج اية فكرة مبتسرة غير موزونة الى حيز العمل . كن أليفاً ، ولا تكن فظاً غليظاً . والاصدقاء الذين بلوتهم ، اشدهم الى روحك بعرى من فولاذ ، ولا تدنس راحتك برفقة كل ناشيء جديد . احذر الدخول في نزاع ، لكن حين تفعل ذلك ، اثبت حتى يشعر الخصم بقوتك ويحذرك . ألق الى كل انسان سمعك ، ولا تسمع الا القلائل صوتك . خذ رأي كل شخص ، انما احتفظ بحكمك لنفسك . ألبس من غالي الثياب بقدر ما يأذن به كيس دراهمك ، ولا تختر الزاهي والمزخرف ، لان اللباس كثير ما ينم عن صاحبه . لا تقرض ولا تستقرض ، لانه غالباً ما يفقد المرء بذلك الصديق والقرض معاً .

لكن فوق كل شيء : كن صادقاً مع نفسك ، فانك بذلك لن تستطيع ان تخدع الناس ، وهذا يتبع ذاك ، كما يتبع الليل النهار ! »

وفي مأساة « ماكبث » مقطوعتان صغيرتان لا بد من الاشارة اليهما ، الاولى (١) في وصف النوم ، والثانية (٢) في الحياة .

وهل تجد خيراً من ماكبث من يشعرك بضرورة النوم وفائدته للانسان ؟ فهو بعد ان لطخ يديه بدم ضيفه الملك دنكن « Duncan » وهو نائم في قصره ، لم يعد هو نفسه يعرف ان يذوق طعم النوم الا غراراً . بل انه في الواقع لا يعتقد انه بامكانه ان ينام بعدما جنت يداه من اثم شنيع ، فلا غرو ان رأيناه يشتهي النوم ، ويتغزل به في هـــذا التصوير الدقيق . ولست ادري ماذا زاد علم السيكولوجيا

النوم

---

١ — المشهد الثاني من الفصل الثاني السطر ٣٤ — ٤٠

٢ — المشهد الخامس من الفصل الخامس السطر ١٩ — ٢٨

الحديث على جوهر هذه الحقائق التي يوردها شكسبير عن قيمة النوم وأثره في جسم الانسان .

فقد لاقى ماكبث زوجه اثر تلك الجريمة المروعة ، وذكر لها قائلا :

« لقد سمعت هاتفاً يهتف بي « لا تنم !

فماكبث يغدر بالنوم ! » - النوم البريء ،

النوم الذي يحبك خيوط الهم المنقوضة ،

موت كل حياة يومية ، غاسل ألم الكد ،

بلسم العقول الموجوعة ، السبيل الثاني للطبيعة العظيمة ،

المغذي الاكبر في وليمة الحياة . »

الحياة

أما الثانية فقد أنشدها ماكبث حين بلغه موت زوجه ، وفيها ينظر الى الحياة بعين الفيلسوف المتشائم الساخر ، قائلا : -

«غداً ، وغداً ، وغداً ،

يزحف من هذا الفراغ الصغير من يوم الى يوم

حتى آخر مقطع في سجل الزمان ،

وجميع أيام أمسنا تشير الى السبيل

المفضي الى التراب . انطفئي ، انطفئي يا شمعة الحياة القصيرة !

انما الحياة شبح سائر ، بل ممثل جاهل

يقضي ساعته على المسرح في بختره وهياج ،

ثم يزول ! انهـــا حكاية

يسردها ابله ، مليئة بالصخب والضجيج

ولا تدل في جوهرها على شيء ! »

العالم مسرح

ويذكرنا تشبيه شكسبير الحياة بالمسرح، بما أورده على لسان جاك «Jacque» في ملهاة (كما تشاء) (١) من تصنيف عمر الانسان الى سبعة اجيال؛ فقال :—

« جميع العالم مسرح ، وكل الرجـــال والنساء فوقه ممثلون ، لهم مداخلهم ومخارجهم . وكل انسان في حياته يمثل ادواراً عديدة ؛ وفصوله تتألف من سبعة أجيـــال . أولاً ، الطفل الصارخ المتقيىء على ذراع حاضنته . ثم التلميذ الصغير بحافظة كتبه ومحياه الصبيح ، زاحفاً الى المدرسة كالبزاقـة ، بتردد وامتعاض . ثم العاشـــق الزافر كالموقـــد ، والمتشبب بحبيبتـــه . وكذلك الجندي الممتلىء بالأيمان الغريبة ، الملتحي كالفهد ، الغيران على شرفه ، الفجائي السريـع الخصام ، الناشد الشهرة المنتفخة ، ولو في افواه المدافع . وبعد هـــذا، القاضي ببطنه المستدير ،وجبته المخططة ، وعيونه الحادة ، ولحيته المصنعة ، الفائض لسانه بالحكم والامثال الحديثة ، وهكذا يمثل دوره . اما الجيل السادس فينتقل الى الشيـخ الاحمق الهزيل، (ببابوج) في رجـله ، ومنظار فوق انفه ، وكيس على جنبه ، وجورب اشبه بما للصبيان ، وساق منكمشة ، وصوت قد استحال ثانية الى زعيق الاطفال. اما آخر مشهد، يختم به هذا التاريخ العجيب ،الحافل بالاحداث ، فهو الطفولة الثانية والنسيان المطلق ،دونما اسنان ، او بصر ، او ذوق ، او اي شيء ! »

ولست اظن احـــدا طالع (يوليوس قيصر) لا يذكر عـــدا خطبتي انطوني وبروتس الشهيرتين ثلاث مقطوعات قصـــيرة . الاولى ، (٢) وقد قالها بروتس حين اقتنع بخطر قيصر ، وبضرورة كبح روحـــه الطامحة الجشعة ، حتى لو اقتضى ذلك قتله .وهو يعتقد ان قيصر قد يخفي ما بنفسه من سوء وشر الى اليوم الذي سيصبح فيه قويا ذا شأن

اطماع الانسان

---

١ — المشهد السابع من الفصل الثاني من السطر ١٣٩ — ١٦٦

٢ — المشهد الاول من الفصل الثاني من السطر ١٤ — ٢٧

خطير، لان يوم السلطة والقوة في حيـــاة اللئيم شبيه، كما يقول بروتس، « باليوم المشرق الذي يبعث الافاعي من اجحارها ! » ثم يستأنف مناجـــاته لنفسه قائلًا : —

« هل نتوجه ؟
اننا بهذا سنضع له حمة،
بها يلدغنا كلما شاء !»
ويقول : —

« . . . انه لمن البديهي
ان التواضع سلم الطموح الفتي،
التي اليها يلتفت المرء حين يرقاها،
لكنه حين يبلغ اعلى درجاتها
يدير ظهره لها
ويشخص ببصره الى السماء، مزدرياً الدرجات الاولى
التي بها ارتفع الى الذروة ! »

أما الثانية (١) فهي رد قيصر على زوجه حين أبت عليه مغادرة القصر بسبب الحلم الذي شاهدته في منامها فأفزعها وروعها . فلم يأبه قيصر لها، ورد عليها يقول : —

« يموت الجبناء مراراً قبل موتهم الاخير،
اما الشجعان فلا يذوقون طعم الموت الا مرة واحدة .
وبين كل العجائب التي سمعتها
لست اعجب لشيء اكثر من ان الناس يخافون !
فما دام الموت نهاية محتومة
فليأت حين يأتي ! »

« الجبان مقتول بالخوف ... »

---

١ — المشهد الثاني من الفصل الثاني من السطر ٣٢ - ٣٨

وفي المسرحية نفسها قول (١) لبروتس في اغتنام الفرص، ذهب مثلا سائراً. فهو يرى : -

اغتنام الفرص

« ان في شؤون الناس مداً وجزراً ،
فمن ركب المد اوصله النجاح ،
ومن اهمله ، امست رحلة حياته
ضمن مياه ضحلة ، وتعاسة ! »

وفي مقطوعة (٢) اخرى يشبه شكسبير المرأة ، « حين تضطرب ويهيج هائجها وتثور ، بالنبعة ذات الماء العذب النمير ، حين يعكر ذلك الماء ويتلوث ، فلا فلا يستطيع ان ينهل منه الصادي . فالزوج هو سيد المرأة ، وحياتها ، وعائلها ، ورأسها وملكها . وهو من اجلها يعرض جسمه للمتاعب الاليمة المضنية في البر والبحر ، ويصل الليالي العاصفة بالانهر الباردة ، بينا هي تقيم في عشها الدافيء هانئة وادعة ، ولا ينشد الزوج منها غير المحبة ، والنظرة الحلوة ، والخضوع الصادق . وانه لعمري جزاء يسير لهذا الدين الكبير . وواجب الزوج على المرأة كواجب الحاكم على الرعية. والمرأة حين تمسي شكسة ، عاصية ، نكوداً ، لا تختلف كثيراً عن مواطن ثار على حكومته ، او رجل خان امته . وانه لمن المزري المشين ان تبلغ السذاجة في نفس المرأة حداً تشاكس معه من لا بد من مسالمته ، وتطمع في التحكم بمن وجب عليها خدمته ومحبته وطاعته . ولم كان هذا الجسم الناعم الرقيق الذي لا يقوى على احتمال الاذى ، اذا لم يكن ما به من طبع هادئاً ، ناعماً ، رقيقاً ؟ »

المرأة

واحب الآن ان اروح عن نفسك بقطعة (٣) طريفة تحوي خطرات خفيفة الظل ، ممتعة ، وقد وردت في اول مسرحية ألفها شكسبير ، كما يظن المؤرخون ،

---

١ — المشهد الثالث من الفصل الرابع من السطر ٢١٨ — ٢٢١

٢ — (ترويض المرأة الشرود) المشهد الثاني من الفصل الخامس من السطر ١٤٢ — ١٦٨

٣ - (جهد الحب الضائع) المشهد الثالث من الفصل الرابع والسطر ٣٢٧ — ٣٥٤

أثر الحب

وفي حين لم يكن قد تجاوز فيه العقد الثالث من عمره . فمن المحقق اذن ان شكسبير الشاب المتدفق دماً وفتوة وحياة هو الذي يرى : -

« ان الحب تبعثه اولاً لواحظ الملاح ، لا ينحصر اثره في الذهن ، وانما يسري كالخاطر في كل عضو ، فينشط قوى النفس ، ويمنحها قدرة جديدة على اداء أعمالها ، ويضيف الى العين نوراً ثميناً ، فلا يستطيع النسر ان يداني العاشق في حدة بصره . ان اذن العاشق لتسمع أدق الاصوات . وانه لأرهف حساً وأنعم ملمساً من قرن البزاقة . ولسانه يفوق لسان باخوس (١) الانيق ، في ذائقته . وفي الشجاعة ، أليس العاشق هرقلا ما يزال يتسلق الاشجار في الهسبريدس (٢) ؟ انه ماهر حاذق كأبي الهول (٣) ، وعذب شجي كقيثارة ابولو (٤) . وحين ينطق ترنم جميع الآلهة ، وتملأ بصوتها السماء نشوة وسروراً . وعلى الشاعر ان لا يمس قلماً ، اذا لم يلطف مداده بزفرات الحب ، عندها فقط ستشنف ابياته آذان المتوحشين ، وتغرس في نفوس الطغاة الظالمين بذور الرحمة والانسانية . من نظرات النساء تتعلم هذه العقيدة : انها تضرم في القلب نار الحرية ؛ انها الكتب ، والفنون ، والمعاهد ، التي توجه العالم ، وتحويه ، وتغذيه . وبدونها لا يكون الوجود جميلاً ! »

اصغ الى شكسبير يشرح فعل الوراثة الخفي واثره القوي في النفوس ، كما

---

١ - (Bacchus) اله الخمر عند اليونان .

٢ - حديقة خرافية ما وراء البحر تحوي التفاحات الذهبية الثلاث ، وقد قتل هرقل البطل اليوناني الخرافي التنين الحارس لها ، وتمكن من اقتطافها

٣ - « Sphinx » تزعم الاسطورة اليونانية انه حيوان هائل الخلقة برأس امرأة وثدييها ، وجسم كلب وذنب أفعى وجناحي طير ومخالب اسد وصوت بشري . وهو حاذق في صنع الالغاز والقائها على الناس ليحلوها

٤ - اله الشمس والشعر والموسيقى عند اليونان

قديفعل اي عالم سيكولوجي كبير في عصرنا هذا. فقد قص في مسرحية (سمبلاين) (١)

معل الوراثة

كيف اختطف النبيل بيلاريوس « BELARIUS » طفلي الملك سمبلاين، اذ رماه بالخيانة، ونفاه من قصره عن غير حق. فعاش بيلاريوس في غابة، ولجأ مع هذين الطفلين الى كهف، وجعل مع الايام يحدب عليهما، ويعنى بتنشئتهما، عناية الوالد بأبنائه.

وفي هذه المقطوعة يخاطب بيلاريوس هذين الطفلين، وقد لمح في ساوكهما كثيراً من علائم النبل وامارات الملك، فيقول :—

« أنت ايتها الالهة، ايتها الطبيعة المقدسة ! كيف تتجلين في هـذين الطفلين الملكيين وتظهرين ! انهما وديعان، لطيفان، كالنسيم يهب تحت البنفسج فلا يحركه. وهما كذلك خشنان بدمهما الثائر، كالريح الصرصر تعصف بشجر الصنوبر فتحنيه من اعلى الربوة الى الوادي. انه لعجيب حقاً كيف تطبعهما الغريزة الكامنة بهذا الخلق الملكي دونما تعليم، والنبل والشرف دونما تدريب او توجيه، والكياسة والدماثة بغير مرشد او دليل، والشجاعة التي تنمو في نفسيهما، كالنبتة في الخلاء، بيد انها ستؤتي ثمرها كأنها من غرس يد بشرية ! » ..

الحزن بدل الابن

ثم استمع الى كونستانس «CONSTANCE» ترثي ابنها الصغير آرثر « ARTHUR » الذي غاب عنها كل هذا الزمن الطويل، فلا تدري احي هو ام ميت. وهي تشرح للملك فيليب سبب حزنها، حين لامها على ذلك، فتقول (٢): —

« ان الحزن ليشغل ما احدثه غياب ولدي من فراغ،
فيضطجع في فراشه، ويسير معي صاعداً هابطاً،
ويتخذ نظراته الحلوة، ويردد كلماته،

---

١ — (Cymbeline) المشهد الثاني من الفصل الرابع من السطر ١٦٩ — ١٨١

٢ (الملك جون) المشهد الرابع من الفصل الثالث من السطر ٩٣ — ٩٨

ويذكرني بلطيف شمائله ،
ويملأ بشكله أثوابه الفارغة ؛
ألست محقة ، بعد هذا ، ان شغفت بالحزن ؟ »

ولست أحب أن اختم هذا الفصل دون الاشارة الى تلك القصيدة الحماسية الشهيرة ، وفيها يشيد شكسبير بعظمة انكلترا ، ويفخر بمناعة موقعها الجغرافي ، وسعادة اهلها . ولا ريب انه كان يتأجج بالعاطفة القومية الصادقة ، ويشتعل روحاً وطنية ، حين جاء بهذا الوصف البارع (١) : -

جزيرة الصولجان

« هذا العرش الملكي المهيب ، هذه الجزيرة ذات الصولجان ،
هذه أرض الجلالة ، هذه أريكة المريخ (٢) ،
هذه جنة عدن الثانية ، هذه نصف الفردوس ؛
هذا المعقل الحصين ، وقد شادته الطبيعة لنفسها
ضد الفساد ، ويد الحرب ؛
هذا النسل السعيد من الناس ، هذه الدنيا الصغيرة ؛
هذا الحجر الكريم يرصع بحراً من لجين
يقوم لها مقام سور منيع ،
أو كخندق يحيط بقصر ،
لرد كيد الدول الحاسدة ؛
هذه البقعة المباركة ، هذه الارض ، هذه المملكة ، هذه انكلترا ! »

* * *

تلك هي الجزيرة البريطانية يا قارئي الكريم ! وذلكم عبقريها العظيم في فنه الادبي !

---

١ — (ريتشارد الثاني) ، المشهد الاول من الفصل الثاني ، السطر ٤٠ — ٥٠

٢ — اله الحرب عند الرومان

ولست أشك اننا بهذه النزهة القصيرة السريعة التي قمنا بها معاً في روضة شكسبير الغناء ، الرحيبة الارجاء ، قد استمتعنا بجو عبق طلق ، وأصغينا الى أعذب ما لقلب بشري ان يفيض به من الاناشيد والالحان ، وانتعشت أرواحنا انتعاشة من ينتقل من حجرة مظلمة خانقة الى الطبيعة النضرة البهية الواسعة ، الحاوية صنوف الاشجار ، وضروب الرياحين والازهار ، وجميع ألوان الطير الشادي .

حديقة الحياة

ويقيني أنك بعد ان أخذت هذه الباقة الادبية الصغيرة بيدك ، وشممت ورودها اليانعة ، وضممتها الى صدرك ، وابتهجت بها نفسك ، سيحفزك دافع خفي قوي لزيارة الحديقة التي اقتطفت منها . وهي حديقة لا نهاية لحدودها ؛ وليس يكفي عمر واحد ، او اثنان ، لاستقصاء كل ما بها ، لانها حديقة الحياة الزاخرة ، المتجددة مع الايام ، الخالدة الى آخر الزمان !

الفصل الرابع

دراسات متنوعة

ولست بأشك أننا بهذه النزهة القصيرة السريعة التي قمنا بها معاً في روض شكسبير الغناء ، الرخيّة الارجاء ، قد استنشقنا عبير عبق ظلق ، وأصغينا الى أعذب ما لقلب بشري ان يفيض به من الانشيد والالحان ، وانتعشت أرواحنا بحديقة الحياة

المتعالية من يتنقل بين حجرة مظلمة ضائقة الى الطبيعة البشرة الحية الرائعة ، الحارية صنوف الاشجار والازهار ، وجميع الوان الطير الشادي .

ويقيني أنك بعد ان أنعمت هذه الباقة الادبية النضيرة بيدك ، وشممت وريدها اليانعة ، وضممتها الى صدرك ، وابهجت بها نفسك ، سيخطر لك دافع خفي قوي لزيارة الحديقة التي اقتطفت منها . وهي حديقة لا نهاية لخلودها ، وليس يكفي عمر واحد ، او اثنان ، لاستقصاء كل ما فيها ، لانها حديقة الحياة الزاخرة ، المتجددة مع الايام ، الخالدة الى آخر الزمان !

هل ألف شكسبير مسرحياته ؟

قد يخطر لك بعد أن فرغت من مطالعة هذه الفصول المتعلقة بحياة الشاعر ، وما بعد حياته ، وتحليل عبقريته المتجلية بهذا التراث الادبي السامي ، أن تسأل عن حقيقة شكسبير ، هل هو شخصية تاريخية بالفعل ؟ وهل هذا الادب من انتاجه؟ لانه على الرغم من سعة شهرته وبعدصيته ، وذيوع اسمه في جميع أرجاء المعمورة، ما يزال في أذهان بعض الكتاب ومؤرخي الادب ،مبهم الشخصية ، ومجهول الهوية ؛ فلا غرابة ان شاهدنا الكثيرين منهم في انكلترا وخارج انكلترا ، ولا سيما في اميركا بلد كل غريب وجديد ، يرتابون في أمر تأليف شكسبير للمسرحيات المنسوبة اليه ،فيطالعوننا في كل يوم بمؤلف لها ،مؤيدين آراءهم بالبراهين المتكلفة والحجج المصطنعة .

ولقد بلغ من خطورة هذه المسألة ما جعل الادباء ينقسمون الى مدرستين : الاولى تناصر شكسبير وتعضد قضيته ، وتعرف « بمدرسة المستقيمي الرأي »(١)، والثانية « غير الستراتفوردية » (٢) ، وهذه تعاكسه وتناوئه، وتجرده من المواهب الفكرية ، وتتهمه بالبلادة والجهل ؛ وترى من العار اعزاء هذه المؤلفات الرائعة الى شخص كشكسبير ،قروي ،وضيع النسب ، حقير المنبت ،وعامي،لم يتح له ان يتلقى تعليما عالياً . بل انها لا تستطيع ان تتصور العبقرية تنشأ في الاكواخ وتنمو وتزهر في غمرة من البؤس والفقر والكدح في الحياة . في هذا يتفق أشياع هذه المدرسة ، بيد انهم ليختلفون كل الاختلاف في تعيين مؤلفها .

---

١ — « The Orthodox School »

٢ — « The Anti - Stratfordian School »

اما زعيم الادباء الذين تنسب اليهم هـذه المسرحيات ، فهو الفيلسوف والناثر والمحامي الانكليزي الشهير فرنسيس بيكن (١) . وأول من وضع أسس النظرية البيكونية (٢) ، فهو هربرت لورانس (٣) الذي ألف سنة ١٧٦٩ كتاباً سماه « مجازفات في الذوق السليم » (٤) . بيد أن ما ورد فيه من آراء في هذا الموضوع لم تثر اهتمام النقاد ومؤرخي الادب ، ولم تحرك لهم ساكناً طيلة نصف قرن أو اكثر ، حتى عادت مرة ثانية للظهور في كتاب عنوانه « سحر التنزه في اليخت » (٥) نشره سنة ١٨٤٨ الاديب جوزيف س . هارت (٦) ، فأثار بذلك الشكوك في علاقة شكسبير بهذه المسرحيات . ثم نشرت مجلة « تشمبرز جورنال » (٧) في ٧ أوغسطس ١٨٥٢ مقـالا موضوعه « من ألف مسرحيات شكسبير ؟ » (٨) . وألحقته المس ديليا بيكن (٩) بمقال في مجلة (Putnams' Monthly) في يناير سنة ١٨٥٦ ، عالجت فيه هذه المسألة ودعت بقوة وعنف الى عزوها الى فرنسيس بيكن ، بدلا من شكسبير . ولم تقف عند هذا الحد ، بل تجاوزته الى شرح نظريتها في كتاب نشرته سنة ١٨٥٧ تحت عنوان « كشف القناع عن فلسفة مسرحيات شكسبير » (١٠) ، مع مقدمة محايدة الروح ، للقصصي الاميريكي الشهير ناثنائيل هورثون (١١) .

---

١ – « Francis Bacon » ١٥٦١ — ١٦٢٦
٢ – « The Baconian Theory »
٣ – (Herbert Lawrence)
٤ – (Adventures in Common Sense)
٥ – (The Romance of Yachting)
٦ – قنصل الولايات المتحدة في سانتا كروز (Joseph C. Hart)
٧ – (Chamber's Journal)
٨ – (Who Wrote Shakespeare ?)
٩ – (Miss Delia Bacon)
١٠ – (The Philosophy of the Plays of ShaKespeare unfolded)
١١ – (Nathaniel Hawthorne)

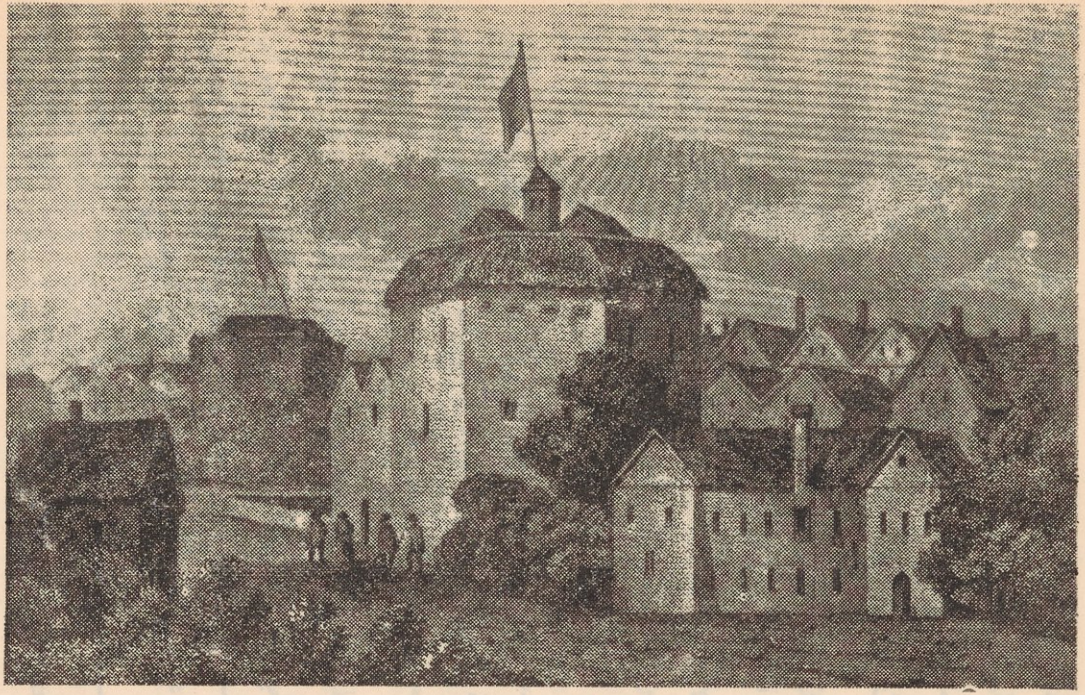

مسرح الكرة

(The Globe Theatre)

(انظر صفحتي ٢٢ و ٢٤)

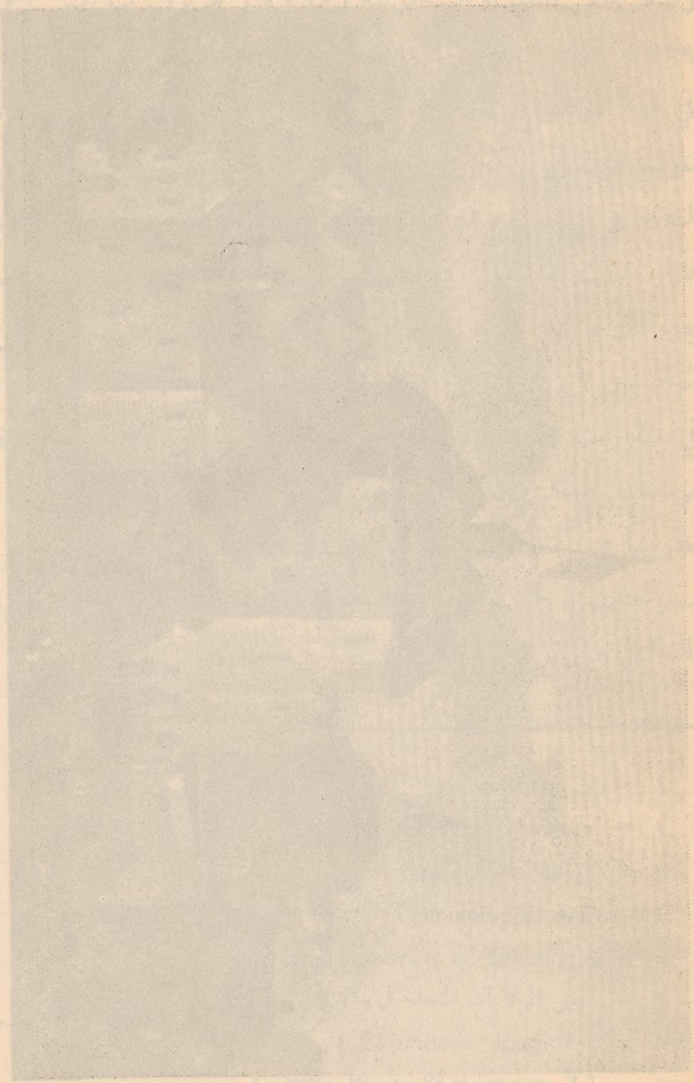

(The Globe Theatre) مسرح جلوب

فتكون المس ديليا بيكن بهذا أقوى مناضل عن النظرية البيكونية . بيد انها لم تعش طويلا بعد كتابها هذا ، بل توفيت عام ١٨٥٩ مصابة بالجنون .

وقد ظهرت بعد ذلك مئات المؤلفات في الموضوع ذاته ، لأدباء من انكلترا واميركا، كاللورد بنزانس (١) ، والسر ت. مارتن (٢)، والسر جورج قرينود (٣)، وغيرهم ، ممن عززوا موقف بيكن ، وحملوا على شكسبير وزعزعوا مكانته ، وكادوا يمحون اسمه من الوجود محواً .

ويبني انصار بيكن حججهم على نقاط كثيرة، ألخصها في ما يلي :

أولا : ان السر توبي ماثيوز (٤) بعث سنة ١٦٢١ برسالة الى فرنسيس بيكن يمتدحه فيها ، ويعتبره « انبغ من انجبت الامم ، ومن عاش على هذا الجانب من البحـــر في العصر الحاضر ، والذي، رغم ان له اسم سيادتكم ، الا انه يعرف باسم آخر . »

ثانياً : ان في هذه المسرحيات بعض فقرات ومفردات تدل على تبحر مؤلفها في الفلسفة وعلم القانون ، بشكل لا يمكن ان تعزى معه الى شكسبير، كما يظهر من ترجمة حياته المعروفة .

ثالثاً : في هذه المسرحيات مشاهد وابيات من الشعر تشهد بأن ناظم عقدها ارستقراطي النشأة والنزعة، كاحتقاره الرعاع وازدرائه طبقة العوام مثلا في مسرحيتي « يوليوس قيصر » و « كوريولانس » ، مما لا يمكن ان يصدر عن شكسبير القروي ، ذي النسب الوضيع .

---

١ — (LORD PENZANCE)

٢ — (SIR T . MARTIN)

٣ — (SIR GEORGE GREENWOOD)

٤ — (SIR TOBIE MATTHEWS)

رابعاً وأخيراً : ان ما في نسب شكسبير من ضعة ، وفي نشأته من حقارة، وفي علمه من نقص ، وفي خلقه من مغمز ، وما يحوط حياته كلها من غموض وابهام ،لايبعث على الاعتقاد بانه هو مؤلف هذه المسرحيات التي تشـــهد لصاحبها بعبقرية تفوق كل عبقرية ، ونبو غ لا يدانيه نبو غ . ولا يرون من هو جدير بها اكثر من بيكن الفيلسوف العظيم الذي شغل اذهان اهل زمانه ، وملأ اسماعهم وابصارهم بنتاجه الفكري الفذ .

ولا يقف انصار شكسبير ازاء هذه الحجج مكتوفي الايدي حائرين ، بل انهم يجيبون على كل منها ، ويفندونها ، واحدة ، واحدة . فيقولون في الرد على الحجة القائلة ، بأن السر توبي مائيوز لم يعن برسالته بيكن الفيلسوف ، وانما عنى صديقه الراهب اليسوعي توماس ساوثويل (١) الذي كان يعرف بلقب« بيكن». ويرون انهم لوسلموا ـ جدلا ـ بأن السر توبي قصدبيكن بالفعل ، فليس فى هذا دلالة قاطعة على ان بيكن هو مؤلف المسرحيات ، وليس شكسبير . ويعتقدون ان العاطفة الجامحة ، عاطفة الصداقة العمياء ،ذات التعميمات الـكاذبة والاحكام الجارفة، هي التي دفعته الى مثل هذا الاغراق في المدح والاطناب .

اما ما يتعلق بانتاجه الادبي ، فليس في كل ما تحدر الينا من شعر بيكن ما يدل على انه ذلك الشاعر المبدع الذي اليه يمكن اعزاء تلك الخرائد الفريدة ، ولاسيما ما تخلل منها المسرحيات الاخيرة . كما ليس ثمة أي تشابه بين ما اتسمت به هذه القصائد من اسلوب وتصوير وخيال ، وبين شعر بيكن المعروف لدينا .

اما المفردات والفقرات الواردة في مسرحيات شكسبير ،والدالة على تبصر في العلم ،وتبحر في الفلسفة والقانون ، والمام بأغلب الفنون ، فلم تك مقصورة على شكسبير او بيكن وحدهما . فقد كانت بحق ملك جميع المؤلفين في عصر اليزابث

---

١ - (FATHER THOMAS SOUTHWELL)

والملك جيمس الاول ايضاً . فالذي يجيز الارتياب في أمر شكسبير على هـذا الاساس الضعيف الواهي ، يجيز كذلك الشك بغيره من الكتاب والشعراء . وأنصار شكسبير ، مع ذلك ، لا يرون في هذه المسرحيات ما يدل على المام واسع بالعلوم والفنون أو تعمق في الفلسفة والقانون ، الماماً وتعمقاً يصح معهما أن ينسب تأليفها الى بيكن صاحب النظريات الفلسفية والنثر الادبي الرائع . بل انهم لا يستطيعون أن يروا وجهاً للتوفيق بين ادعاء خصوم شكسبير بان هذه المسرحيات تدل على معرفة عميقة وعلم واسع ، وبين ما آخذه عليه صديقه ومعاصره الشاعر بن جونسون من نقص في الثقافة والتعليم .

أما الادعاء بان مؤلف المسرحيات لا بد أن يكون ارستقراطي الدم والنشأة والنزعة ، كما يتبدى من موقفه من الرعاع في « يوليوس قيصر » و « كوريولانس » ، فليس بالحقيقة الراهنة التي يمكن أن يستند اليها في دعم هذه النظرية السخيفة .

فما مسرحيات شكسبير الا مملكة كبيرة ، واسعة الارجاء ، فيها الملوك والنبلاء والرعاع والدهماء ، وفيها الجنود وأهل الحرف والصناعات والآلهة والجن والاشباح . وكل منهم يفكر وينطق ويتصرف حسبما توحيه له طبيعته وظروفه وأخلاقه ، غير خاضع في ذلك لوجهة نظر الشاعر أو فلسفته الخاصة به . وبهذا امتاز شكسبير عن جميع الشعراء ، وبالخيال المجنح والفهم الصحيح لدخائل النفس البشرية ، على تباين مظاهرها وتلون اشكالها . وما الرعاع الا من هذا البشر الذي صوره بمثل هذه البراعة والدقة والاتقان .

ثم ان الاهداء ، وقصائد الرثاء ، والاطراء ، ومخاطبة القراء ، وقد نشرت كلها في المجموعة الاولى لمسرحيات شكسبير سنة ١٦٢٣ ، لا تترك مجالا للشك بان شكسبير هو مؤلفها الحقيقي ، وليس بيكن أو أي كاتب آخر . هذا بعض ما يجيء به أنصار شكسبير من الردود على خصومهم . ولم أعثر لهم على رد يدحضون به الزعم الخاطيء بان العبقرية لا تنشأ في الاكواخ ، ولا تنمو في غير المعاهد العالية . ولو

شاءوا أن يفعلوا ، لقالوا أنه زعم غير وارد، وباطل من أساسه . اذ من يستطع ادراك كنه العبقرية والوقوف على طبيعتها وجوهرها ، والاحاطة بدقائقها وأسرارها ؟ فما دام علم السيكولوجيا الحديث عاجز عن الكشف عن حقيقتها ، فما الذي يدفع أولئك الخصوم الى تقييدها بالزمان والمكان ، واخضاعها لقواعد وشروط ؟ بل من قال ان العبقرية حبس على القصور والمعاهد العلمية الراقية ؟ أو انها تأنف النمو في الاكواخ ، والعيش في أجواء الحياة الفسيحة ، والتعرض لنور الشمس الساطع البهي ، واستنشاق الهواء الطلق القوي ؟ يا ليت هذا القول كان صحيحاً ، اذن لشاهدنا القصور والجامعات تنفح العالم عاماً بعد عام ، أجيالا كثيرة من العباقرة الخالدين !

ويتجاوز أنصار شكسبير حد الدحض والتفنيد ، الى الاتيان بحجج ايجابية دامغة تؤيد رأيهم في هذا الموضوع . كقولهم مثلا ان حياة شكسبير ليست محوطة بالابهام كما يدعي خصومه . وان ما نعرفه من الحقائق عن حياته لاكثر جداً مما نعرفه عن غيره من كتاب الدراما المعاصرين له .

ويصرحون ايضاً ان في أيديهم وثائق وسجلات عديدة تبرهن على اتصال شكسبير بالمسرح وانشغاله بالتمثيل مدة ليست باليسيرة . وقد ورد في بعض هذه المسرحيات ما يدل على وقوفه على دقائق المسرح (١) وطول باعه في فن التمثيل . وليس في ترجمة بيكن ما يستدل منه على شغف بالتمثيل ، أو تعلق بالمسرح ، او انشغاله بامرهما ، في أي طور من اطوار حياته .

اما ادعاء خصوم شكسبير بأن ما في مسرحياته من مفردات قانونية ، يؤكد لبيكن - وهو من رجال القانون - الحق في تأليف المسرحيات ، لحجة ضعيفة

---

١ - كتلقين هاملت الممثلين اصول التمثيل في تلك المسرحية - المشهد الثاني من الفصل الثاني السطر ٤٤٠ - ٥٥٠

واهية يسهل دحضها . فقد كانت لندن في عصر اليزابث مكتظة برواد المسرح من طلاب حقوق وغيرهم . فكان شكسبير يجد فرصة لمجالستهم وتبادل الاحاديث معهم ، ولا بد ان اكثرها كان يدور حول القضاء . هذا عدا تجاربه واختباراته الخاصة في هذا الموضوع ، كابن تاجر ، وملاك ، ورجل دنيا ، طالما ساقته الظروف الى المحاكم لمتابعة قضاياه .

ومن البينات الواضحة التي يعتمدها انصار شكسبير في الرد على خصومه ، ورود اسمه في بعض النسخ الاولى من مسرحياته ، مفردة (QUARTO) ، وفي مقدمة مجموعة مسرحياته ، كما ذكرنا ، وكذلك في قصيدتي « فينس وادونيس » « ولوكريس » والصونيتات ، ومذكرات معاصريه ، وخصوصاً فرنسيس ميرز (١) في كتابه « بالادس تيميا » (٢) ؛ وروبرت قرين (٣) في تهكمه اللاذع على شكسبير لدى ظهوره في لندن ككاتب مسرحي ، وكذلك في قصيدة بن جونسون الرثائية ، والأهم من هذا في ذلك النقد الذي تناول به فن شكسبير الادبي في مقاله الذي ظهر في مجموعة مسرحياته سنة ١٦٤٠ ، تحت عنوان « الغاب ، او اكتشافات في الناس والمادة » (٤) ، وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في مكان آخر (٥) . وكل هذا يؤيد تأييداً مطلقاً ان وليم شكسبير هو الذي ألف تلك المسرحيات ، وليس شخص آخر غيره ، كما يدعي خصومه .

وقد ظهر مؤخراً مرشحون آخرون لمسرحيات شكسبير عدا فرنسيس بيكن ،

---

١ — (FRANCIS MERES)

٢ — (PALLADIS TAMIA)

٣ — (ROBERT GREENE)

٤ — (TIMBER, OR DISCOVERIES MADE UPON MEN AND MATTER)

٥ — راجع هذا تحت عنوان (شكسبير والشعراء والمعاصرون) ص ٢٥ من هذا الكتاب ، وايضاً صفحتي ٦٢ ، و ٨٧

منهم ايرل اوف رتلند الخامس (١) وايرل اوف داربي السادس (٢) ، والسر انطوني شايرلي (٣) ، وكذلك ادوارد دي فير ، ايرل اوف اكسفورد السابع عشر (٤) . فقد وضع ج . توماس لوني (٥) سنة ١٩٢٠ كتاباً سماه «اثبات شخصية شكسبير في ادوارد دي فير ايرل اوف اوكسفورد السابع عشر» (٦) . كما ظهر كتاب آخر من تأليف مونتاجو دوقلاس (٧) اسمه «ايرل اوف اوكسفورد كشكسبير» (٨) . وقد طالعته فلم ينقع غلتي بما جاء فيه من أراء عقيمة مختلقة، وهو يجمع باختصار كل ما يمكن ان يقال عن هذا الايرل ، او يبرهن على انه مؤلف مسرحيات شكسبير .

وقد يعن لك في هذا الصدد ، ان تتساءل ، جاداً او هازلاً ، عن حظ « شخينا زبير » من هذه المسرحيات . ولست بحاجة الى القول بانها خرافة طريفة ، اكبر عامل في خلقها وشيوعها على ألسنة العوام واشباه العوام هذا التشابه الظاهر بين اسمي شكسبير والشيخ زبير . مع هذا ، ان كنت من انصار هذا الشيخ واعوانه عن حق او باطل، او من هواة النظريات الخيالية ، فقد تستطيع ان تدعم نظريتك بذكر « السيدة السمراء » (٩) التي اشار اليها شكسبير في صونيتاته، ولك عندئذ ان

---

١ - (FIFTH EARL OF RUTLAND)

٢ - (SIXTH EARL OF DERBY)

٣ - SIR ANTHONY SHIRELY

٤ (EDUARD DE VERE, THE SEVENTEENTH EARL OF OXFORD)

٥ - J . THOMAS LOONEY

٦ - (SHAKESPEARE IDENTIFIED - EDUARD DE VERE, SEVENTEENTH EARL OF OXFORD)

٧ - MONTAGU DOUGLAS

٨ - (THE EARL OF OXFORD AS SHAKESPEARE)

٩ - « THE DARK LADY »

تسأل « وهل ينبت اقليم انكلترا غير الشقر من النساء ؟ » . ثم هنالك الخيل وكلف شكسبير بها ، كما يتجلى من رعايته لخيول رواد المسرح في اثناء مشاهدتهم التمثيل . وكذلك ما جاء في مسرحياته من امتداح لجزيرة العرب، وتغن بسمائها ، وطيرها الخرافي الفونيكس (١) « PHOENIX » ، وزهرها وشجرها .

كل هذه بعض الشواهد التي تستطيع ان تذكرها في تعزيز النظرية الشيخزبيرية ان أحببت ان تكون من انصارها ، وخطر لك ان تثير بذلك ضحك الناس وسخريتهم .

ولقد غرب عن البال ان اذكر لك ان من المؤرخين من يعزو الى شكسبير نحو اربعين مسرحية اخرى، ومنهم من يرى ان شكسبير لم يؤلف كل مسرحياته وحده ، وانما شاركه في ذلك كتاب آخرون كبيمونت ، وفلتشر ، ومارلو ، وماسنجر ، ولا سيما في « تيطس اندرونيكس » وثلاثة اجزاء «هنري السادس»، و « تيمون اثينا » و « بيركليس » و « هنري الثامن » .

واعود الآن الى خصوم شكسبير وانصاره ، فأؤكد انك بعد دراسة حجج الفريقين ، وتمحيصها بكل دقة وعناية ، سوف ترجح كفة المدرسة الستراتفوردية وتميل معي الى الاخذ بآراء اتباعها .

ذاك ، وليس يضير هذه المسرحيات ويقلل من قيمتها ، او يهمنا كثيراً من كان مؤلفها ، ما دامت هي بين أيدينا ، نرتع في نعيمها الخالد . فلنذر المتخاصمين في خصامهم ، والمتنازعين في تقولاتهم وآرائهم المتضاربة، ولنظل — أنت وأنا —

---

١ طير خرافي ذو ريش ذهبي وأحمر ، يذكره الشعراء عادة كرمز للخلود ، لانه — كما تذكر احدى الاساطير — بعد ان عاش خمسة او ستة قرون في الصحراء العربية حرق نفسه ، ثم بعث من خلال الرماد ليعيش مرة ثانية دورة جديدة من العمر

نهب من هذا الينبوع الروحاني السامي بقدر ما يتيسر لنا .

وقد قال شكسبير : « ما قيمة الاسم ؟ ان ما نسميه وردة ، سيظل بأسم آخر يفوح بالأرج الزكي !» (١)

---

١ - « What's in a name? That which we call a rose,
By any other name would smell as sweet. »
في مسرحية (روميو وجولييت) المشهد الثاني من الفصل الثاني : السطر ٤٣ - ٤٤

شكسبير والأدب العربي

يقف من يتعمق في دراسة الادبين العربي والانجليزي على ظاهرة غريبة ، حرية باهتمام من يعنون بدراسة الآداب الغربية ، أعني بها التماثل الظاهر بين مايردفي كلا الادبين من قصص وحكم وآراء فلسفية ؛ وهو تماثل يبعث على الاعتقاد بأن احد الادبين لابد ان اقتبس من الآخر ، او تأثر به الى حد بعيد .

ففي مسرحيات شكسبير مثلاً من هذه القصص والحكم والامثال ما يشعر القارىء بأن مؤلفها كان ملماً بعض الشيء بالادب العربي ، ولاسيما القديم منه . ولا نقول العكس ، لان هذه القصص المتشابهة جاءت في الآداب العربية قبل الانجليزية بعهد طويل .

ولست اقصد الزعم ان شكسبير نقل حكمه وآراءه الفلسفية عن الادب العربي . اذ ان الشاعر في كل آن ومكان ، وفي أي حال او ظرف من حالات الحياة وظروفها ، لا يخرج عن كونه انساناً يحس بما يحس به غيره من الشعراء عند الامم الاخرى ، وان اختلفوا لغة وعرقاً . فالحياة والطبيعة البشرية اللتان هما مصدرا الادب ، ثابتتان في اصلهما ، ولهذا كان الادب الذي يصور لنا جوهر الحياة ، وطبيعة الانسان ، ثابت لا يتغير بتغير البيئات والازمان . فنحن حين نطالع شعراً او حكمة في الشعر العربي القديم ، قد نعثر في شكسبير مثلاً على تعبير قريب منه كل القرب . وكم من حكمة استوقفتني وانا ماض في مطالعة شكسبير ، فتذكرت شيئاً شبيهاً بها في أدبنا . يقول كاشيوس لبروتس في معرض العتاب : -

Cassius to Brutus

« A FRIENDLY EYE COULD NEVER SEE SUCH FAULT. » (١)

اوليس هذا تماماً كقول الشاعر العربي(٢) :- « وعين الرضى عن كل عيب كليلة! »

ويقول شكسبير على لسان قيصر : -

« COWARDS DIE MANY TIMES BEFORE THEIR DEATHS.
THE VALIANT NEVER TASTE OF DEATH BUT ONCE. »

واسمع ما يقوله الخوارزمي : -

« الجبان مقتول بالخوف قبل ان يقتل بالسيف ، والشجاع حي وان خانه الدهر ، وحاضر وان غيبه القبر . »

ويضع شكسبير على لسان دوقة غلوستر «DUCHESS OF GLOUCESTER» في مسرحية « ريتشاد الثاني » (٣) هذا الكلام : -

« THAT WHICH IN MEAN MEN WE INTITLE PATIENCE
IS PALE COLD COWARDICE IN NOBLE BREASTS . »

أولا يذكرك هذا بقول شاعرنا ابي الطيب : -

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجيء اليها اللئام

وقد أمضي الى النهاية في سرد الابيات التي عثرت عليها في خلال دراستي لمسرحيات شكسبير ، وذكرتني بأبيات اخرى في ادبنا تماثلها في الفكرة والتصوير والأداء . ومن هذا نستنتج ان شكسبير والمتنبي ، وكذلك بيرون ودانتي والمعري ودي موسيه وشلي والبحتري وبوشكين ودانتي وغيرهم من عمالقة الادب وامراء الشعر العالمي ، جميعهم كرعوا من ينبوع النفس البشرية ، واستقوا من معين الحياة ، فاختلجت في صدورهم احاسيس واخيلة وخواطر متماثلة في المعنى ، بعض التماثل ان لم يكن كله ، وان اختلفت بما اسبغوه على تلك المعاني من اثواب

---

١ - المشهد الثالث من الفصل الرابع من (يوليوس قيصر) السطر ٩٠

٢ - المشهد الثاني من الفصل الثاني من مسرحية (يوليوس قيصر) السطر ٣٢ - ٣٣

٣ - المشهد الثاني من الفصل الاول ، السطر ٣٣ - ٣٤

قشيبة منمقة .

ولست اظنني مغالياً ان اعتبرت اول مقاييس العبقرية الصحيحة في كل بلد ، وفي كل ميدان من ميادين المعرفة والفن ، الترفع عن القشور الزائفة والتجرد من الهنات الحقيرة التافهة ، والانضواتحت لواء مملكة الانسان ، وهي اوسع حدوداً وارفع مكانة واخطر شأناً من جميع الممالك التي تتراءى لنا على المخططات الجغرافية ، متباينة الالوان .

وقد لا يصدق ما ذهبنا اليه من تعليل لهذا التشابه الذي نلاحظه بين الحكم والامثال ، على القصص والاساطير الواردة في آداب العالم . فالحكمة والمثل هما نتيجة تفاعل الانسان مع بيئته ، وثمرة احتكاكه بالظروف والاحداث التي يلاقيها في حياته اليومية ، فتمتلىء بها نفسه ، وتختمر في ذهنه ، وتفيض على لسانه درراً خالدة . اما القصص فتنتقل من فرد الى فرد ، وترحل مع الانسان من قطر الى قطر ، وتتحدر من عصر الى آخر ؛ ولا حراجة على الاديب من تضمين نتاجه قصة عامية ، مهما كان مصدر هذه القصة ، شريطة ان يعرف كيف يلونها بمزاجه وشعوره ، ويعرضها في صورة فنية جديدة .

وانني لأذكر انني استمعت وانا طالب ثانوي الى محاضرة ممتعة القاها في القدس الاديب الكبير البروفسور بيزا « PROF. BEZA » قنصل رومانيا السابق في فلسطين ، وكان موضوعها « شكسبير والقصص الشعبية الشرقية » (١) ، وقد سرد فيها طائفة من القصص التي جعلها شكسبير محوراً لبعض مسرحياته ، ذاكراً في الحين ذاته ما يماثلها من الحكايات الشائعة على ألسنة العوام في الشرق . واستنتج اخيراً ان هذه الحكايات لابد ان تكون قد تسربت الى الغرب عن سبل شتى ، كالفتوحات العربية ، او الرحلات الفردية ، او الصليبيين العائدين الى وروبا ، ناقلين معهم الشيء الكثير منها ،

---

١ — « SHAKESPEARE AND THE ORIENTAL FOLKLORE »

فانتشرت في جميع البلدان الاوروبية، وبلغت انكلترا ، مدونة او مروية، فاستطاع شكسبير ان يضمن مسرحياته بعضاً منها .

ولقد ذكرت قول البروفسور بيزا هذا، حين درست مسرحية «ماكبث»، وعثرت فيها على قصتين وجدت ما يماثلهما في أدبنا . ولست اخال احداً طالع «ماكبث» ولا يتذكر قصة زرقاء اليمامة والشجر المتحرك . فقد ضمن شكسبير مسرحيته فكرة الغابة المتحركة ، كما وردت في حكاية زرقاء اليمامة مع أبناء قبيلتها .

وانك لتذكر ان ماكبث بعث جندياً ليستطلع له امر العدو ، فاعتلى هذا ربوة عالية تشرف على جيش ماكدوف (١) ابن دنكن الملك القتيل ؛ وبدلا من أن يشاهد جيشاً لجباً يملأ ساحة القتال ، رأى غابة كثيفة تسير نحوه رويداً رويداً، فعاد الرسول ينبيء مولاه بما شاهد ، فتذكر ماكبث نبوءة الساحرات الثلاث اللاتي ظهرن له مؤخراً وتنبأن له بأنه سيهزم حين يشاهد غابة برنام (٢) تدنو من تلة « دنسنان » (٣). وما كانت غابة برنام التي شاهدها جندي الطليعة تزحف، الا جيش مكدوف متستراً بأشجار اقتطعها ، فحمل كل جندي شجرة يسير تحتها متنكراً ، لمفاجأة جيش ماكبث ، والايقاع به على حين غرة . وهكذا أسفرت المعركة عن انهزام ماكبث ولقاء حتفه على يد الابن الثائر لدم والده ؛ فتحققت بذلك نبوءة السواحر .

وصاحب الاغاني (٤) يذكر كيف كانت الزرقاء ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلا ، وكيف ان قوماً من العرب غزوا اليمامة ، فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا « كيف لكم الوصول ، مع الزرقاء ! » فاجمعوا على اقتلاع شجر

---

١ – Macduff

٢ – Birnam wood

٣ – Dunsinane Hill

٤ – الاغاني ج٢: ص ١٣٢

تستر كل شجرة منها فارساً اذا حملها ففعلوا ذلك وساروا بها ، فأشرفت كعادتها، فسألها قومها ما ترى ، فأجابت « أرى شجراً يسير . » فقالوا « كذبت أو كذبتك عينك » واستهانوا بقولها ، فلما أصبحوا ، صبحهم القوم فاكتسحوا أموالهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقيل أخذوا الزرقاء ، وقلعوا عينها .

ولا حاجة الى الاشارة الى وجه الشبه الكبير بين هاتين القصتين ، مما لا يترك مجالا للشك بان شكسبير قد تأثر بالقصة العربية ، اذ من غير المعقول ان يحدث توارد الخواطر في قصة مطولة ومحبوكة العناصر كهذه .

أما القصة الثانية ، ويشير اليها نيكلسن (١) المستشرق الانجليزي الشهير في كتابه « تاريخ العرب الادبي » (١) في سياق البحث عن الحياة العامة في القسم الجنوبي من جزيرة العرب .

ولقد وردت هذه القصة في قصيدة « أسعد كامل أو ابو كرب » التي أطلق عليها نيكلسن اسم « قصيدة الساحرات الثلاث » (٢) ذلك لما بينها وبين خرافة الساحرات الثلاث اللواتي يمثلن ذلك الدور الرئيسي في مسرحية « ماكبث » من تشاكل وتشابه عظيمين . والقصيدة ، كما سترى ، موضوعة في قالب أقرب الى العامية منه الى الفصحى . وقد نقلها فون كريمر « Von Kremer » المستشرق الالماني الى الالمانية ، ونشرها في كتابه « Altarobische Gedichte » ، ونقلها كذلك نيكلسن الى الانجليزية في كتابه المذكور (٣) .

وفي هذه القصيدة يخاطب أسعد ابنه (حسناً) ، ويوصيه بأن يكون بطلا، ويسرد له في سياق الحديث قصة الساحرات الثلاث ، كيف صادفنه غلاماً ، فمزجت

---

١ _ Literary History of The Arabs, By Nicholson

٢ _ The Ballad of the Three Witcthes

٣ _ Literary Hist, of The Arabs P, 19

له الكبرى أولا دواء ، وناولته ، فشرب ، وقدمت له الوسطى ضبعاً برياً امتطاه وذلله . ثم جاءت الصغرى تمرضه ، فتجنبها . ولما أيقن فيه هذه الجرأة النادرة ، والمقدرة على مقارعة الخطوب ، تنبأن له بعهد سعيد ، ومستقبل باهر يتسنم فيه ذرى المجد . وهكذا تتحقق النبوءة ، فيصبح اسعد ، على ما جاء في القصيدة ، قائد جيش كبير ، ثم ملكاً تهابه الاعداء .

وانت تذكر ان ماكبث كان في اول عهده قائداً مغواراً في عسكر الملك دنكن « Duncan » ، ولما عاد هو وبانكو « Banquo » مظفرين من ساحة القتال ، اعترضتهما في الطريق ثلاث ساحرات في اشكال نساء ملتحيات ، كان دأبهن القيام بأعمال سحرية خارقة ، ولهن مقدرة على قراءة المستقبل ، ومعرفة الغيب ، فتنبأن ان سيكون ماكبث أولا من الشرفاء ، وان يعتلي العرش بعد ذلك . وبعد مرور فترة وجيزة يتحقق الشطر الاول من هذه النبوءة ، فيختار الملك قائده ماكبث ليكون شريفاً « Thane » ، ثم تسول نفس ماكبث له التطلع الى العرش ، فيدعو الملك « دنكن » الى وليمة في قصره ، ويقضي عليه وهو يغط في نوم عميق ، ثم ينصب نفسه ملكاً على الشعب .

ومن يدرس ما جاء على لسان هؤلاء السواحر في مسرحية « ماكبث » من اقوال غامضة مضطربة ، ويقابل ذلك بحديث الساحرات الثلاث في القصيدة العربية يلقى تشابهاً يدعو حقاً للغرابة . فساحرات « ماكبث » من شأنهن جمع الادوية ومزجها وطبخها ، واستعمالها في جميع شؤونهن السحرية (١) . وهذا يشبه ما جاء عن ساحرة ، « اسعد » الكبرى التي ذكرت القصيدة انها : —

جاءت اليه الكبرى بأسقية شتى وفي بعضها دم كدر

ثم ان الضبع الذي قدمته الساحرة او الجنية الوسطى « لأسعد » هو من مطايا

---

١ — راجع هذا في الكلام الوارد على ألسنة هؤلاء السواحر في المشهد الاول من الفصل الرابع من هذه المسرحية

ساحرات « أسعد » . وفي مسرحية « ماكبث » تشير الساحرة الاولى (١) الى امرأة بحار صادفتها في طريقها ، وذكرت ان زوجها صاحب « النمر » قد سافر الى حلب . ولو سلمنا مع شراح شكسبير ان « النمر » هو اسم مركب ، فما علاقة مدينة حلب العربية ، والبعيدة عن شاطيء البحر ، بهذا المركب الذي ذكرته الساحرة ، لو لم يكن بين هاتين الخرافتين من علاقة وسبب ؟

أما وقد بسطنا بعض وجوه الشبه بين الخرافتين ، فمن المستحسن الاتيان بقصيدة اسعد كامل كلها ، ليتسنى لك مقابلتها مع الخرافة الشكسبيرية بدقة وتفصيل .

ولست أجزم ، وانما اظن بما يشبه اليقين ، ان هذه الخرافة وغيرها من الحكايات التي نجد لها ما يماثلها في مسرحيات شكسبير ، قد تسربت الى الغرب ، ووصلت انكلترا مشوهة ، فتناقلتها الالسن ، ودون معظمها الكتاب والمؤرخون « كرفائيل هولنشد » (٢) صاحب كتاب « التواريخ » (٣) المشهور ، الذي يعتقد ان أيدي كثيرة اشتركت في تأليفه . ومن هذا الكتاب ، ومن غيره من كتب التاريخ ، اقتبس شكسبير معظم الحقائق التي نسج حولها مسرحياته التاريخية وبعض مآسيه « كالملك لير » و « ماكبث » وغيرهما .

وهذا بحث طريف ، وجدير بقلم اخصائي في الادب الشعبي ، وذي اطلاع واسع على أدب شكسبير والمصادر التي استقى منها ، كالبروفسور بيزا الذي ألمعت اليه في أول الكلام .

واليك الان قصيدة « أسعد كامل » : -

---

١ - السطر السابع من المشهد الثالث من الفصل الاول

٢ - Raphael Holinshed « توفي عام ١٥٨٠ »

٣ - The Chronicles of England, Ireland & Scotland « ظهر سنة ١٥٧٧ »

الدهر يأتيك بالعجائب و الايام والدهر فيه معتبر
بينا ترى الشمل فيه مجتمعاً فرقه في صروفه القدر
لا ينفع المرء فيه حيلته فيما سيلقاه لا ولا الحذر
اتى زعيم بقصة (عجب) عندي لمن « يسترد هذا » الخبر
يأتي بتصديقها الليالي و الايام ان المقدور ينتظر
يكون في «الأسد» (١) مرة رجل « ثم » له في ملوكه الخطر
مولده في قرى ظواهر همدان بتلك التي اسمها « خمر »
يقهر أصحابه على حدث السن « ويحقرهم » فيحتقر
حتى اذا أمكنته صولته وليس يدري ما شأنه البشر
أصبح في هيوم (٢) على وجل وأهله غافلون ما شعروا
رأوا غلاماً بالامس عندهم أزرى لديهم بجهله الصغر
أن يفقدوه لا در درهم لو علموا العلم فيه لافتخروا
حتى اذا أدركته روعته بين ثلاث وثلاثة صخروا
جاءت اليه الكبرى بأسقية شتى وفي بعضها دم كدر
فقال هاتي الي أشربها قالت له ذر فقال لا أذر
فناولته فما تورع عن حصاه حتى اماده السكر
فنهنهته الوسطى فنازلها كأنه الليث هاجه « الزعر » (٣)
قالت له هذي مراكبنا فاركب فشر المراكب الحمر

---

١ - الاسر
٢ - أهنوم
٣ - الذعر

فقال حقاً صدقت ثم سما ... فوق ضبيع قد زانه القمر
فدق منه جنباً فغادره ... فيه جراح منها به اثر
ثم أتته الصغرى تمرضه ... فوق الحشايا ودمعه درر
فمال عنها بمضجع ضجر ... لا يتساوى الوطاء(والزعر) (١)
كان اذ ذاك بعد صرعته ... من شدة الجهل تحته « الابر »
فقلن لما رأين جرأته ... اسعد انت الذي لك الظفر
في كل ما توجهه بوجهها ... وانت يشقى بحربك البشر
وانت للسيف والسنان وفي ... الابدان تبدو كأنها الشمر
« وان » انت المهريق « كل » دم ... اذا ترامى « بشخصك » السفر
فارشد ولا تستكن في « خمر » ... ورد ظافراً فانها الظفر
فلست تلتذ عيشة ابداً ... وللأعادي عين ولا اثر
نحن من الجن يا ابا كرب ... يا تبع الخير هاجناً « الدغر »
فما بلوناه فيك من تلف ... عن عمد عين وانت مصطبر
ثم اتى اهله فأخبرهم ... بكل ما قد راى فما اعتبروا
فسار عنهم من بعد تاسعة ... الى ظفار وشانه « الفكر »
فحل فيها والدهر يرفعه ... في عظم الشأن وهو يشتمر
حتى اتته من المدينة تشكو الظلم شمطاء قومها غدروا
« ادت » اليه منهم ظلامتها ... ترجو به ثأرها وتنتصر
فأعمل الراي في الذي طلبت ... « فكان » كل بذاك يأتمر

---

١ - الوعر

فعبأ الجيش ثم سار به ... مثل الدبا في البلاد ينتشر
قد ملأ الخافقين عسكره ... كأنه الليل حين يعتكر
تعم اعداءه « كتائبه » ... وليس يبقي فيهم ولا يذر
حتى مضى منه « لثانية » ... وفاز بالنصر ثم ينتصر
انا وجدنا هذا يكون معاً ... في علمنا والمليك مقتدر
فالحمد لله والبقاء له ... كل الى ذي الجلال مفتقر

مع شكسبير

في مسرحية

« هنري الخامس »

كلمة تعريف

لا حاجة الى التذكير بان مؤلف هذه المسرحية هو شاعر الكون الذي حرك بفنه الشعري كل وتر من اوتار القلب البشري ، والذي نشأ من منبت وضيع ، ونال من علوم المدرسة النزر اليسير ، فكان بذلك فخر الاكواخ ، وعز المنابت الوضيعة ، والمثل المحتذى للنبوغ الكامن الذي يشق طريقه نحو النور ، رغم الفقر والظلم والبؤس في الحياة .

يعزو مؤرخو الادب الانجليزي الى شكسبير نحواً من سبع وثلاثين مسرحية ، تقع تحت ثلاثة مواضيع رئيسية : المآسي « Tragedies » ، ومن اشهرها « ماكبث » و « الملك لير » و « هاملت » و « عطيل » و « روميو وجولييت » و « يوليوس قيصر » و « كوريولانس » وغيرها . ثم الملاهي « Comedies » ، « كقصة الشتاء » و « كوميديا الاخطاء » و « العاصفة » و « كما تشاء » و « سمبلاين » ، واخيراً المسرحيات التاريخية « Historical plays » ، وفيها تناول شطراً كبيراً من تاريخ بريطانيا ، وكذلك من تاريخ روما القديم ، فكان في بعضها خاضعاً للحقائق التاريخية ، وفي اغلبها تجاوز التاريخ ، وانساق مع العاطفة والخيال ، مغلباً في ذلك الحس الادبي والفن الدرامي على الحقيقة العلمية المجردة .

هنري الخامس والتاريخ

تدور حوادث هذه المسرحية حول معركة اجنكورت « AGINCOURT » الشهيرة

التي فيها انتصر الانجليز على الفرنسيين . وهي واحدة من سلسلة معارك كثيرة حدثت بين هاتين الامتين في حروب المئة سنة .

اما سبب هذه الحروب ، كما يروي التاريخ ، فهو ادعاء ادوارد الثالث ملك انجلترا انه الوريث الشرعي لعرش فرنسا بحكم ان والدته ايزابلا كانت شقيقة آخر ملك من السلالة التي حكمت فرنسا في القديم . بيد ان فيليب السادس ملك فرنسا لم يرضخ لهذا الادعاء الخيالي ، فكان ذلك مدعاة لقيام ادوارد الثالث بغزو فرنسا عام ١٣٤٦ ، والانتصار عليها في معركة « كريسي » « CRACY » المعروفة . لكن الحرب مالبثت ان عادت للتجدد مرة ثانية في عهد هنري الخامس الذي تلقى من ملك فرنسا رفضاً باتاً للادعاء القديم بعرش فرنسا وبعض مقاطعاتها ، مما اثار غضب الملك الانجليزي ، ودفعه الى اقتحام الساحل النورماندي على رأس جيش يبلغ عدده نحو ١٤ الف جندياً معظمهم من الرماة . فالتحم والفرنسيين في معركة اجنكورت وذلك في ٢٥ اوكتوبر عام ١٤١٥ ، وهزمهم شر هـزيمة ، بفضل ما ابداه الرماة من جرأة وفن في القتال ، حتى ان المعركة لم تستغرق اكثر من ثلاث ساعات ، حسبما جاء في كتب التاريخ .

درس للامة

عاش شكسبير في عصر كانت فيه بلاده مرتعاً خصباً للشقاق العنصري والطائفي والاقليمي . فثمة نزاع قائم بين الكاثوليك والبروتستنت ، وكذلك كراهيـة وبغضاء وشحناء تعتلج في صدور سكان الاقاليم المختلفة كانجلترا وويلز وايرلنـدا واسكوتلندا بعضهم لبعض . بيد ان الساعة كانت حرجة كل الحراجة ، فأساطيل اسبانيا تستعد في كل لحظة لمحو عار الهزيمة النكراء التي الحقتها بها أساطيل بريطانيا بالامس . وما من سبيل لمجابهة الخطر الداهم بغير التآلف والتكاتف والاتحاد .

ولهذا فقد اراد الشاعر الملتهب بالروح القومية ان يلقن امته درساً بليغاً في الوطنية الصحيحة ، وفي معنى التضحية ونكران الذات ، فصور لهم تصويراً ادبياً حياً ناطقاً ما حققه الاجداد من المجد والسؤدد والفخار حين نبذوا عنهم الشقاق ،

وتطهرت قلوبهم من اوضار الفردية ورجس التعصب الذميم .

فيختار شكسبير حقبة مجيدة من تاريخ بلاده موضوعاً لمسرحيته ؛ ويجعل الجيش الذي يغزو فرنسا خليطاً من مختلف الطوائف والاجناس التي تقطن الجزر البريطانية ، ويعقد لواءه لملك شاب بطل ، يمثل في نزعته واخلاقه الشعب البريطاني ، الرضي الوديع ابان السلم ، والعنيف العنيد القوي الشكيمة في خلال الحرب .

وهكذا يقوم الشاعر بالنصيب الاكبر في صنع امته وتكوينها وتوجيهها ؛ وبطرقة الفكر ، ونار العاطفة الملتهبة المطهرة ، يعمل على صهرها في بوتقة من الشعور الموحد ، حتى تكتسب تلك الاخلاق التي بها اشتهرت وسادت ، وشقت سبيلها الى قلوب الاعداء والاصدقاء معاً .

الكورس « THE CHORUS »

لقد ضمن شكسبير هذه المسرحية عنصر « الكورس » الذي ابتدعه واستعمله كتاب الدراما الاغريقية في القديم كصوفوكليس وغيره ، ليساهم بدور فعال في التمثيل كأنه واحد من الاشخاص . بيد ان شكسبير لم يتخذه لهذا الغرض ، وانما لوصف المشاهد التي يصعب اظهارها على المسرح بامكانياته الضئيلة في ذلك العصر ، وكذلك لوصل الاحداث التاريخية المتباعدة الازمان ، ولتزويد النظارة بمادة تغذي خيالهم ، ما دام الكاتب عاجزاً عن ذلك بأية حيلة مسرحية اخرى .

فيظهر الكورس في مستهل بعض الفصول ليشرح للنظارة ما لا سبيل الى عرضه امامهم على ذلك المسرح المعروف آنئذ « بالكرة » (١) ، والذي أشار اليه شكسبير في افتتاحية هذه المسرحية « بالحلقة الخشبية » (٢) ، ويناشدهم ان يستعينوا بعين الخيال على رؤية ما لا يمكنهم رؤيته بالعين المجردة ، فيتصورون الجندي كأنه

---

١ « The Globe Theatre »

٢ « The Wooden O » —

جيش لجب ، والساحة الضيقة كأنما هي ميادين قتال مترامية الاطراف، وجداري المسرح كانهما شاطئا انجلترا وفرنسا ، وأمواج البحر تصطفق ما بينهما . وان يتخيلوا ،وهم في مقاعدهم او واقفون حول المسرح ، الملوك يتحدثون ، والجنود يتسامرون ويتفاكهون حول مواقدهم وداخل خيامهم في المعسكرات ، والنبال تملأ الاجواء صفيراً ، والخيل تكر وتفر ، وصخب المدن المحاصرة ، وأنين الانكسار والانهزام ، ونشوة الانتصار ،وهناءة السلام .

عرض موجز

عالج شكسبير حوادث تلك الحقبة باسلوبه الشعري المتدفق حياة وحماساً ، ورسم بريشته السحرية البارعة لوحات فنية خاطفة ،أولاً لمجلس عقـــده ذلك الملك الشاب ، فور اعتلائه العرش ، مع رؤساء الدين والشيوخ والنبلاء للنظر في امور الدولة واحوال الشعب . وفيه نلمح كيف يجعل شكسبير هؤلاء النبلاء يستخفون بالملك الفتي الذي لم يكن يرجى منه بعد وفاة والده العظيم حنكة ودراية ومقدرة على تصريف شؤون الملك والرعية .

ثم نشاهد الملك يستقبل الرسل الذين بعثهم ولي عهد فرنسا (١) حاملين للملك هدية أميرهم المكونة من طابات تنس ؛ كأنما يريد أن يقول للملك الشاب « أله بهذه الدمى الصبيانية ، عن فكرة التطلع الى مقاطعات كان يحكمها أسلافك في فرنسا من قبل !» ويهتز هنري الخامس لهذا السلوك النابي المفاجيء ، ويأمر الرسل أن يعودوا في الحال الى بلادهم ناقلين الى أميرهم بدل هدية مماثلة ، نبأ اعلان الحروب الضروس التي لا هوادة فيها ،على فرنسا.

وفي فصل لاحق يصور الشاعر حزم الملك وحكمته وحذره وذلك بقيامه بتطهير أرجاء مملكته في ساعة الخطر من الخونة والجواسيس . فيصدر حكمه

---

١ - (The Dauphin)

باعدام ثلاثة من النبلاء الادنياء ، هم : اللورد سكروب (١) ، والسر توماس قري (٢) ، وايرل اوف كامبردج (٣) ، وذلك بتهمة الخيانة العظمى .

ويرتفع الستار في الفصل الثالث عن ذلك الهجوم العنيف الذي يشنه الانجليز على أسوار ميناء هارفلير (٤)، والملك هنري على رأسهم ، يستحثهم بكلام حماسي مثير، يكاد لروعته وجمال اسلوبه يكون على لسان كل انجليزي الى هذا اليوم . وفيه يهيب بجنوده الى الاندفاع صوب الثغرة في سور تلك المدينة ، لينفذوا منها الى الداخل ، أو يموتوا! في محاولتهم فتمتلىء الثغرة بجثثهم .

ولقد خطر لي ان أقوم بنقل هذا الخطاب الى العربية لكي نتمكن من وضع أنفسنا في الجو الذي يريدنا الشاعر ان نكون فيه، حين نطالع هذه المسرحية ، أو نشاهدها على المسرح او الشاشة البيضاء ، ولتضرم في نفوسنا شعوراً كالذي ينشأ في نفوس الانجليز حين يرددون هذه القصيدة لأنفسهم .

يقول هنري الخامس مخاطباً جنوده (٥): —

« مرة ثانية نحو الثغرة ايها الاحباء ، مرة ثانية !

او املأوها بجثث قتلانا !

لا شيء يخلق بالانسان في السلم

كالوداعة والسكينة والحلم !

---

١ — Lord Scroop

٢ — Sir Thomas Gray

٣ — Earl of Cambridge

٤ — Harfleur

٥ — « Once more unto the beach , dear friends , once more ! »

(في المشهد الاول من الفصل الثالث)

لكن حين تدق ساعة الحرب ،
فلنقلد النمر في عمله ؛
لنشد العضل ، ولندفق الدم في الاعضاء ،
ولنخف الطبيعة الهادئة تحت ستار من السخط العنيف ؛
ولنكسب العين مظهراً مرعباً ،
ولندعها تطل من الحدقة كالقنبلة النحاسية ،
ولنجعل الحاجب يغمرها كما تغمر الامواج الصخرة الناتئة!
هيأوا الاسنان ووسعوا الخياشيم ؛
أوقفوا التنفس، واحنوا الارواح الى اقصى مداها !(١)
قدماً ،قدماً ،ايها الانجليز الشرفاء !
الذين تحدرت دماؤهم من آباء محاربين،
وقفوا قديماً على هذه الشواطيء من الصبح حتى المساء ،
كل منهم كالاسكندر في مضاء عزيمته وشدة مراسه،
وردوا السيوف الى الاغماد حين ولى الاعداء الادبار !
لا تخزوا الامهات،واذكروا اجداداً خلفوكم ،
أثبتوا انكم نسل رجال ذوي دم عظيم،واذكروا كيف تشن الحروب .
وانتم ايها الرماة الطيبون !
الذين في انجلترا تكونت سواعدهم ،أظهروا اليوم معدنكم،
ذرونا نقسم انكم خليقون بنشأتكم ؛

---

١ – مستعارة من حني القوس حين الرمي

اذ ليس بينكم من هو وغد أو جبان،

فلا تومض عينه بالمعة الكريمة ؛

انكم تقفون متهيئين ككلاب الصيد المتحفزة للانقضاض،

وها الصيد أمامنا يجري، فانطلقوا صارخين معي

« الله والقديس جورج لهنري وانجلترا ! »

ولقد كان شكسبير بارعاً في تصويره مظهراً من حياة الجيشين المتقابلين في معسكريهما ، في الليلة المظلمة الماطرة التي سبقت معركة اجنكورت . وفيها شاهد ولي عهد فرنسا يسير بين جنوده مشجعاً ، مؤانساً ، ملاطفاً . وكذلك يفعل هنري الخامس ، فيتخطر بين الخيام مرحاً ، نشيطاً ، رابط الجأش ، عظيم الثقة بالنصر ، معلناً عن ذاته تارة ، ومتنكراً اخرى ، ليختبر لنفسه مدى ثقة جيشه بمليكه .

ولقد أتيح لي ان أشهد عرضاً سينمائياً لهذه المسرحية ، فما أثر في نفسي ، واخذ بمجامع قلبي ، وملأني رهبة وروحانية وخشوعاً ، اكثر من منظر الملك وهو ساجد في الخلاء بين الخيام ، وبصوت متهدج يضرع الى « اله الحروب ان يقسي قلوب جنوده وينتزع من نفوسهم الجبن والفزع امام جحافل العدو الكبيرة ، وان يتغاضى عن اخطائه السياسية ولو لذلك اليوم فقط ، ان لم يكن أبداً ! »

وارجو ان يعذرني القارىء ان قدمت له بعض هذه الصلاة كما فاضت من فم الملك ؛ لان أية ترجمة لها ، مهما كانت بارعة ، لا يمكن أن تثير في نفسك ، ما يثيره انشادها في الاصل من لذة ومتاع .

يقول الملك هنري الخامس : -

« O Cod of battles ! steel my soldiers' hearts »
Possess them not with fear . Take from them now
The sense of reckoning, if the opposed numbers
Pluck their hearts from them . » (١)

---

١ - المشهد الاول من الفصل الرابع من السطر ٣٠٦

وفي تلك الليلة ايضاً يتيح لنا شكسبير أن نصغي الى ذلك الملك وهو يتحدث الى نفسه في خلوته . فقد سبق ان سمع هذا الملك، وهو يقوم بزيارة جنوده متخفياً ، البعض منهم يبدون مخاوفهم من انهم اذا ما وقعوا أسرى في أيدي العدو لن تدفع عنهم فدى فيعودون الى بيوتهم ، وانهم يحملون الملك جميع التبعات والمسؤوليات الناتجة عن ذلك .

فينطلق الملك بهذه المناجاة الطويلة(١) التي تكاد تمثل شعور كل ملك جليل في هذا الوجود : -

« Upon the king ! let us our lives, our souls,
Our debts, our careful wives,
Our children , and our sins , lay on the king ! »

هاك الخطاب كله مترجماً : —

« على الملك ! فلنلق حياتنا ، نفوسنا ،
ديوننا ، همـــوم ازواجنا ،
ابناءنا ، وآثامنا نضعها على عاتق الملك !
جميعها علينا ان نحملها . ابتها الحال الصعبة ،
يا تـوأم العظمة الراضخة
لقول كل احمق لا يفكر بغير صالحه، !
لا حـــد لهدأة القلب
التي يشتهيها الملك ، وينعم بها الشعب !
وما الذي عند الملك وليس عند الآخرين

---

١ — المشهد الاول من الفصل الرابع السطر ٢٤٧ — ٣٠١

سوى الأبهة ، سوى الأبهة الرسمية ؟

وما انت يا صنم الأبهة ؟

أي اله انت ، فتقاسين

من الآلام اكثر من عبادك ؟

ما أجرك ؟ ما دخلك ؟

ايتها الابهة ، أرني قيمتك !

ما جـــوهر قدسيتك ؟

هل انت شيء الا مكانة ودرجة ومظهر

تثير الرهبة والفزع في الآخرين ؟

بينما انك اقل سعادة، وانت مرهوبة الجانب،

من الذين يرهبونك ؛

وما الذي ترشفينه غالباً بدل رحيق الولاء

غير التملق السام ؟ امرضي مرة ايتها العظمة العظمى ،

ومري أبهتك ان تسعفك بالعلاج ،

أفتظنين انك ستطفئين حمى أحشائك

بما تفيض به ألسنة المادحين ؟

هل تستطيعين وانت تملكين ركبة السائل

ان تملكي صحتها البدنية ؟ كلا ايها الحلم الفارغ ،

المداعب خيال الملك في وسنه :

انا ملك وعثرت عليك ، واعلم يقيناً

انه لا التاج ، ولا الصولجان ، ولا السيف ،
ولا الكساء الملكي المذهب المجوهر ،
ولاصوت المنادي أمام الملك ،
ولا العرش الذي يجلس عليه ،
ولا موج الفخفخة المتحطم على صخرة الوجود —
ليست هذه كلها ، ايتها الابهة الزاهية
ليست هذه كلها مستلقية على فراش الجلالة
يمكنها ان تهنأ في نومها كالعبد الشقي ،
بجسمه الممتلىء وذهنه الخالي ،
يخلد الى الراحة اذ شبع من فتات خبزه ؛
فهو لن يشهد ليلة مرعبة كأنما هو في جهنم ؛
بل ينهض مع الشمس ويواكبها
كالجياد التي تجر عربتها في سياحتها اليومية (١)
وفي الليل يستسلم للكرى كأنما هو في السماء ؛
وهكذا يدأب وراء السنة المنطلقة على الدوام ،
بعمل مفيد ، حتى تأتي ساعته ،
ومع انه ليس لهذا العبد تلك الابهة ،

---

١ — اشارة الى الاسطورة اليونانية القائلة ان آله الشمس « Phoebus » يسير في عربة تجرها الجياد وقد وردت هذه الاشـارة في كثير من اشعار شكسبير ولا سيما في اغنيته المشهورة :
« Hark, Hark the lark ... »

فانه ، منفقاً الايام بالكد ، والليالي بالسكون ،

للملك في وضعه وحياته .

فالعبد ينعم في سلام ، ولا يعلم

ما يقاسيه الملك من ضني الحرص على هذا السلام . »

«ولا تنس وانت تطالع هذه المسرحية ان تقف عند خطاب الملك هنري الذي ألقاه على جنوده قبل بدء المعركة بقليل ، ولا سيما قوله (١) :-

« نحن الفئة القليلة ، نحن الفئة السعيدة ، نحن عصبة الاخوان !

لأن من يسفك دمه اليوم معي

سوف يكون أخي ! »

«We few , we happy few, we band of brothers.

For he to-day that sheds his blood with me

Shall be my brother . »

أولا يذكرك هـــذا (بفئة) معركة بريطانيا التي خلدها تشرتشل بجملته المشهورة « لم يشهد تاريخ الصراع البشري ان فئة كبيرة كهذه كانت مدينة لفئة قليلة كتلك ، مثل هذا الدين الكثير ! »

وتبلغ حوادث القصة الأوج في معركة اجنكورت التي رسم منها شكسبير مناظر خاطفة . وبعد انكسار الجيش الفرنسي تجري الاحداث بسرعة فائقة الى مستقر لها ، حتى تقف بنا عند ذلك المشهد الطريف ، وفيه يجمع شكسبير بين الملك الانجليزي والاميرة (كاترين) « Katherine » ابنة ملك فرنسا ووصيفتها (ألس) « Alice » . وهنا يضع الشاعر على لسانيهما حواراً غزلياً شائقاً باللغة الانجليزية ، تنطلق غليظة جافة من فم الملك الانجليزي ، والفرنسية العذبة الرشيقة ، تنساب كالموسيقى

---

١ - المشهد الثالث من الفصل الرابع السطر ٦٠-٦٢

الساحرة من بين شفتي الاميرة الفرنسية الرقيقة . والوصيفة (ألس) بينهما بالمامها اليسير بالانجليزية ، والعيون المشرقة ، والقلوب الرفافة بالحب ، جميعها تعمل يداً واحدة على ترجمة ما يعجز عن الافصاح عنه لسانا الملك والاميرة .

وهكذا تنتهي المسرحية بنصرين اثنين مبينين ، يحققهما الانجليز في ميدانين من ميادين الحياة ، هما ميدان الحرب ، والحب الذي افضى الى زواج الملك الانجليزي الشاب من تلك الاميرة الفاتنة الجميلة . فلا غرو ان تمانع الحكومة الفرنسية في عرض هذا الفلم أو تمثيله على مسارح بلادها ، بعد ما رأيناه من تمجيد الشاعر لبطولة أمته ، وتخليده عظمتها في هذه المسرحية الحماسية الخالدة .

صونيتات شكسبير

(The Sonnets)

تعريف الصوناتا

لا بد قبل الدخول في الموضوع مباشرة من كلمة في الصوناتا، شكلها، وموضوعها، وشيء من تاريخها، ليسهل على القاريء تفهم هذا البحث العويص الشائك.

والصوناتا لون جديد في الادب لم تعرفه أوربا في شكله الحالي، قبل القرن الرابع عشر، كما يعتقد. وليس في الادب العربي قديمه وحديثه ما يشبه الصوناتا.

وهي مقطوعة شعرية، خفيفة الظل، لطيفة المعنى والمبنى، غنائية الطابع، موسيقية الجرس والايقاع، شعرية الالفاظ، خصبة التصوير والخيال. وهي كذلك زاخرة بصنوف الاستعارة، وجميع محسنات البديع والبيان، وتشرح عاطفة الشاعر او فكرته؛ وتعبر عن حبه، او شجنه، او مرحه، أو عتابه. وكان مدارها الرئيسي في الاصل، الحب، بيد أنها خرجت من نطاقه، وتناولت مواضيع شتى، تختلف باختلاف أمزجة الشعراء وظروفهم. وهي ليست وحدة واحدة، فقد يفيض موضوعها الى ما يليها، ولا ينتهي الا بالثانية أو الثالثة، أو ما بعدهما. ولهذا كان يقتضي نظمها صنعة فنية دقيقة، وكذلك جهداً أدبياً متكلفاً لابرازها في صورة منمقة مزينة، يستطيع معها الشاعر التأكد من ان الشعور بالجمال الفني الذي يغمر كيانه سينتقل بالعدوى الى نفوس قرائه.

وتتكون الصوناتا من أربعة عشر بيتاً من الشعر، يتألف كل منها من أحد عشر مقطعاً في الايطالية، واثني عشر في الفرنسية، وعشرة في الانجليزية. ويختلف

بناء قافيتها حسب انتمائها الى أحد نوعيها الرئيسيين: « الايطالية » و « الاليزابثية ».

وتعرف الاولى عادة بالبترارکية (١) نسبة الى بترارك (٢) «Petrarch» الشاعر الطلياني الخالد الذكر، والذي اليه يعود الفضل الاول في ابتداعها واستعمالها بشكلها النهائي في تلك المقطوعات الشعرية (٣) التي بها تغزل في حبيبته لورا « Laura » .

اما الثانية فقد اشتهرت باسم شكسبير (٤) نسبة الى الشكل الذي جرى عليه هذا الشاعر في نظم صونيتاته .

وقافية الصوناتا (البترارکية) مبنية في الثمانية الابيات الاولى (٥) حسب هذه القاعدة : -

« A - B - B - A - A - B - B - A » (٦)

اما الستة الابيات (٧) التالية فمبنية على قافيتين او ثلاث مختلفة وتتضمن الثمانية الابيات الاولى عرضاً لعاطفة الشاعر او فكرته ، اما في الستة الاخرى فيحاول الشاعر الخروج من نطاق الخيال المبهم الى تحديد تلك العاطفة او الفكرة.

اما بحر الصوناتا « البترارکية » فمن نوع الايامبك « IAMBIC » ، المؤلف من مقطعين ، صغير و كبير ، ولا تختلف في هذا عن الصوناتا « الشكسبيرية » الا من حيث احتواء البيت منها على أحد عشر مقطعاً بدلاً من عشرة ، كما هو في صوناتا شكسبير، كما ذكرنا . واكثر من استعملها من شعراء الانجليز، ملتن، ووردزورث،

---

١ — « PETRARCHIAN »

٢ — ١٣٠٤ — ١٣٧٤

٣ — اسمها الاصلي في الايطالية « RIME IN VITA E MORTE DI MADONNA LAURA » OR « CANZONIERE »

٤ — (SHAKESPEAREAN)

٥ — يعرف بالانجليزية (OCTAVE)

٦ — اي ان الابيات الاول والرابع والخامس والثامن من روي واحد ، والباقية من روي آخر

٧ — ويعرف بالانجليزية (SESTET)

ولا سيما الاول الذي حرص على التقيد بقواعدها ، بكل دقة .

اما الصوناتا « الشكسبيرية » فهي من البحر المعروف بالانجليزية « بالأيامبك بنتا ميتر » (١) ، اي الخماسي التفاعيل ، المؤلف من مقطعين ، صغير و كبير ، وهو البحر الذي استعمله شكسبير في تأليف مسرحياته ، كما شرحنا ذلك تحت موضوع « الفن الادبي » .

اما قافية الصوناتا « الشكسبيرية » فمبنية على هذه الشاكلة : (A-B-A-B, C-D-C-D, E-F-E-F, G-G.) (٢) ، أي انها مكونة من ثلاثة رباعيات وثنائي واحد (٣) .

ولقد كانت ايطاليا المهد الاول للصوناتا ، كما بينا ، ثم انتقلت الى اسبانيا مع كثير من مظاهر الحضارة واشكال الفن المختلفة ، ومن ثم الى البرتغال وفرنسا ، حتى حطت رحالها في انجلترا ، في القرن السادس عشر .

وأول من دل ادباء الانجليز عليها ، الشاعر ان الايرل أوف سري (٤) ، والسر توماس وايات (٥) . فانتقلت من يد شاعر الى آخر ، مبدلين فيها ومحورين ، حتى خرجت عن أطارها الاصلي ، وموضوعها الرئيسي ، وهو الحب ، كما هو ظاهر في صونيتات بترارك .

واشهر من طرق هذا اللون الجديد من الادب ، الشاعر السر فيليب سدني (٦)

---

١ = (IAMBIC PENTAMETRE)

٢ - اي ان ثمة تماثلا في الروي بين البيت الاول والثالث ، والثاني والرابع ، والخامس والسابع ، والسادس والثامن ، والتاسع والحادي عشر ، والعاشر والثاني عشر ، والثالث عشر والرابع عشر

٣ - (THREE QUATRAINS & A COUPLET)

٤ - EARL OF SURREY (١٥١٧ ؟ - ١٥٤٧)

٥ - SIR THOMAS WYATT (١٥٠٣ ؟ - ١٥٤٢)

٦ - SIR PHILIP SIDNEY (١٥٥٤ - ١٥٨٦)

في مجموعة مقطوعاته الشهيرة، المعروفة « بالراعي والنجم »(١) التي ظهرت عام ١٥٩١ اي بعد وفاة ناظمها ، شأن معظم نتاجه الادبي . وقد أوحى السر فيليب سدني بشخصيته الشعرية الفذة وصونيتاته هذه ، الى الكثيرين من الشعراء ، فأقبلوا على الصوناتا ، ونسجوا على منواله ، حتى ان نحواً من عشرين مجموعة من الصونيتات لشعراء مختلفين برزت للوجود بين عامي ١٥٩٧ و ١٥٩٧ . ومن اشهر هؤلاء الشعراء ، ادمند سبنسر (٢) ، وتوماس واطسن (٣) وصاموئيل دانيال (٤)، وميخائيل درايتن (٥) وغيرهم . وكانت تتأرجح آنئذ بين التقليد والابتكار في الشكل والموضوع، حتى تناولها قلم الشاعر الاكبر ، فعبث بها ماوسعه العبث، وأصبحت في يده شيئاً جديداً ،غير ما كانت عليه حين عرفها الشعر الانجليزي لأول مرة، فيكون شكسبير بذلك زعيم هذا النوع من الصوناتا الذي يعرف باسمه . ولقد نظم نحو مئة واربع وخمسين صوناتا، في بعضها صنعة فنية وتزويق وتنميق، مما لا يجعلها تمس القلب ، وفي البعض الآخر توخى الابهام ، ولكنه في معظمها حلق ماشاء له التحليق في سماء الفن والخيال ، حتى اضحت صونيتاته و كأنها صندوق يحوي اثمن جواهر الشعر الغنائي « LYRIC » في عصر اليزابث وما بعده من عصور .

مقالات مجردة

لا بد باديء ذي بدء من تذكير القاريء بكتاب « بالادس تيميا (٦) الذي

---

١ — (ASTROPHEL & STELLA)

٢ — EDMUND SPENSER (١٥٥٢ ؟ ١٥٩٩)

٣ — (THOMAS WATSON) (١٥٥٧؟- ١٥٩٢)

٤ — SAMUEL DANIEL(١٥٦٢ - ١٦١٩)

٥ — MICHAEL DRAYTON (١٥٦٣-١٦٣١)

٦ — (PALLADIS TAMIA)

نشره الاستاذ الجامعي فرنسيس ميرز (١) عام١٥٩٨ ، والذي فيه أطرى شاعرية شكسبير وأشاد بعبقريته الفنية في مسرحياته وأشعاره ، كما شرحنا ذلك باسهاب حين بحثنا موضوع « شكسبير والشعراء المعاصرون » .

ولم ينس ميرز أن يشير الى هذه « الصونيتات السكرية أو المحلاة »(٢) المنتشرة سراً بين الخواص من أصدقاء شكسبير .

ومن قول ميرز هذا، ومن ظهور اثنتين من صونيتات شكسبير لأول مرة في مجموعة القصائد « The Passionate pilgrim » التي جمعها ونشرها وليم جاقرد « William Jaggard » عام١٥٩٩ ، نعرف ان شكسبير نظم معظم هذه الصونيتات، قبل ظهورها في شكلها النهائي عام ١٦٠٩ .

وتذكر كتب تاريخ الادب الانجليزي ان الناشر توماس ثورب « Thomas Thorpe » حصل في ٢٠ مايس ١٦٠٩ على اجازة رسمية لنشر هذه المجموعة في كتاب خاص ، دون علم شكسبير او رضاه، كما يظن . وانه جعل اهداءها الى « الموحي (٣) بهذه الصونيتات، المستر « W. H. » ، الذي له السعادة والخلود المرجو » .

وليس من المظنون ان الترتيب الذي ظهرت به هذه الصونيتات في نسخة « ثورب » هو ذاك الذي به نظمت أولاً . وهذا في حد ذاته مثار جدل ونقاش بين الادباء ، لانه بدون العثور على النظام الاصلي لها ، لا نستطيع متابعة الشاعر في شرح عواطفه واختباراته ، مسلسلة كما وردت حين نظمها في الاصل .

---

١ — (FRANCIS MERES)

٢ — (SUGARED SONNETS)

٣ — في الاصل هي: "THE ONLY BEGETTER OF THESE INSUING SONNETS"
وقد يكون معنى Begetter (المنتج ، او الحاصل على ، او الموحي ب) وقد اثار الاختلاف في تفسير معناها بلبلة في اذهان الكتاب

وقد اعتاد مؤرخو الادب ان يقسموا صونيتات شكسبير الى سلسلتين منفصلتين ، الاولى وتنتهي بالصوناتا السادسة والعشرين بعد المئة ،وهي مكونة من اثني عشر بيتاً ،على غير عادة شكسبير في جميع صونيتاته المكونة احداها من اربعة عشر بيتاً (١) . والثانية ، وتبدأ بالسابعة والعشرين بعد المائة ، وتنتهي بالرابعة والخمسين بعد المئة .

أما في السلسلة الاولى فيخاطب شكسبير رجلا بل بالأحرى شاباً من منبت نبيل ، وذا جمال بارع فتان . ويناشده بشـــدة والحاح أن يتزوج ، لعله بذلك ينجب نسلاً يرث هـذا الجمال . وفيها تنثال على ذهن الشاعر خواطر وافكار كثيرة ،متناقضة ،وكعواطفه مضطربة، فيعود يؤكد للمخاطب انه انما سيخلد فقط في شعر شكسبير . ويصف كذلك غرامه وتعلقه بهذا الشاب وحزنه الشديد حين يفرق الزمان ما بينهما . وفي بعض هذه الصونيتات يشكو من تعذيب حبيبه ، ويشرح ما يسببه فراقه له من عدم تمكنه من رؤية جمال الصيف وفتنة الربيع . وفي بعض الاحايين نراه يؤنب شاباً لأغراقه في الملذات ، ولانه استطاع ان يكسب فؤاد خليلة الشاعر في أثناء غيابه ، بيد أن الشاعر ليغفر له ذلك . وفي عدد من هذه المقطوعات نلمح الكآبة تغمر نفس الشاعر ، فيبدي يأسه وقنوطه وجزعه لهذا الفساد الذي يسود زمانه ، ويحاسب نفسه ويوبخها على اثم اقترفه ، ويعلن عن تبرمه وســـأمه من حرفة التمثيل ، ويتوقع دنو أجله . ويتخلل الصونيتات اشارات تدل على أن هذا النبيل هو نصير « Patron » الشاعر ، لكنه يوجه اليه عتاباً أليماً لانه يناصر شعراء آخرين منافسين له . وفي آخر هـذه السلسلة يؤكد ثباته على حبه وصداقته للمرأة كان ذلك أم للرجل ، على السواء .

أما في السلسلة الثانية فيخاطب الشاعر امرأة سمراء ، متغزلاً بهذه السمرة الفاتنة ، والشـــعر الفاحم ، والعينين السوداوين ، . وفي نحو اثنتي

---

١ — ومن الغريب ان شكسبير نظم صوناتا اخرى مكونة من ١٥ بيتاً

عشرة مقطوعة ينقـــد هذه الخليلة « السمراء » لانها تزدري مايبديه نحوها من عواطف حارة ، ولانها ايضاً ذات علاقات كثيرة مع رجال آخرين . ولم ينس الفكرة التي ذكرها في السلسلة الاولى ، فيعاتب امرأة ما ، لانها احتالت على صديقه وأخضعته لاغرائها . وفي بعضها يتردد اسم « Will » ، فيتلاعب به . وقد يكون هذا اختصاراً « لوليم » اسم شكسبير ، او رجل آخر غيره .

أسئلة

هذه حقائق أولية عن الصونيتات مجردة من كل تعليل او تأويل ، وعليها بنيت نظريات عديدة وآراء شتى . فقد اراد شكسبير ان يكون اسمه ، حيث ماورد ، محوطاً بهالة من الخيال والتقديس والاجلال ، وان يجعل كل ما يتعلق به موطن شك واستغراب ، ومثار تساؤل واستفهام مطردي النمو مع الايام . ولم يشاء ان يستثني صونيتاته من هذا . فانها منذ ظهورها عام ١٦٠٩ وهي موضع درس وبحث واستقصاء ، ومدار جدل عنيف ونقاش في جميع الاوســـاط الادبية ، في انجلترا وخارجها .

وكم من شكوك ، وكم من اسئلة أثيرت حولها ، ما يزال نقاد الادب ومؤرخوه عاجزين عن الوصول الى اجوبة صحيحة لها . هل تشرح هذه الصونيتات اختبارات الشاعر الحقيقية ؟ أم هي مجرد خواطر أدبية وتأملات خيالية بعيـدة عن الحقيقة والواقع ؟ فاذا كانت بالفعل تعبر عن اختبارات شكسبير ، فمن هم يا ترى الاشخاص الذين يخاطبهم فيها ؟ من هو هذا « Mr. W. H. » ؟ من هو الشاعر الذي يضايق شكسبير بما يبديه نحوه من منافسة حادة مؤذية ؟ من هي السيدة السمراء ؟ هل الصونيتات التي بين ايدينا مرتبة ومسلسلة حسب التاريخ التي فيها ظهرت للوجود ؟ وما هو الترتيب الصحيح لها ؟ متى نظمها شكسبير ؟

اسئلة كثيرة تتوارد على الذهن ، وحاول ، ويحاول الكتاب كل يوم الوصول الى اجوبة صحيحة لها . وقبل الشروع في الاجابة على بعضها ، لا بد من تذكير

القارىء وتحذيره من الانغماس في ناحية البحث العلمي الجاف من هذا الموضوع، فيلهيه ذلك عن ادراك المتعة والجمال في هذا اللون من الادب الجديد. ذلك أن صونيتات شكسبير خير نموذج للطابع الغنائي (Lyricism) الذي شق طريقه الى الشعر الانجليزي بواسطة الصوناتا، في عهد اليزابث.

أهمية

يتلخص موقف مؤرخي الادب ونقاده من موضوع هـذه الصونيتات في مذهبين مختلفين، احدهما لفريق يرى فيها مجرد أخيلة شعرية وخواطر تقليدية، كالتي طرقها معظم شعراء الصوناتا في انجلترا وخارجها. والثاني لفريق آخر يعتقد أنها تعبر عن حوادث واختبارات واقعية حدثت للشاعر في حياته، ولهذا فانه ينعم النظر في كل فكرة وكل لفتة ترد في هذه الصونيتات ويفسرها على ضوء ترجمة حياة شكسبير.

اما الفريق الاول فلا يظن ان ذهن الشاعر المنصرف بكليته للدراما، والمنشغل بالتمثيل، قادر على انتزاع ذاته من هذا الموضوع التجردي الخطير واللون الرفيع من الادب الموضوعي « OBJECTIVE »، لينتقل منه الى الوجداني « SUBJECTIVE »، والعكوف على تسجيل لمحات من مظاهر حياته واختباراته في مقطوعات شعرية. كما يرى ان الصوناتا الانجليزية في عصر اليزابث كانت ترجع أصداء كثير من المشاعر والصور والافكار التي ترددت في الصوناتا الايطالية أو الفرنسية، اللتين كان يعنى كتابها بجمال التركيب وحسن الاداء، ويتنافسون في ابراز المعاني في ابهى مظهر، ويفتنون في هذا، ويتحمسون له اكثر من تحمسهم للتعبير عن مشاعر أو آراء جديدة مبتكرة تشرح نزعاتهم الفلسفية في الحياة. ولهذا نجد معظم المواضيع التي طرقها شعراء الصوناتا في اوروبا، في القرن السادس عشر، ذات طابع ولون واحد تقريباً، ولم يكن موضوعها مقصوراً على فريق دون آخر، بل ملكاً للجميع. ومن غير المعقول، كما يقول اصحاب هذا الرأي، ان يخرج شكسبير على ذلك، رغم مايلمسونه في مجموعة صونيتاته من تفوق في مجال الفن الادبي، ولا سيما الغنائية

الشعرية المعروفة في الانجليزية بـ «LYRICISM» .

اما الفريق الثاني فيرى ان الصوناتا بلغت مجدها المتوج حين وصلت الى يدشكسبير فكانت ذلك المفتاح الذي به « فتح قلبه » كما ذكر الشاعر وردزورث في احدى صونيتاته (١)، وانها لم تكن بالحقيقة سوى نتيجة التفاعل الذي تم بين قلب الشاعر وخياله ، ولهذا فقد انطوت صونيتات شكسبير على كثير من الاختبارات الحقيقية ،بأجمل قالب فني عرفته الصوناتا في عصر اليزابث .

ولست أحب أن انحاز الى أحد الطرفين ، بل أريد ان اسلك سبيلاً وسطاً بين اولئك وهؤلاء ، فلا أقول برأي الذين يفصلون فصلاً باتا بين حياة الشاعر وبين ثمرات فكره ووجدانه . كما لست أشايع الذين يجهدون انفسهم ، ويتكلفون المشقة في تعليل كل ما ورد في هذه المقطوعات كأنما هو يمثل حقائق راهنة في حياة شكسبير . والواقع انني لست استطيع ان اصدر حكماً تاماً على هذه المقطوعات بمجموعها ، فأحدد انها كلها من هذا النوع او ذاك ، اذ منها ما يشرح عواطف الشاعر وآراءه وتجاربه في الحياة ، ومنها ما يعالج فكراً مجردة ،وخواطر غير متأثرة البتة بحوادث معينة يمكن ان تكون قد وقعت للشاعر في حياته .

هذه محاولة للاجابة على السؤال الرئيسي الذي تثيره هذه الصونيتات ، ولست ازعم انها كاملة او انها قريبة من الكمال، لانها لو كانت كذلك لماظل هذا الموضوع مدار درس وبحث،ومثار نقاش دائم عند الكتاب في جميع البلدان .

اما حقيقة الشخص الذي يخاطبه شكسبير في هذه المقطوعات فحقاً مشكلة المشاكل وعقدة العقد، ولو ضربنا صفحاً عن بعض الاسماء التي رشحها بعض الكتاب المغرضين ،لالفينا مؤرخي الادب يجمعون على اسمين من ابرز الاسماء . وعلى اساسهما ينقسم النقاد

---

١ – (With this Shakespeare unlocked his heart) راجع هذا في الصوناتا ذات العنوان التالي : « Scorn not the Sonnet »

الى مدرستين ، الاولى ترى انه لابد ان يكون « هنري ريوثسلي »(١) المعروف بلقب الايرل أوف ساوثمبتن نصير شكسبير وصديقه . والثانية تقول بل انه « وليم هربرت » (٢) الملقب بالايرل أوف بمبروك . وكلاهما شابان نبيلان ، ومعاصران لشكسبير ، كما تعلم .

اما أتباع المدرسة الاولى فيستندون في نظريتهم الى ان شكسبير نفسه كان قد أهدى قصيدتيه « فينس وأدونيس » و « لوكريس » الى الايرل اوف ساوثمبتن ، وانه نال منه نحو الف جنيه في احدى المرات ، كما ذكر المؤرخ نيكولاس رو « NICHOLAS ROWE » ، وان التاريخ المعاصر لم يذكر ان الشاعر صادق احداً غيره من نبلاء عصره .

اما المدرسة الثانية فترى ان شكسبير انما يخاطب الايرل اوف بمبروك ؛ ويستدل اتباعها على ذلك من التشابه بين الحرفين الاولين من اسمه وهو « WILLIAM HERBERT » وبين اسم الشخص الذي أهديت اليه هذه الصونيتات « MR . W . H » . وهم يؤيدون ذلك باعتقادهم ان « السيدة السمراء » المعنية في هذه المقطوعات هي ماري فتن « MARY FITTON » خليلة الايرل اوف بمبروك . ويزعمون كذلك ان الاسم الاول « وليم » لأقرب شيء الى ذاك الاسم « WILL » الذي يردده شكسبير في القسم الاخير من السلسلة الثانية من صونيتاته ، لاهياً به ، عابثاً ؛ وان هذا النبيل كان فعلاً يحدب على شكسبير ، والا لما اقدم « همنقز »(٣) و « وكوندل » (٤) ناشرا المجموعة الاولى لمسرحيات شكسبير « FIRST FOLIO » على اهدائها الى هذا الايرل وشقيقه معاً . ويقولون اخيراً ان النبيل كان جميل الصورة ، ووسيم الخلقة ، وقد ورث هذا عن امه

---

١ — (Henry Wriothesley or Earl of Southampton)

٢ — (William Herbert or Earl of Pembroke)

٣ — (Heminge)

٤ — (Condell)

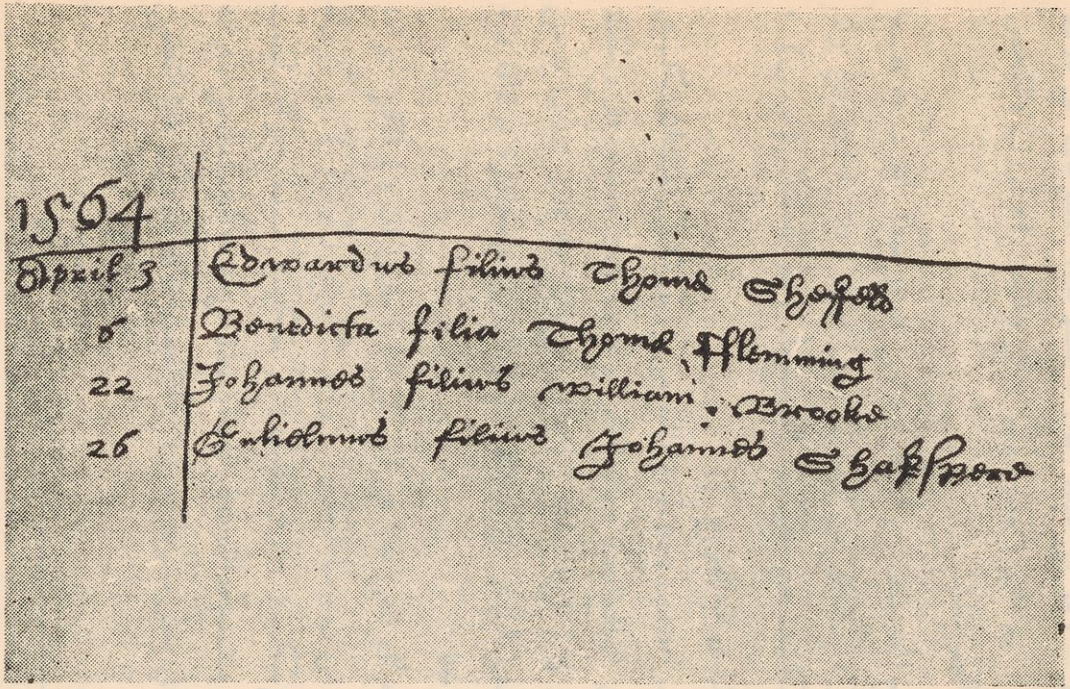

وثيقة عماد شكسبير

مقتبسة من سجل أبرشية ستراتفورد وهي مكتوبة باللاتينية ، وترجمة السطر الاخير : (ابريل ٢٦. وليم بن جون شكسبير)

(انظر صفحة ٧)

شكل رقم (٧)

شقيقة الشاعر الجنتلمان السر فيليب سدني، وهي السيدة التي عناها شكسبير في احدى صونيتاته حين ذكر « بأنها استعادت في ابنها نيسان حياتها » ، فليس غريباً ان يوحي جماله الفتان لشكسبير — وهو من عبدة الجمال — بنظم هذه المقطوعات التي يتردد فيها ذكره. وهذا في رأيهم معنى « BEGETTER » التي وصف بها « ثورب » الشخص الذي اليه أهدى هذه الصونيتات .

هذا ملخص لحجج المدرستين . والظاهر انه من العسير جداً الجزم بترجيح رأي فريق على آخر ، اذ لكل من النبيلين انصار اقوياء ، فلا بد اذن من ترك هذه المسألة للزمان ليكشف عن الجواب الصحيح لها. وغفر الله للناشر (ثورب) ، الذي لم يذكر اسم المهدى اليه الصريح !

اما عن السيدة السمراء «The Dark Lady» فطائفة من مؤرخي الادب تعتقد ان شكسبير لاقى في حياته، بل في الواقع أحب « سيدة سمراء » ، ربما كانت « ماري فتن » خليلة الايرل اوف بمبروك كما ذكرنا سابقاً . ودليلهم على ذلك ما كانت تتصف به من مزايا شبيهة بالتي وصفها الشاعر في خليلته — ذكاء نادر وبديهة حاضرة ، وثقافة فنية عالية ، وأنوثة مسترجلة .

بيد ان طائفة اخرى تنفي هذا على اساس ان « ماري فتن » لم تكن سمراء، وانما شقراء كما يتبين من رسومها الكثيرة ، وأن التاريخ والرواة لا يذكرون انها كانت على صلة مع شكسبير . وهم يعللون ذكر شكسبير لسيدة سمراء وليست شقراء مثلاً، بانه كان يستملح هذا اللون في النساء ويفضله على غيره، كما يستدل من اشاراته الكثيرة للنساء السمر في بعض مسرحياته (١) ، فلا عجب أن يتردد ذكر هذا التفضيل في صونيتاته ايضاً .

---

١ — ربما كان وصف المرأة الوارد في (كما تشاء) المشهد الخامس من الفصل الثالث السطر ٤٤ — ٤٦ يعبر عن رأي شكسبير في جمال المرأة المحبب الى نفسه ، ومما هو جدير بالملاحظة وصفه لشعرها الحريري الاسود . مما يؤيد ذوقه الخاص في تفضيل المرأة السمراء على غيرها. راجع كذلك (جهد الحب الضائع) المشهد الثالث من الفصل الرابع سطر ٢٤٧ — ٢٦٩

وكما تضاربت آراء مؤرخي الادب ونقادشكسبير في المواضيع الآنفة الذكر، تضاربت كذلك في تحديد شخصية الشاعر المنافس لشكسبير في الظفر بعطف نصيره الشـــاب النبيل . فمنهم من يعتقد انه « بارناب برنز » (١) خريج جامعة أوكسفورد ، وشاعر الصوناتا المجيد . ومنهم من يرشح ميخائيل درايتن الذي قضى تلك الليلة مع بن جونسون في بيت شكسبير . بل منهم من يضيف الى ذلك اسم شاعر مغمور الذكر هو «جرفس مار كهام » . بيد ان اغلبهم يرجحون الشاعر « جورج تشابمن » (٣) الذي ترجم الالياذة والأوديسا الى الانجليزية ، ونشر شطراً من الاولى عام ١٥٩٨ ، فأجتذب بذلك شعور النبيل المخاطب في هذه المقطوعات، وصرفه عن الاهتمام بأمر شكسبير ولو لبعض الحين . لهذا فهم يعتبرونه اكثر الشعراء أهلية وكفاءة لمنافسة شكسبير في مضمار مصادقة النبيل واكتساب عطفه ومودته.

اما في ما يتعلق بترتيب هذه الصونيتات ، فالسواد الاعظم من نقاد شكسبير يعتقدون انه نظم اكثرها في عدة مجموعات متفاوتة الحجم ، وانها موصولة الفكرة والموضوع . ويرون انها بمجموعها تؤلف سلسلتين رئيسيتين ، كما ذكرنا، الاولى: وفيها يخاطب صديقه النبيل ، والثانية: وهي التي تدور حول « السيدة السمراء » .

بيد انهم لا يتفقون على رأي واحد في الترتيب الذي جرى عليه شكسبير في نظمها. ولا يعتقدون ان النسخة التي اخرجها « ثورب » لاول مرة عام ١٦٠٩ ، تمثـــل النظام الاصلي الذي انتهجه شكسبير في تأليفها .

وقد جرت اول محاولة للخروج على نسخة « ثورب » ١٦٤٠، حين نشر بن جونسون هذه الصونيتات مرتبة ترتيباً جديداً. ومنذ ذلك الحين والكتاب يطالعوننا بنسخ منها مختلفة الترتيب والتبويب والتنسيق . ويقيني انهم سيظلون يفعلون ذلك الى

---

١ — Barnabe Barnes (١٥٦٩ ؟ — ١٦٠٩)

٢ — Gervase Markhâm (١٥٦٨ — ١٦٣٧)

٣ — George Chapman (١٥٥٩ ؟ — ١٦٣٤)

ما شاء الله . ولست اظنهم منتهين الى نتيجة حاسمة في هذا الموضوع .

نماذج من الصونيتات

لقد آن لي ان أنتهي من هذا البحث الشاق الطويل الذي قد يهم مؤرخي الادب ويفيد طلاب شكسبير أكثر من القارىء العادي .

ولكي أرفه عن ذهنك بعض ما ألم به من عناء متابعة هذا الموضوع الذي ربما يبدو لك جافاً ،لا بد لي من اطلاعك على نماذج من صونيتات شكسبير مترجمة ، لعلك حين تتذوقها رتستمتع بها ، ستحاول ان تطالعها في أصلها .

والحقيقة يا قارئي العزيز انني ما أقدمت مرة على ترجمة شيء لشكسبير الا تذكرت المثل اللاتيني القائل: « انما المترجم خائن » . فالمترجم مهما كان طويل الباع في الترجمة حاذقاً فنها ، فانه لن يكون مخلصاً أميناً صادقاً كل الصدق في النقل . ذلك أن أدب شكسبير ،أو اي شاعر آخر عالمي ، ليس مجرد صورة او فكرة يستطيع كل انسان ان يلبسها ثوباً جديداً فتبدو فيه كما في ثوبها القديم . انه هذا ، مع شعور فني ، وخيال مجنح ،وثروة من الالفاظ فيها عبقرية في الملاءمة والمزاوجة والجرس والايقاع . وهو كذلك روح رفافة بالعاطفة الصادقة ، ريانة بعبير الجو الادبي الالهامي الذي به يمتلىء فؤاد الشاعر ،ويفيض أدباً رفيعاً ،خالداً على الدهر ،

وفي المقطوعة التالية ،وهي من السلسلة الاولى من صونيتات شكسبير ،يشبه الشاعر اقبال صديقه عليه ثم اعراضه عنه ،بشروق الشمس ثم احتجابها وراء السحب القاتمة . واحب ان ألفت نظرك الى الصورة الشعرية الخلابة في البيت الثاني ،وهذا « التملق » الذي يستعيره لوصف اشراق الشمس فوق رؤوس الجبال .

اليك ما يقوله شكسبير :

« كم من صبح مجيد شاهدته طالعاً !
يتملق قنن الجبال بطرفه الملكي ،

لاثماً المروج الخضراء بمياه الذهبي ،
موشياً السيول الشاحبة بكيميائه السماوية !

ثم يأذن للسحب الدنيئة
ان تطفو فوق وجهه العلوي ،
مخفية عن الارض الكئيبة طلعته البهية ،
فيتسلل للمغيب متنكراً ذليلاً !

كذا شمسي في صباح مبكر بزغت
مزهرة بالنصر على حاجبي !
لكنها وآسفاه غربت ، ولم تكن لي سوى ساعة ،
اذ حجبتها بعض الغيوم عن ناظري !

لكن حبي لها لن يتضاءل ،
فقد تحتجب شموس الارض كما تفعل شمس السماء! »

وفي الصوناتا التالية يخاطب شكسبير صديقه الشاب النبيل ذاكراً له انه « أي الشاعر » لن يفنى بفناء جسده . وانه ، كما ينبثق الفجر من لجة الليل الحالكة ، أو كما تشع النار من خلال الرماد ، هكذا الشاعر سوف يبعث بعد موته ، حياً في شعره .

وغاية الشاعر من ذلك واضحة في البيتين الاخيرين ، ألا وهي الاستزادة من عطف صديقه ومودته .

ولا تنس ان تنعم النظر في الصورة الشعرية الاولى ، فهي خصبة باستعارة الشجرة لعمر الانسان ، وفصل الربيع بطيره الشادي وشجره الاخضر لزمن الشباب ، والشتاء للشيخوخة . فشجرة الحياة ، مورقة ، يانعة ، نضرة ، تغرد فوقها

الاطيار في الربيـــع ، لكنها تمسي عارية من الورق ، خالية من الطير ، حين يقبل الشتاء بقره وزمهريره .

يقول الشاعر : ـ

« في هذا الحين من السنة
حين نبصر أوراقاً شاحبة ، أو لا نبصر منها شيئاً
أو القليل متعلقاً على الغصون المرتجفة برداً ،
تلك الاجواق العارية ، الخاوية ، حيث الاطيار شدت فوقها طرباً

في سوف تشاهد الصبح طالعاً
بعد ان تؤذن الشمس بالمغيب ،
ويذهب سواد الليل بنورها بعد حين ،
ويخلد الناس للراحة والسكون

في سوف تلمح اشتعال النار ،
بعد ان تهمد على رماد شبابها ،
كأنه فراش تلفظ فوقه انفاسها
فيهلكها الذي أوراها .

هذا ما سوف تراه فيزيد من مودتك ،
وتحب من ستفارقه بعد قليل حباً جميلا ! »

وهذه صوناتا ثالثة ، وفيها يعدد الشاعر الاسباب التي من اجلها لا يرضى ان يشبه صديقه بالصيف الجميل . ويبدو لي ان صيف انجلترا لا بد ان يكون شبيهاً بربيع الاردن في اعتدال الطقس وصفاء الجو وفتنة الطبيعة . وفي الابيات الاخيرة يمني

الشاعر صديقه بأنه سيخلد في قصيده .

واليك ما يقوله شكسبير :

« هل أقارنك بيوم صيف ؟

انك لابهى واكثر اعتدالاً :

فالرياح الهوج ترعص براعم أيار الحلوة ،

وبرهة الصيف مداها قصير .

أحيانا تكون الشمس حادة الاشراق ،

وكثيراً ما يعتم محياها المنير ،

وكل جميل قديفقد بعض جماله ،

بسبب تقلب الطبيعة الكثير .

لكن صيفك الازلي لن يزول ،

ولا يفقد شيئاً من حسنه وروائه ؛

والموت لن يفخر بأن يراك تمشي في ظلاله ،

حين تنمو مع الايام في هذا النشيد :

فما دام الناس احياء والاعين ترى ،

فان هذا الشعر حي ويمنحك الحياة ايها الصديق ! »

ونوحي الي المقطوعة التالية والاخيرة بان شكسبير ليس شخصاً واحداً فحسب بل شخصين ، او بالاحرى مظهرين ، عادي وغير عادي . فالعادي منه ككل الناس يحب ويكره ، ويحزن ويفرح ، ويجوع ويشبع ، ويثور على الظلم ويساند الحق ، وتلاقي سفينة حياته تارة انواء شديدة وزعازع وامواجاً صاخبة هدارة ، وأخرى أجواء لطيفة ، وانساماً بليلة عليلة ، تهدي النفس وتنعش الروح ، وتوقظ الخيال ، وتبعث

الآمال . اما الانسان غير العادي منه فهو العبقري الخالد ، الذي هز بفنه الادبي جميع أوتار النفس البشرية . على الانسان العادي منه ، كان يعيش غير العادي ويتغذى . ومن الانسان الذي عاش على مسرح الحياة كما تعيش عامة الناس ، نبتت عبقريته وأزهرت ، وصارت شيئاً غير مألوف بين جميع الخلائق البشرية ، في كل مكان وعلى مدى الازمان .

وهذه الصوناتا تصور لنا « مقطعاً » من حياة شكسبير العادية المألوفة ، وفيها نشاهد الشاعر النادب حظه ، الكفور ، الجزوع ، المغبون . كما نشاهد الشاعر وقد نفض عنه غبار اليأس والكمد ، وعاوده السرور وحب الحياة . واحب ان ألفت نظرك الى الصورتين اللتين رسمها الشاعر للتعبير عن هاتين الحالتين اللتين اختبرهما في حياته . فهو في الحالة الاولى كالقبرة التي من عادتها الكف عن الشدو والغناء حين تهبط الى ارضنا المقفرة العابسة . ويشبه نفسه في الحالة الثانية ، (أي حينما يتذكر صديقه) ، بالقبرة حين تعتلي الجو قبل متنفس الصبح لتستقبل الشمس بالحانها العلوية الساحرة ... اسمع ما يقوله شكسبير :

«حينما ارى نفسي زرياً في أعين القدر والبشر ،
وابكي وحدي حالتي المنبوذة ،
وازعج السماء الصماء بصرخاتي غير المجدية
واتطلع الى نفسي واندب حظها ،

متمنياً لو كنت غني الآمال كذلك الانسان ،
لي ماله من ملاحة الشكل وكثرة الخلان ،
مشتهياً فن هذا ، ومدى نفوذ ذاك ،
فأراني اقل الناس رضى بما يبهج النفس ؛

ورغم انني بهذه الافكار أكاد ازدري ذاتي ،

لكن حين يلمع طيفك في الخيال ،
اصبح كالقبرة تحلق في الفضاء ،
مرتلة ترنيمة الفجر عند بوابة السماء ،
لان ذكراك الجميلة تجلب لي كل الثراء
فلا أرضى عندها بحال الملوك !

* * *

الى شكسبير

ها قد بلغنا نهاية الشوط وغاية المطاف ؛ وحق علينا ان نودع شكسبير قبل مفارقته بمقطوعة شعرية نجعلها مسك الختام لهذا الكتاب

وهل ثمة خير من سوناتا « الى شكسبير (١) » لماثيو أرنولد (٢) ، نخاطب بها الشاعر الذي عشنا معه في هذه الصفحات ، مودعين ، ومنشدين : —

غيرك يجيب على سؤالنا ، أما أنت فحر طليق
نسأل ونسأل فتبسم وانت صامت ،
ايها المعرفة الشامخة . فشاهق الجبال ،
الكاشف عن هامته الملكية للنجوم ،
والمثبت خطواته الراسخة في البحر ،
والجاعل سماء السموات مسكنه ،
ليترك مادون حد الغمام العائم حول سفحه ،

---

١ — « TO SHAKESPEARE »

٢ — MATHEW ARNOLD (١٨٢٢ — ١٨٨٨)

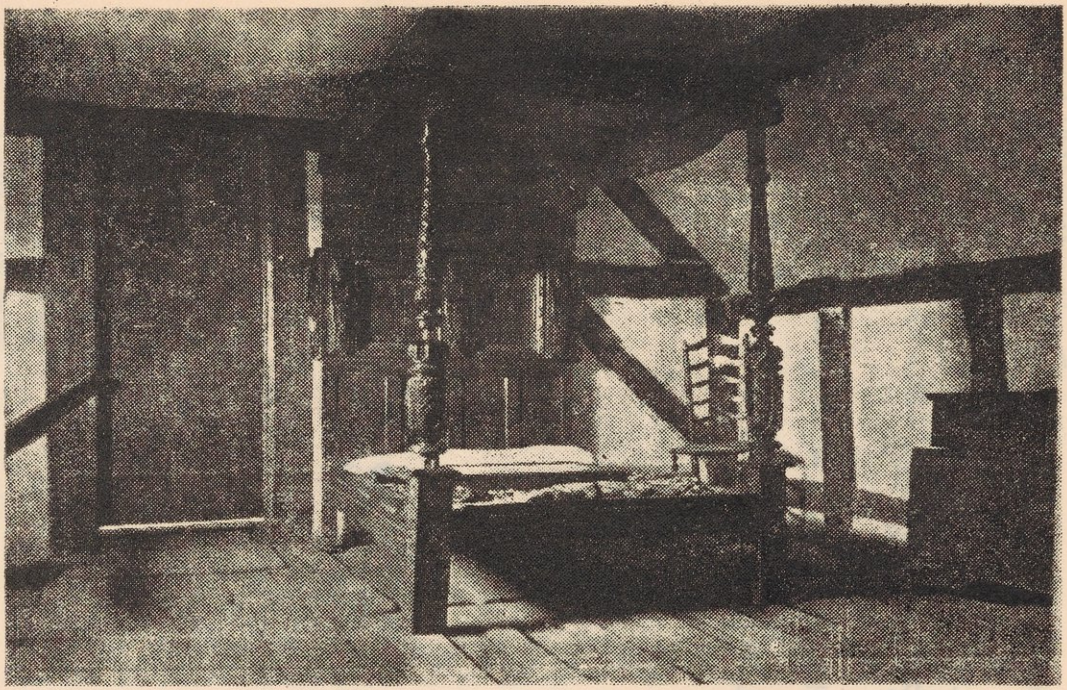

نموذج سرير نوم

كالذي أوصى به شكسبير لزوجه ، كما جاء ذلك في وصيته (انظر صفحة ٣٩)

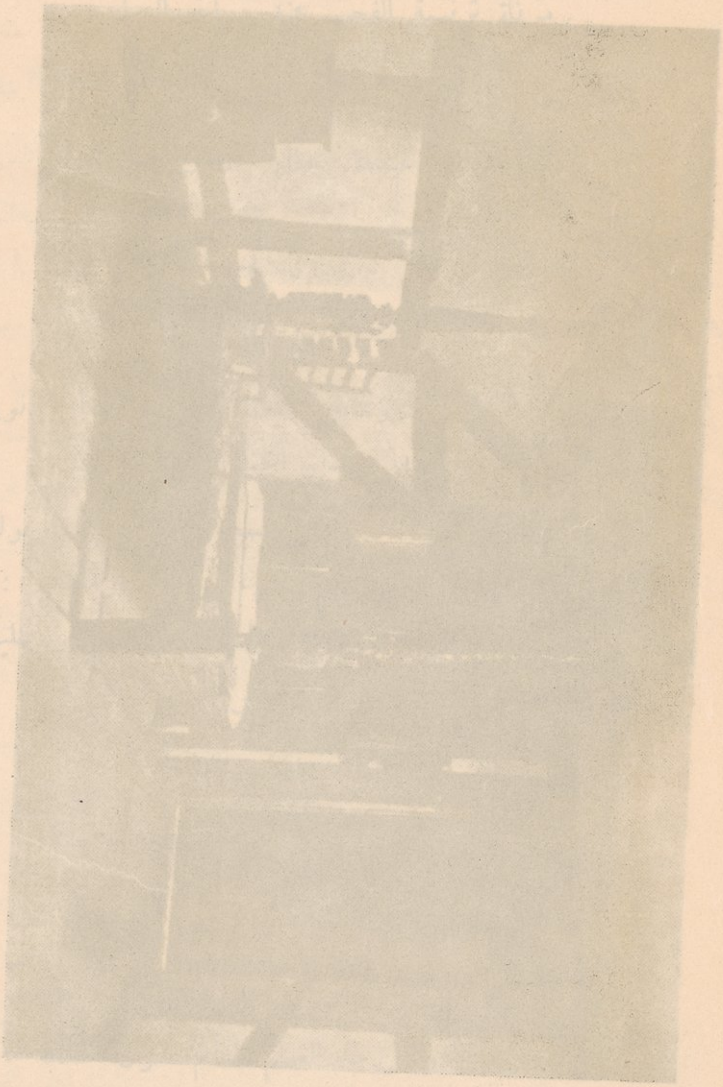

مادة بحث فاشل للأنسان ؛

هكذا أنت ، يامن عرفت النجوم وضياء الشمس ،
وثقفت نفسك ، وسبرت غورها ، وكرمتها ، وخلقت لها الضمان ،
فقد سرت في الارض مجهولاً . ذلك أفضل !
جميع الآلام التي على الروح الخالدة ان تعانيها ،
جميع الضعف المضي والاحزان التي تنحني
تلقى لسانها الأوحد في ذاك الحاجب المظفر ! »

(انتهى الكتاب في ٢١ آب ١٩٥٠)
كلية الحسين ـ عمان
المملكة الاردنية الهاشمية

« أسماء مسرحيات شكسبير وما يقابلها في العربي كما اصطلحت عليها في هذا الكتاب ، وهي مرتبة حسب التسلسل التاريخي الذي به ظهرت أولا (١)

١	* هنري السادس ج ٢	Henry VI, part 11
٢	* « « « ٣	Henry VI, port 111
٣	* « « « ١	Henry VI, port 1
٤	ريتشارد الثالث	Richard 111
٥	كوميديا الاخطاء	The Comedy of Errors
٦	* تيطس اندرونيكس	Titus Andronicus
٧	* ترويض المرأة الشرود	Tne Taming of the Shrew
٨	سيدا فيرونا	Two Gentlemen of Verona
٩	جهد الحب الضائع	Love's Labour's Lost
١٠	روميو وجولييت	Romeo & Juliet
١١	ريتشارد الثاني	Richard 11
١٢	حلم ليلة في منتصف الليل	Midsummer - Night's Dream
١٣	الملك جون	King John
١٤	تاجر البندقية	Merchant of Venice
١٥	هنري الرابع ج ١	Henry IV Part 1
١٦	« « « ٢	Henry IV Part 11
١٧	جعجعة ولا طحن	Much Ado About Nothing
١٨	هنري الخامس	Henry V
١٦	يوليوس قيصر	Julius Caeser

---

١ – لم أعين التواريخ التي فيها ألف شكسبير مسرحياته لان هـذا خارج عن نطاق كتابنا ، ومن اراد ذلك فليراجع كتاب العلامة (SIR EDMUND CHAMBERS) وهو : (WILLIAM SHAKESPEARE : FACTS & PROBLEMS) ج ١ : ص ٢٧٠ ، ومنه اقتبسنا هذا الترتيب للمسرحيات

٣٠	كما تشاء	As You Like It
٣١	الليلة الثانية عشرة	Twelfth Night
٣٢	هاملت	Hamlet
٣٣	أزواج ونسر المرحات	The Merry Wives of Windsor
٣٤	ترويلس و كرسيدا	Troilus & Cressida
٣٥	خير ما ينتهي بالخير	All's Well That Ends well
٣٦	كيل بكيل	Measure For Measure
٣٧	عطيل	Othello
٣٨	الملك لير	King Lear
٣٩	ماكبث	Macbeth
٣٠	انطوني وكليوبترا	Antony & Cleopetra
٣١	كوريولانس	Coriolanus
٣٢	* تيمون أثينا	Timon of Athens
٣٣	* بركليس	Pericles
٣٤	سمبلاين	Cymbeline
٣٥	قصة الشتاء	The Winter's Tale
٣٦	العاصفة	The Tempest
٣٧	* هنري الثامن	Henry VIII
٣٨	* القريبان النبيلان	The Two Noble Kinsmen

* من المظنون ان ادباء آخرين معاصرين لشكسبير ساهموا في تأليف هذه المسرحيات

فهرس الكتاب

الفصل	الصفحة	الموضوع
		الاهداء
		كلمة شكر
		المقدمة
١	٤	**حياة شكسبير :-** والد شكسبير ٦ ، الشاعر في المدرسة ٨ ، مدرسة ثانية ٩ ، زواجه ١١ ، الى لندن ١٢ ، في لندن ١٤ ، أعوان الشاعر ١٦ ، الشاعر وديفاننت ١٩ ، الشاعر والتمثيل ٢١ ، شكسبير والشعراء المعاصرون ٢٥ ، رجل الدنيا الطموح ٣١ ، أحداث مؤثرة ٣٤ ، وأخيراً الى ستراتفورد ٣٥ ، وصيته ٣٧ ، وفاته ٤٠ ، المجموعة الاولى من مسرحياته ٤٣ ، خطه ٤٥ ، رسم الشاعر ٤٧ .)
٢	٥	**شكسبير منذ وفاته :-** (حلقات مفقودة ٥٢ ، شخصية تاريخية ٥٣ ، توماس فلر ٥٤ ، جون أوبري ٥٤ ، جون وورد ٥٦ ، انطوني وود ، ريتشارد يفز ، وليم هول ٥٦ ، نيكولاس رو ٥٧ ، أدمند مالون ٥٩ ، هوليويل ـ فلبس ٦٠ ، الدكتور والاس ٦٠ ، السر سدني لي ٦١ ، السر أدمند تشمبرز ٦١ ، النقد الادبي ٦١ ، في القرن السابع عشر ٦٣ ، في القرن الثامن عشر ٦٤ في القرن التاسع عشر ٦٥ ، اشجار بدل الغابة ٦٧ ، شكسبير خارج انكلترا ٦٨ ، بواسطة الممثلين أولا ٦٩ ، فولتير ٦٩ ، في فرنسا ٧٠ ، في المانيا ٧٠ ، صوناتا الملتن ٧٢ ، درايدن ٧٣ ، كارلايل ٧٤ ، مركب نقص ٧٦ ، دوفر ولسن ٧٧ ، تبارك الانسان ٧٩) .
٣	٨٢	**عبقرية شكسبير :-** كلمة عامة [شهرة مطبقة للزمان بأكمله ، كأحد أولئك العميان .]
	٨٤	(غير عامد ، تطور وارتقاء ، يتدفق بالجيد والرديء ، يجب ايقافه ، معان ضحلة ، تصص
	٨٦	**مثالب شكسبير الادبية**

فهرس الكتاب — تابع

الفصل	الصفحة	الموضوع
		منقولة وغير واقعية ، عبث بقانون الوحدات الثلاث ، تقيد بالمسرح ، عدم مساهمة المرأة عدم وجود مخرجين ، خلوه من فلسفة أو عقيدة دينية ، نقص في الثقافة والعلم ، كفى المرء نبلا ، ردود على هذه التهم)
	٩١	**عناصر عبقرية :** ١ — خلق الافراد (وثنية مستملحة ، ثلاث طوائف
	٩٢	الطائفة الاولى ، الطائفة الثانية ، ١ - رجال ، ٢ - نساء ، الطائفة الثالثة)
	٩٥	٢ — خلق الجماهير (نفسية الجماهير ، مشهد غوغاء شعب جائع ثائر ، رفعوه فاستكبر ، اسقاطه ونفيه ، في بيت خصمه ، أم عظيمة تؤنب ، سحر الجوع ، يصور الواقع)
	١٠٢	٣ — مرآة صادقة (صورة للحياة ، في الماضي ، في عصر شكسبير ، في كل زمان ، موضوعه جوهر الانسان ، كالثمر الشهي ، كاشيوس ، بروتس ، بندك وبياتريس ، السيدة ماكبث ، هاملت ، نماذج بشرية متنوعة)
	١١٩	٤ — الفن الادبي (أداته في التأليف . خروج على علم العروض . خمر لا شعر ، حسن السبك . شمول وعمق ، انبجاسات شعرية . الرحمة . الشاعر . ترتيل الكواكب . في المنفى . حكمة خالدة . الانسان آلة النفس البشرية . الحياة أم الموت . نصائح دنيوية . النوم . الحياة . العالم مسرح . افاعي الانسان . الجبان مقتول بالخوف . اغتنام الفرص . المرآة . أثر الحب . فعل الوراثة . الحزن بدل الابن جزيرة الصولجان . حديقة الحياة)
٤	١٤٠	**دراسات متنوعة :—**
	١٤٢	**هل ألف شكسبير مسرحياته ؟**
	١٥٢	**شكسبير والادب العربي**
	١٦٢	**مسرحية (هنري الخامس)** (كلمة تعريف . هنري الخامس والتاريخ درس للامة ، الكورس ، عرض موجز)

فهرس الكتاب — تابع

الفصل	الصفحة	الموضوع
١٨٤		**صونيتات شكسبير** (تعريف الصوناتا ١٧٤ ، حقائق مجردة ١٧٧ ، اسئلة ١٨٠ ، اجوبة ١٨١ نماذج من الصونيتات ١٨٦ ، الى شكسبير ١٩١
		قائمة باسماء مسرحيات شكسبير

« قائمة بالاخطاء التي وردت سهواً في هذا الكتاب »

خطأ	صواب	صفحة	سطر
لبلة	ليلة	١٠	١٠
فلا غرر	فلا غرو ان	١٣	٢١
هار تفتون	هار نقتن	١٧	١١
قد	وقد	٢٢	١
وابنتاه	وابنتيه	٤٢	١١
عامودين	عمودين	٤٤	٧
ثيوبولاد	ثيوبولد	٤٥	١٥
على الفن من شيء	من الفن على شيء	٤٧	٦
الشاعر كبطل	البطل كشاعر	٧٤	٥
تهمين	تهمن	٧٤	٢٠
الثلاثة	الثلاث	٨٨	١٤
الاشراف	والاشراف	١٠١	١
العالي	الاعلى	١٢٠	١٤
كبيت الدهر	كآي الذكر	١٢٠	١٥
تتعلم	نتعلم	١٣٦	١٣
أن	أنه	٥٢	٤
WITCHES	WITCTHES	١٥٦	رقم ٢ (حاشية)

مراجع الكتاب

(BIBLIOGRAPHY)

1 - A Life of William Shakespeare, by Sir Sidney Lee (14th Edition - July 1931)

2 - William Shakespeare : A Study of Facts and Problems. By Sir E. K. Chambers. 2 vols. (Oxford Press - 1950)

3 - The Cambridge History of English Literature. Edited by Sir A. W. Ward and A. R. Waller. Volume V - 1943

4 - The Facts About Shakespeare. By W. A. Neilson and A. H. Thorndike (New York, Macmillan Co. - 1931)

5 - Shakspere and His Predecessors. By Frederick S. Boas. (London - John Murray, Albemarle Street) - 1896

6 - Prof. Byron Smiths' Lectures on Shakespeare, (Delivered in Classroom at the American University of Beirut)

7 - On Ten Plays of Shakespeare, - and - Ten More Plays of Shakespeare. By Stopford A. Brooke (Constable & Co. Limited London) 1932

8 - Shakespeare. By George Saintsbury (Cambridge University Press) - 1934

9 - A History of English Literature. By Emile Legouis and Louis Cazamian - (2 vols. in one - New York, The Macmillan Company, 1930)

10 - The Essential Shakespeare. By Dover Wilson (Cambridge University Press - 1942)

11 - The Complete Works of William Shakespear Student's Cambridge Edition, Edited by W. A. Neilso 3d Edition. (وهي النسخة التي اشرت اليها في حواشي هذا الكتاب)

WITH SHAKESPEARE

By

JIRYIS QUSUS - B. A. & NORMAL CERTIFICATE

(Hussein's College - Amman)

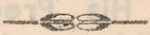

ALL RIGHTS RESERVED

FOR AUTHOR

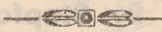

Published by Muheddin Badawi

August : 1950

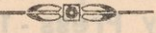

(AL-FOUNOUN PRINTING PRESS - AMMAN)

THE HASHEMITE KINGDOM OF THE JORDAN .

DATE DUE

J. Lib.

2 JAN 1980

JAFET LIB.
20 JAN 2004
Circulation Dept. 4

822.33:Sh52YqA.c.1
الفسوس ،جريس
مع شكسبير
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01031594

American University of Beirut

822.33
Sh52Yq A

822.33
Q581mA
c.1